محاضرات فقهية حول

الحكومة الاسلامية
أو ولاية الفقيه

مجموعة من المحاضرات ألقاها
سماحة الامام روح الله الخميني (قد)
في الحوزة العلمية في النجف الأشرف

الدرس ١ ـ ١٢

مطبعة الآداب للنجف الاشرف

BP
٢٢٣/٨
/٨خ
٨٠٤٣ح
١٠ن

محاضرات فقهية حول

کتابخانه تخصصی امام خمینی
تاسیس ۱۳۷۹

الحكومة الاسلامية
او ولاية الفقيه

الدرس: ١ ـ ٢

شماره مدرک: ۴۷۲۵
شماره ثبت: ۱۸۱۶۶

مطبعة الآداب

محاضرات فقهية حول :

الحكومة الاسلامية
او
ولاية الفقيه

الدرس : ١ ـ ٢

مطبعة الآداب

مقدمة الناشر :

بسم الله الرحمن الرحيم

صرخة الحق

في ذلك اليوم الرهيب الذي قام الشاه ـ العميل المجرم ـ بخنق الحرية التي انتفض بها الشعب الايراني الغيور ، وأخمد الاصوات بقوة النار والحديد القاسية ، وأصدر أوامره الجهنمية باعدام جماعات المسلمين وآحادهم ، وملأ سجونه بدعاة الحرية والاستقلال الوطني ، وكانت ضجة المعذبين في طوامير تبلغ عنان السماء ، ومن ثم ساد السكوت الموحش على ارجاء المملكة ، وانقطعت أنفاس المواطنين ، وبحت الاصوات وانكسرت الاقلام ، وغلقت الصحف الحرة ، وتهيب الشعب المسكين من ذلك الدكتاتور العملاق سطوه الغاشم وطيشه الظلوم وكما سن قانون الحصانة لجميع الامريكان الاجانب من مستشارين عسكريين وقواد وضباط وملازميهم الذين ملأت الشوارع والاندية العامة

نزقاتهم ونزواتهم الطائشة وفقدت السلطات والشعب صلاحية وضع الحد من جرائمهم الاثمية ووسع النفوذ الاسرائيلي في جميع شؤون البلاد وسلطهم على مقدرات الشعب الايراني المسلم اقتصاديا وسياسياً وثقافياً . . .

فكان من مضاعفات هذا العمل الاجرامي وما أشبه ، ان تعطلت أحكام القرآن ، لتجد القوانين الكافرة وخطط الاستعمار الطريق امامها مفتوحاً ، ومجال نفوذها متسعاً .

والخلاصة : في الظروف التي تحولت ايران - على مساعي الشاه العميل . وجهود اسياده الامريكان - الى مذبحة عارمة ، ومقبرة شهداء الحرية ، ففي مثل هذه الظروف العصيبة .

قام القائد الكبير ومرجع تقليد المسلمين سماحة (آية الله العظمى الخميني دام ظله) بنصرة الشعب الايراني المظلوم ، وأنار مشعل الثورة ضد الإستعمار . واروى غليل أمة مهضومة ببليغ خطاباته المثيرة والمنمية فيهم روح الحرية والاستقلال فأعاد بهذا العمل الجبار احساس الرجاء في نفوس الشعب . الشعب المتحير البائس. قام بدفاع حر عن حقوق مهضومة لشعب مسكين ، فحاكم الشاه على رؤوس الأشهاد وأتى بجناياته الهدامة واحدة واحدة ، ولا سيما جنبات روابطه المستقيمة السرية مع اسرائيل ضد الشعوب الاسلامية ، فدعى الشعب الايراني المسلم الغيور لمكافحة خطط الشاه الخؤون مكافحة شاملة ضد اسرائيل وعملائه : الطغمة الخونة .

فكان مما قام به سماحته من عمل ايجابي جبار ان استرعى انتباه الشعب الايراني المسلم الى خطر اسرائيل الذي طالما كان الشاه يعمل فى تحقيقه ، فأعلن الى الناس نوايا الشاه الخبيثة وخطواته الاثيمة التي خطاها لتحقيق اهداف اسرائيل في هذه البلاد ، فأوضح لهم موقفهم من اخوانهم العرب وما يستدعيه الواجب الاسلامي من مواكبة العرب ضد اسرائيل . ومن ثم هب الشعب الايراني بكليته الى تلبية هذا النداء الاسلامي : (صرخة الحق) والى النفير العام نحو الواجب ، فايقظهم بجهوده وفعالياته المتواصلة ، عما كانوا في غفلة عنه من نوايا مليكهم الأثيم ، وما قام به من عقد روابط سياسية وثقافية وعسكرية مع عدو الاسلام ، كان بصدد إعلانها ، وعلى وشك ابداء كفره القديم ، لولا انتفاضة الشعب المسلم وخوفه من ثورة عارمة قد تطيح بعرشه المتضعضع المنهار . فقام بمراوغته الفاضحة وابدى موافقته الشكلية مع العرب والمسلمين وتظاهر بصورة مسلم وطبع القرآن واشترك في مراسيم مذهبية وغيرها ، الامر الذي لا يعدو سوى النفاق والرياء والسمعة الكاذبة .

ومن ثم قام الشاه الخائن بمخالفته صريحة لنص القانون الاساسي الايراني الذي ينص على حصانة الفقهاء المجتهدين من الدرجة الاولى من مراجع تقليد المسلمين فاصدر امره بتوقيف سماحة آية الله الخميني وزجه في السجن .

فكان من جراء ذلك أن قامت ثورة شعبية عارمة عمت

ارجاء البلاد : من علماء وخطباء ومثقفين وتجار وعامة الشعب في المدن وفي الارياف ، قامت تستنكر هذا التحدي الفاحش وهذا الخروج على قانون المملكة الأساسي قامت تدافع عن زعيمها الروحي ، فجعلت تزحف نحو العاصمة ، وتنشر مناشير وبيانات إستنكارية حارة ، تطالب باطلاق سراح قائدها الديني العظيم ، فلم يكن من الشاه العميل سوى القاء القبض على هؤلاء العلماء الذين بلغ عددهم فوق الألف والقاهم في غياهب السجون فقامت ثورة الطلاب والمثقفين والتجار والكسبة والعمال ولأول مرة في تاريخ ايران اشترك الريفيون في ثورة إصلاحية ضد الحكم الاستبدادي الغاشم . وطالبوا بكل حرارة وتضحية إطلاق مرجعهم العظيم الشان ، فتعطلت الاسواق والمعامل وقامت مظاهرة صاخبة ملأت الشوارع العامة ، مبدية استنكارها الشديد ضد هذا العمل غير القانوني حاملة صورة سماحته ، هاتفة في حملتها نحو البلاط : « نريد اطلاق مرجعنا الديني الكبير آية الله الخميني » . « الموت او الخميني » « نطالب باطلاق سراح سيدنا وامامنا فوراً ومن غير قيد او شرط » .

فنهض ـ الدكتاتور ـ باسكات الشعب الغيور بقوة النار والحديد وإخماد ثائرة ثورتهم بعنف مدافع المصحفات الضخمة في صدور الشعب الاعزل المسكين الذي وقع صريعا بعدد هائل رهيب . والذي لم يكن ذنبه سوى الدفاع عن عقيدته وعن مرجعه الديني الكبير .

وبعد فترة قاسية وعلى أثر الاستنكارات المتواصلة التي أخذت تترى من الشعوب المسلمة والحرة في اقطار الارض اطلق سراح الامام الخميني ولكن لأمد محدود .

إن سماحته لم يكن بالذي يسكت عن الحق او يرضخ للظلم المتواصل . ثم هو مسؤل عن أمة ، « وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » فكيف يغض النظر عن جرائم ترتكب عبر الآنات وحقوق تهضم مر الليالي والايام . امة كبيرة لها حقها من الحياة تسلب ثرواتها وتباع بلادها ، ويحكمها الأجنبي بصورة مباشرة وغير مباشرة . . !

الامر الذي أثار عواطف (سماحته) الدينية ثانياً ، فأعلن بالواقع المر وصرّح بانتقاده الشديد على أعمال الشاه اللا انسانية وعقد روابطه مع اعداء الاسلام اسرائيل وامريكان .

وقال (سماحته) كلمته التاريخية : ـ ضمن خطبته الثائرة أمام مآت الالوف من الشعب الايراني المتحشد المتحمس ضد الاستعمار والصهيونية ـ : « فليعلم رئيس جمهورية الولايات المتحدة انه قد اصبح اليوم عند شعبنا الايراني ابغض شخص نعرفه من افراد البشر فى العالم كله » فأبدى سماحته استنكار الشعب الايراني وتذمره من تدخل امريكان في شؤون بلاده الداخلية والخارجية ذلك التدخل غير المشروع والذي يخالف مخالفة صريحة لقانون حقوق الانسان والذي كان

قانون « حصانة الامريكان فيما يرتكبونه في هذه البلاد » من اردأ وأشنع تدخل أجنبي مباشر وتحميل خبيث لسيادة مزيفة على شعب مسكين . ! ان سماحته أبدى واعلن بهذا الاستنكار العام الى العالم كله كما وأعلن برأيه ورأي شعبه المسلم عن موقف العرب المشرف تجاه التعدي الاسرائيلي الدنيء فكان من جراء هذه الصراحة وهذا الصمود على الحق ان اضطر الى مغادرة بلاده نفياً الى تركيا والى العراق اخيراً حيث مقره الحاضر النجف الاشرف .

ان الشعب الايراني الكريم تبعاً لمقاصد مرجعه الديني العظيم يواصل نضاله ضد الاستعمار وضد مطامع اسرائيل ، وئين أنينه تحت وطئة العنف القائم ، ويصمد صموده المشرف تجاه جلاوزة الشاه العميل واعماله التعسفية لدعم عرشه الذي رست قواعده على أشلاء الأحرار والمواطنين الأغيار . والذي ضمن بقاءه تقديم البلاد لنهم المستعمرين . . . إن الشعب في صموده تجاه هذا التحدي الطائش وفي دفعه الثمن الباهض لهذا الكفاح المتواصل يهدف الى قلع جذور النفوذ الاسرائيلي الامريكي في البلاد وارجاع مرجع تقليده العظيم ، انه كفاح في سبيل الحق الصريح .

* * *

ان سماحة آية الله الامام الخميني الذي القى رحله - بحكم الاضطرار - في النجف الأشرف ، والذي لم يتوان عن

اداء رسالته يوماً واحداً - ضمن قيامه بواجبه التدريسي لحوزة طلبة العلوم الاسلامية - تعرض لجوانب خطيرة من الحكومة الاسلامية بمناسبة موضوع ولاية الفقيه الذي هو من المواضيع المهمة في عالم الفقه الاستدلالي ، ولذلك فقد أبدى جوانب من هذا الحكم الاسلامي العريق فأبدى صفحة الاسلام المشرقة كما هو واقعه الناصع وتذكر جوانب من مجتمعنا الراهن بمصالح ومفاسد فاراد سماحته - كما يشير في مفتتح الدرس الاول - ان يغتنم هذه الفرصة المتاحة لبيان حقايق عن الاسلام التي كانت خافية ، ويزيح الستار الضخيم المظلم عن وجه الاسلام الوضيء ، ليعرف الجميع واقعية الاسلام العالجة لمسايرة الحياة مسايرة في الصميم ، وتفتضح تلك الدعايات الاستعمارية الفارغة ضد هذا الدين المبين والتي كانت تهدف الى تركيز فكرة نقص الاسلام عن مسايرة الحياة . ويبطل تلك الدعايات المخدرة لاعصاب المسلمين النابضة بالحيوية والنشاط. ويبعث فيهم روح العمل ويوقظ فيهم المعرفة بحقيقة الاسلام ليعملوا ويجدوا في إعادة مجدهم القديم وتشكيل حكومة اسلامية قوية الجانب راسخة الاركان ومن ثم جاءت هذه البحوث غريبة في بابها ، لانها ولاول مرة ترفع ستاراً طالما غطى الحقيقة ، وترك الناس في جهل عن طاقات دينهم الكامنة ، فدبت فيهم روح الكسل وامتنعوا عن العمل الايجابي منذ أمد سحيق . فكان من الجدير اللازم نشرها ليطلع الملأ الاسلامي بما يدور

في متناول الابحاث الاسلامية العريقة التي تمس واقع حياة الاسلام والمسلمين .

* * *

يجب على المسلم المتحرر وعلى طالب الحقيقة ان يستمع لهذا النداء الاصلاحي ، ويلبي دعوة الحق التي تهدف لتأمين الحرية والاستقلال . فليضع المسلمون حداً لاختلافاتهم القديمة وليدعوا عوامل التفرقة الناتجة عن سوء تصرف المستعمرين ، وليسعوا وليجدوا في ترصيف الحجر الاساسي لهيكل الحكم الاسلامي الشامخ . وليعملوا في توحيد كلمة المسلمين جميعاً والقضاء على مقاصد المستعمرين نهائياً وليزيحوا هذا الثقل الفاحش عن كاهل رقعة الاسلام الفسيحة .

واخيراً نسترعي انتباه الملأ الاسلامي عامة الى ان الشعب الايراني ليواكب الشعب العربي في الاتجاه ضد الاستعمار الصهيوني والاساليب التي يتخذها عامل الدكتاتورية الغاشمة (الشاه) في سبيل اعتياق اهداف الاسلام ، والذي أصبح عميلاً رخيصاً للمستعمر وساوم شرفه وامته في أعماله الدنيئة وان الشعب الايراني لساخط على الشاه وعلى أعماله سخطاً لا يرجى المساومة معه على الرضا مع الأبد .

وهذه حقيقة أبداها سماحة سيدنا الامام الخميني في إحدى خطاباته التاريخية في حشد كبير في عاصمة العلم بايران القم المشرفة

« إني أعلن الى رؤساء الحكومات العربية الاسلامية ، ان

علماء ايران وزعمائها الدينيين والشعب جميعاً والعسكريين النجباء ليواكبون اخوانهم المسلمين العرب فى الاتجاه وفى المصير الحتم ان نفعاً وان ضراً ، ويتذمرون وينزجرون بكل نفرة من ذلك العدو المشترك القديم : اسرائيل التي لها سابقة العداء مع الاسلام قديماً .

اقولِ ذلك بكلمة مفتوحة وصراحة كاملة ودع عملاء اسرائيل ان يقضوا على حياتي » .

محاضرات فقهية حول :

الحكومة الاسلامية

او

ولاية الفقيه

الدرس : ١ ـ ٢

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وصلى الله

على خير خلقه محمد وآله اجمعين

المحاضرة الاولى :
الأربعاء ١٣ ذوالقعدة الحرام سنة ١٣٨٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أتاح لنا البحث عن ولاية الفقيه فرصة سانحة للتكلم عن وضعنا الراهن بالمناسبة . وكان الموضوع يستدعي توسعاً في الكلام غير أن هناك قضايا يكفي تصور أطرافها للتصديق بها من دون حاجة الى إقامة برهان ، ولذلك فهي بحاجة الى مجرد تنبيه وإلفات نظر فحسب .

عراقيل خلقتها اليهود والاستعمار :

واجه الاسلام منذ بزوغه ولحد الآن عبر الزمان مشكلة خطرة هي من أخطر المشاكل المعوقة عن تقدمه الباهر وهي مشكلة اسرائيل : الطوائف اليهودية التي لم تزل تدبر المكائد اللئيمة ضد الاسلام والمسلمين . ولا تزال دائبة في عملها الجهنمي الدنيء لا سيما وقد أخذ الاستعمار الغربي الكافر في تمويلها بالعدة والعدة الكافية .

وقد أخذ المستعمرون يسيرون على نفس المنهج اليهودي

ـ في منابذة الاسلام ومناوئته ـ منذ ثلاثة قرون او تزيد ، منذ ان لوثوا بأقدامهم القـــذرة بلادنا الاسلامية الطاهرة ، وراحوا يدبرون المكائد لتحطيم الاسلام بشتى السبل والوسائل .

لم تكن الغاية ـ من ذلك ـ هو ضرب الاسلام ليحل محله المسيحية يوماً ما . ! لم تكن غايتهم هذه أبداً فانهم كما لا يعتقدون بالاسلام كذلك لا يعتقدون بالنصرانية ايضاً على سواء .

نعم انهم لمسوا خلال الحروب الصليبية وغيرها من تجارب مرت عليهم . . لمسوا حقيقة كبيرة ارادوا قلبها وإفناءها رأساً هي ان الاسلام والعقيدة الاسلامية كانت تشكل العرقلة الخطرة في سبيل استغلالاتهم المادية . فقد واجهوا أخطر مانع وأعظم سدّ تجاه تغلغلهم الاستعماري لغزو البلاد واستغلال الأسواق التجارية العالمية الكبرى .

راحوا يبثون روح الكسل واليأس في نفوس أبناء الاسلام ليميتوا نشاطهم الأول ويكسروا من عزمهم القويم القديم .

فجاءت وسوستهم اللئيمة ـ في نطاقها الواسع : في المجتمعات الكبرى وفي المجتمعات الاسلامية ـ بتعليم وتزريق المسلمين ان ليس الاسلام سوى احكام عبادات وتعاليم أخلاقية أما وقضايا الحياة العامة في جوانبها السياسية والاقتصادية وما الى ذلك فان الاسلام ليس يمسها ولا يتعرض لها ، قالوا : ان الاسلام دين تهذيب وتربية في اطار الحياة الفردية وفي مناجاة العبد لربه اما وادارة شؤون المجتمع والسياسة الدولية وتشكيل الحكومات

فذاك مجال آخر لا يستطرقه الاسلام المبدء العقائدي الاخلاقي المجرد . . !

هكذا علّموا أبناءنا وعرفوا لهم الاسلام دين الله الخالد .

احتجب وجه الاسلام حتى عن أهله :

على أثر جهود المستعمر الكافر أصبحت طبقات المسلمين كافة ـ سواء المثقف منهم وغيره وحتى اكثرية رجال الدين الخاصة فضلاً عن العامة ـ لا يعرفون عن الاسلام تلك المعرفة الصحيحة اللائقة ، فاصبح الاسلام غريباً حتى في وسط أبناءه وذويه بشكل فجيع مؤلم ، وبصورة ما اذا حاول أحد التعريف بالاسلام كما هو واقعه الناصع المتلألء لم يكن حظه من الثقة والقبول الا اليسير ولم يكن المسلمون وحتى الخاصة والمثقفون ليعتقدوا من كلامه الصحة او يثقوا بانه يتكلم عن حقيقة واقعة انه لمن الصعب المشكل ان يحظى هذا المصلح المسكين بالتجاوب مع زملائه التابهين فضلاً عن الغائهين .

هكذا خدّروا من أعصاب المسلمين وأماتوا مشاعرهم عن واقعهم الرصين .

ان كتب الفقه الاسلامي التي تربو على الخمسين كتاباً لا يعدو عُشر هذا العدد من كتب تبحث عن أحكام العبادات وما اليها من تربية واخلاق واما الأبواب الكثرة الباقية فانها

تبحث عن معاملات وتبادلات وأحكام إجتماعية وإقتصادية وحقوقية وسياسية وما الى ذلك ، فقد كذب المستعمر الكافر الذي مّوه الأمر على أبناء الاسلام .

التعريف بواقع الاسلام وظيفة حتم :

يا أعضاد الاسلام (خطاب الى طلبة العلوم الاسلامية ممن حضر الدرس) إنكم اليوم فى مراحل حياتكم الأولى وستنفعون الاسلام بجهودكم الجبارة ان شاء الله ، ومن الواجب أن تأخذوا من جوانب ما ألقيه عليكم في هذه المحاضرات دروساً كافية ، وتجتهدوا طوال حياتكم ان تبلغوا ذلك الى الناس بما أوتيتم من حول وقوة خطاباً وقلماً ، كي يتبين الحق ويتجلى الواقع ، وان الاسلام كيف واجه عبر تاريخه الطويل مشاكل ومصاعب لم يزل ولا يزال يحوكها اعداؤه الألداء .

ومن الواجب عليكم ان لا تدعوا نقطة خافية على صفحة الاسلام ، فلا يتصور الناس ان الاسلام بجرّد عبادة وتهذيب كالذي عرفوه عن مسيحية اليوم فيزعموا احتصار الاسلام في إطار جدران المساجد كالمسيحية المحتصرة داخل الكنائس والأديار .

قوانين الاسلام اللامعة :

في ذلك اليوم الذي لم يكن يعرف الغرب بعد شيئاً من

الحضارة والثقافة وكانت امريكان مأوى المتوحشين الحمر . وكانت الامبراطوريتان الفارسية والرومانية تتناطحان بقسوة وتحكمان شعوب العالم بظلم وجفاء ، في ذلك اليوم الذي لم تكن البشرية تحظى من القانون والعدالة شيئاً ، في ذلك اليوم جاء الاسلام وقام نبي الانسانية بقوانين اجتماعية وادبية واقتصادية وسياسية قوانين عادلة وشاملة كافلة ـ الامر الذي تحيرت منه عقول وبهرت به نفوس ـ .

ان قوانين الاسلام تكفل حياة الفرد منذ انعقاده نطفة فالى إقباره . كما تشمل الجوانب العبادية من الحياة تشمل جوانب التبادلات العامة والاحكام الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بشكل واسع عريض ، الأمر الذي لم تبق شاردة ولا واردة من الحياة الا وفي الاسلام له حكم وقانون ودستور .

في خدمة المستعمر لا شعورياً :

ان دسائس الأجنبي المستعمر قد أثرت أثرها السيء في نفوس وأفكار ابناء الاسلام والطبقة المثقفة من شباب المسلمين ولكي تنحرف بهم عن الحقيقة هكذا عرفوا الاسلام : انه مجموعة احكام حيض ونفاس . . . وان وظيفة رجال الدين هو البحث عن احكام الحيض والنفاس . . .

نعم ويجدر برجال الدين ان يكونوا كذلك ما داموا

لا يفكرون او لا يريدون ان يفكروا في قضايانا الاسلامية العامة . والتعمق في استخلاص واقع الاسلام عن اكدار وشوائب طالما لصقت بالاسلام وتضخمت على هيكله فشوهته الى هذا الاسلوب الذي يريده مشوهاً العدو القديم والحديث .

اننا ـ رجال الدين ـ مقصرون فى اداء واجبنا الاسلامي الذي هو ابداء الاسلام للناس بوجهه الحقيقي الحبيب الذي ينعم على الشعوب بنظمه الحكيمة وقوانينه العادلة. إننا اقتصرنا على درس طرف من احكام الاسلام وتركنا سائر الاطراف الاحكامية وسواها وبذلك انتهجنا على نفس المنهج الذي يريده المستعمر والذي يسخر منا الشعوب فى عدم كفائتنا وقصورنا عن فهم حقيقة الحياة ودرس شؤون السياسة والاقتصاد ، في حين انه من صميم الاسلام ومن واقعه الذي ليس ينكر ..!

من أين جاء الدستور الايراني ؟

قد يزعم البعض ان هناك نقصاً في قوانين الاسلام ومن ثم ذلك الاعواز في أحكام القضاء . ونتيجة لهذه المزعومة الباطلة التي دبرتها يد المستعمر الخبيث قامت تعمل أيادي الانكليز في مقدرات الشعب الايراني المسلم وتلعب دورها في تطوير وتحوير منهج المجلس النيابي عهد نشوئه .

وقد اخذ أعضاء المجلس حينذاك بتنظيم الدستور الأساسي، ولكن

للفكرة الخاطئة التي اشربتها نفوسهم الضعيفة او دستها عملاء المستعمرين - وفق وثائق حية موجودة - عمدوا الى كتاب قانون أجنبي إستعاروه من السفارة البلجيكية ، وقد قام بهذا العمل الفاضح نفر - لا أحب تسميتهم - كانوا عملاء الاجانب وأياديهم الخبيثة .

وجعلت عملية الترجمة تستمر من قانون بلجيكي الى دستور ايراني - من امة كافرة لشعب مسلم - ولكن تمويهاً على البسطاء أخذوا شيئاً من احكام الاسلام فاطلوا بها وجه فعلتهم الشنيعة ، « خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » .

وقد كان الغرض وراء ذلك شيئان :

الأول - تقوية نفوذ الغرب الأدبي والسياسي ليتقلص النفوذ الشرقي الروسي آنذاك .

الثاني - ابعاد الاسلام عن مسرح الحياة . وابقاء المسلمين في جهل من قوانينهم العريقة .

القوانين القضائية الحديثة لا تقوم بحاجة الناس :

المزاولون لمهنة القضاء اليوم ولا سيما النابهون ليأنون من أساليب القضاء الحديثة . من يراجع محاكم القضاء او يبتلى بها - لا سمح الله - فهو بحاجة الى أمد بعيد ربما يستغرق عمره ليثبت دعواه فضلاً عن النجاح بمطلوبه .

سمعت ـ فيما سلف ـ أحد المحامين الشباب يحدّث : أن بوسعه الاستدامة من محاكمات واقعة بين طرفين حتى آخر حياته ، ثم يورثها إبنه . . ! والآن وقد تحققت أمنية ذلك المحامي الشاب من غير حاجة الى تعمل او تكلف ، فان طبع المحاكم القضائية اليوم تستدعى مراجعات طويلة الأمد لأبسط الدعاوي المرجوعة اليها . الأمر الذي دعى الناس الى الغض عن حقوقهم والصبر على المظالم من غير ان يرخصوا لانفسهم مراجعة محكمة من هذه المحاكم الموجودة في البلاد الاسلامية والتي أصبحت مراجعتها تعطيلاً لمكاسب واعمال وتجارات لا فائدة سوى ذلك ومن ثم كان الأصوب الغض عن الحق والا لتركت دونه حقوق !

ان المحاكم القضائية الاسلامية ـ يوم كانت ـ كانت تحل اصعب المشاكل وتفصل اغمض القضايا في أمد قصيراً لا يعدو اليومين او الثلاثة أما اليوم فان أمد عشرين عاماً لأبسط القضايا لشيء يسير حتى يشيب الصغير ويفنى الكبير اما الدعوى فلا تزال فى دورها الأول . لا يزال المراجع يراجع يومياً من الغداه حتى الاصيل يوماً بعد يوم واسبوعاً بعد اسبوع وشهراً بعد شهر وهكذا اعواماً وسنين . . . وحتى متى . . . ؟ هل من فائدة وهل من نتيجة . . . ؟ كلا !

قانون العقوبات الاسلامية :

قد يتشدّق خصم الاسلام على صفحات كتب او مجلات او صحف : ان العقوبات التي اتخذها الاسلام بشأن الجناة المجرمين يبدو عليها جفاء البداوة الأولى والخشونة التي كانت عليها العرب الجاهلي ، والتي لا تلتئم والمدنية الحاضرة ـ والحضارة المتقدمة اليوم ـ .

انى لاتعجب كل العجب من هذا النوع من التفكير حول القضايا العامة . . ! انهم (الحكام الطغاة في ايران)حكموا على جماعات بالاعدام حتى الموت بجريمة تهريب مثاقيل من الهروئين ، وقد اطلعت أخيراً انهم قضوا على عشرة أنفس ثم على شخص آخر بالموت لنفس السبب .

فى حين أن شقيقة الرجل (الشاه)الذي يترأس هذه الحكومة الجائرة وكذلك شقيقه يستوردان كميات طائلة من هذا العنصر الهدام ويتصديان تجارته بكل حرية وإختيار . فلا يشملهم قانون ولا يمسهم سوء ومن الجدير ان يطبق قانون الإعدام على امثال هؤلاء ، حيث الفساد لابد ان تقطع جذوره ويقلع من الأساس .

لا يكون الاعدام عقاب التهريب :

عندما يضعون هكذا قوانين جافية وقاسية يحسبونها سداً

او حداً للفساد فكانت عدلاً . . ! انا لا اقول باباحة تهريب الهروئين او تجويز استعماله وبيعه ، ولكن اقول : ليست طريقة منعه بهذا الاسلوب القاسي الخشن . . !

انا اذا حكمنا بجلد شارب الخمر ثمانين جلدة نكون قد عدلنا طريقة العدل الى اساليب الخشونة البدوية . . ! فى حين ان اكثر المفاسد الاجتماعية القائمة هي نتيجة شيوع هذا العمل غير الصحي :

ان اكثر تصادم السيارات والانتحار الشايع . وقتل الانفس ترجع عللها الى تناول هذا الشراب الخبيث نعم حيث إعتاد الغرب هذا العمل وأباحه اصبح شيئاً متعارفاً وصحيحاً لا عيب فيه ، ومن ثم كانت العقوبة الاسلامية بشأن شاربها عملاً غير انساني أو خشونة بدائية . . !

لو اردنا ان نضرب شارب خمرة ـ والتي هي ام الخبائث ورأس الفواحش ـ عديدا من السياط . او جلد الزاني او رجم محصن . فعند ذلك تقوم القيامة والطامة الكبرى : ما هذه الوحشية ، ما هذه الخشونة . . ؟ !

فى حين ان القوانين الاسلامية جاءت لتنظيم أمة كبيرة فلابد من منع اسباب الفواحش المبيدة للنسل ومنع اشاعة المنكرات وما اشبه مما اصبح من أخطر الأوبئة العامة التي شملت مجتمعات العالم كله وأخذت بالتفسخ الأخلاقي العام وتبديل الحياة الانسانية بالحياة البهيمية الضارية .

إنهم هم الذين أشاعوا هذه المنكرات وروجوا وسائلها لغايات مادية فردية . . . ولكن الاسلام اذا حكم على مجرم أو جان بالضرب العلني لتكون عبرة للآخرين كان خشناً او جافياً عربياً . . ؟

مجازر فيتنام :

من ناحية أخرى قامت منذ خمسة عشر عاماً مجازر بشرية التقمت آلافاً مؤلفة من بني الانسان ، وتكلفت مصاريف باهضة لا لغاية سوى اشباع نهم الذبح البشري ليس إلا . . .

اما اذا جاء الدستور الاسلامي بوجوب الدفاع عن العدالة وقيام العدل العام في العالم فأمر بالجهاد مع عملاء الظلم والطغيان يقولون - بكل وقاحة - : ما هذا الدين الذي يأمر بقتل النفوس وازهاق الارواح . . ؟

خطط لإبقاء المسلمين على حالتهم المتأخرة :

هناك خطط خططها خصوم الاسلام منذ قرون ، ولايزال ينفذونها عبر العصور :

هناك في بلادنا الاسلامية الآمنة المؤمنة تأسست بضع مدارس تبشيرية فلم يكن من المسلمين سوى الغفلة والسكوت

وحتى رجال الدين تغافلوا فادح الأمر ولم ينهضوا المجابهة طلائع الاستعمار حتى عمت البلية ارجاء بلاد الاسلام وحتى القصبات والقرى منيت بهكذا أوكار شيطانية لئيمة ، واخذت دعاة التبشير يعملون بكل جد في تحريف شبابنا الى النصرانية او اللادينية على الاقل .

ان خطتهم الجهنمية تمهيد وسائل تأخر المسلمين وابقاءهم على حالتهم المتأخرة دون ان يدعوا لهم مجالاً في التفكير أو تصوير أي تقدم أدبي أو سياسي أو اقتصادي أو غير ذلك .

ان غايتهم ان نبقى ـ نحن المسلمين ـ على وضعنا الراهن المخزي . قد احدق بنا الذل والفقر والهوان ، لتكون منابع ثرواتنا الطبيعية وغير الطبيعية في متناول المستعمر الرخيص : ان المستعمر وعملاؤه ـ أبالسة الانس يعيشون في كنف قصور شامخة على سرر متقابلين ـ يعيشون هذه المعيشة الرغيدة على حساب ثرواتنا نحن الامة المسلمة الجاهلة المتأخرة ، اما نحن ففي كدّ ونكد من العيش الضنك الخسيس . . ! انهم خططوا خطة واسعة للاستعمار الفكري قبل الاستعمار الاقتصادي والسياسي ، حتى تسربت فكرتهم الاستعمارية في اوساط دينية ومعاهد علمية ، وبلغ التقهقر مبلغاً لو أراد أن يتكلم أحدهم حول قضايانا الحاضرة أو ان يتبادل الفكر مع الآخرين في معالجة الوضع الراهن كان من الحتم عليه ان يفكر اولاً وقبل كل شيء في اسلوب التقية خشية ان يطلع على نواياه الاصلاحية

ولاة أمر المسلمين وسواهم ممن يدعي الاسلام . . . !

يا عجبا . . ! نخشى المسلمين وولاتهم في قضايا إسلامية . . ! وفي تبادل أفكار في مصالح أمة يحكمها هؤلاء باسم الاسلام .

خلعوا عنا لباس الجهاد فاصبحنا عزلا :

وقد بلغت رزاية الأمر : ان اصبح الزي العسكري منافياً للمروة المعتبرة في العدالة . . . يا للمصيبة . . ! ان الزي العسكري هو زي ائمتنا وكبرائنا ، كان امام المسلمين اميراً وقائداً وعسكرياً وجندياً محارباً كان امامنا امير المؤمنين (ع) يذهب الى مقاتلة الاعداء بزي عسكري يلبس لامته وخوذه حاملاً لسيفه كاحد أفراد الجنود المجاهدين ، وهكذا سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام وكذلك الأئمة من بعده لولا ان منعهم ولاة الجور .

أفهل - بعد هذا - يكون الزي العسكري منافياً لعدالة الامام ولا ينبغي للامام العادل ان يلبس اللامة والخوذة أو يأخذ الرمح أو السيف أو البندقية وإلا فهو خارج عن العداله يا للرزاية . . ! يا للرزاية والمصيبة من هكذا أفكار يطرب لها المستعمر وتضحك من عقولنا الشعوب .

انها دعايات أجنبية بلغت بنا حالة نحتاج معها لاثبات نظرة الاسلام الحكومية - وان للاسلام اسس انظمة الحكم

والدستور - نحتاج الى التماس أحاديث من هنا وهناك أمثال مقبولة عمر بن حنظلة وما شابه ، الأمر الذي كان ضرورياً ومن صميم الاسلام قبل ذلك . . !

ذهبوا بأحكام الاسلام الانتظامية :

من ثم آل الامر الى تدخل الأجنبي - المباشر وغير المباشر - فاستبدلوا من اسس وأنظمة الاسلام القضائية والسياسية قوانين واحكاماً غريبة غريبة ، لغاية الازراء بشأن الاسلام والحط من كرامته الشامخة . فقـــد فعل العدو فعلته الأخيرة سواء بيده مباشرة أو على أيدي عملائه الأذلال . . !

شده لا مبرر له :

اما نحن فاصبحنا مشدوهين ، بهرتنا رنة الصناعات الغربية حسبنا جماع معالم الحضارة في ظل التقـدم الميكانيكي الذي حازه الغرب ، فكان من الدليل كافياً ان صعدت امريكا الى القمر فكان لزاماً علينا - نحن ابناء الشرق - نبذ جميع احكامنا الاسلامية واستيراد قوانين اجنبية بحجة تفوق الغرب على الشرق الصناعات الآلية . . !

ما هي الصلة بين الصناعة والحقوق . اذا اقتدر الغرب .

على اختراع آلة الصعود الى القمر أو المريخ أو أي كوكب آخر ، فهل هذا يصلح دليلاً على نبوغه في مجال الحكم والقضاء والعدل او ان غزو الفضاء يستدعي غزو القضاء ! ؟ الحكم الاسلامي الخالد هو الذي يقوم بتدبير الحياة على النحو الاكمل الاصلح لتأمين سعادة الدارين . . ! ؟

القانون بحاجة الى منفذ :

ان هؤلاء (المستعمرين) قد قلبوا علينا وجهة النظر الى اسلامنا الحبيب ، وهكذا افهمونا ونحن تقبلنا منهم : ان الاسلام لا يملك أحكاماً إدارية وانما هو معني بشؤون العبادات ولو فرض انه تعرض لأحكام قضائية وسياسية وادارية فانه لا يضمن اجرائه ، وانما هو مشرع وليس بالمجرى . . !

والآن اسألكم . نحن نعتقد ان على رسول الله (ص) تعيين الخليفة بعده . لما هذا التعيين ؟ ألبيان الأحكام فحسب ؟ هذا لا يحتاج الى تعيين الخليفة ، لانه صلى الله عليه وآله قد بين الاحكام بنفسه الشريفة كملاً وبلغها الى أمته ، ثم ماهذا التكلف ، فقد كان من الممكن ان تدون الاحكام والقوانين المجردة ضمن كتاب ويودعه الأمة يعملون عليها عبر العصور . . !

نعم ان الحاجة الى الخليفة جاءت من قبل ان الاسلام حكومة ودولة . وجاءت حاجة الامة الى الخليفة لمكان احتياج

الدولة الى رئيس واحتياج القانون الى مجر ومنفذ .

هذه هي الناحية الخطيرة التي دعت النبي (ص) الى تعيين الخليفة ، واحوجت الأمة الى أمير عادل يحكم في الرعية بالقسط والعدل ، وذلك نظراً الى أن مجرد وضع القانون ليس بالمهم مالم يكن هناك ضامن اجراء ، فبما ان الاسلام قد وضع القانون - وتصدى التشريع - فعليه تكميل هذه الناحية بجعل الولي على الامة يكون منفذاً لهذا القانون ومطبقاً لهذا التشريع . ومن ثم جاء الخطاب : « فان لم تفعل فما بلغت رسالته » حيث ان النبي لو كان أهمل تعيين ولي الامر بعده كان قد أهمل أصل تشريعاته التي يتركها من غير ضامن اجراء هملاً وهباءً منثوراً . . . !

لابد من حكومة اسلامية فلنؤسسها :

أسترعي إنتباهكم الى نقطة مهمة وهي :

انه لابد من معاكسة خطة الاستعمار ومكافحة تعاليمه المؤسسة . ان الاستعمار قد عمل منذ ثلاثة او اربعة قرون في تحميل فكرته وفرض خطته على نفوس وعقول أمتنا ، فقدغزى الاستعمار افكار وعقول المسلمين قبل ان يغزو بلادهم ويسلب ثرواتهم . . . فعلينا معاكسة هذه الفكرة الاستعمارية معاكسة في الصميم ، إنهم بدأوا العمل من نقطة الصفر ثم وصلوا الى

قمة العدد الهائل بجهود متواصلة ، وعلينا الآن أن نبدأ من رأس الخط ونكرّس جهودنا على مواصلته على نهاية المطاف إن شاء الله .

فاولاً - وقبل كل شيء - لابد ان نفهم من الاسلام معناه الصحيح ثم نعرّفه للملأ ، ونبيّن شمول احكامه وخلود قوانينه وصلاحيته للحكم العادل على الشعوب عبر الدهور . ان السعى وراء تنفيذ هذه الخطة المعاكسة لخطة الاستعمار يحتاج الى وعي ومواصلة وتضحية . فى مجال القلم وفي مجال الخطابة . لنكون مجاهدين في بث الدعوة بكل قوانا وبجميع استعداداتنا ، ولا نتوقع التوفيق العاجل فان العمل للآجل . على المرء ان يسعى بمقدار جهده . وليس عليه ان يكون الموفّقاً . فان الله هو الموفّق ، فاليوم عمل وغداً النتيجة لنا او لأبناءنا ، وعلى أية حال لابد من العمل والتضحية فى سبيل أمة : هي أمة كبيرة اتسعت رقعة واسعة من الأرض ولها تاريخها المجيد وستبقى مع الخلود .

فصل الدين عن السياسة فكرة استعمارية :

عليكم - أيتها الزمرة المجاهدة في سبيل الله - ان تعرّفوا للملأ واقع الاسلام ، كي لا يظن الناس - على اثر الدعاية الاستعمارية - ان وظيفة رجال الدين هو القبوع فى زاوية

النجف او قم او أية حوزة من الحوزات العلمية ودراسة أحكام عبادية مجردة من مسائل حيض ونفاس وصلاة وصيام فحسب وما لهم والتدخل في سياسة الدولة ؟

قال المستعمر ـ ومن ورائه عملاؤه الأنذال ـ : لابد من فصل السياسة عن الدين . . !

أقول : لماذا هذا التفكيك ؟ ألم يكن النبي صلى الله عليه وآله يمارس بنفسه الشريفة شؤون سياسة البلاد . وكذلك خلفاؤه الأئمة الراشدون .

ان المستعمر يريد فصل الدين عن الدنيا لكي لا يتصرف الدين في امور الدنيا ، ولأنه يريد الدنيا ولا يهمّه ان ترك لنا الدين المجرد . لكنه بالرغم منه لا يكون ذلك ابداً . فلا يمكن فصل الدين عن السياسة . كما لا يمكن فصل السياسة عن الدين .

العبادات الشكلية لا تضر بمنافع المستعمرين :

لو كان المسلمون يقتصرون على صلاة وصيام واذكار واوراد مستحبة وواجبة من دون ما تجاوز لهذا الحد لم يكن المستعمر ليتعرض الاسلام ولا لتحوير أسسه ونظمه او المس من كرامته اطلاقاً ، بل كان ينادي : استمرّوا أيها المسلمون في عباداتكم اذا سلمناكم منافع البلاد وثروات العباد فاقتصروا على قول :

« لا حول ولا قوة الا بالله » وسوف يعوّضكم الله في الآخرة خيراً منها ويثيبكم على ما صبرتم جزاء الصابرين . . !

لو كنا نحن المسلمين من ذي بدء ننتهج هذا المنهج السلبي لم يكن المستعمر الذي يهمه إستغلال البلاد واستلاب العباد . ليتعرض الاسلام في شيء .

سأل أحد الموظفين الانكليز ـ عند الاحتلال البريطاني العراق ـ : ماذا يقول المؤذّن على المأذنة ؟ قيل له : لا يمس سياستكم . ! قال : فليقل ما شاء . . .

المستعمر يريد منابع ثرواتنا وفي مقدمتها البترول :

فليستمر المسلمون في صلواتهم وعباداتهم وليدأبوا في أدعيتهم وأذكارهم واقامة شعائرهم اقامة شكلية ، ان المستعمر يهمه البترول وسائر منابع ثرواتنا الطبيعية وغير الطبيعية . !

انه يريد ان يفقدنا الاحساس بالظلم فلا نشعر بما تستحوذ علينا أبالسة الاستعمار ، انه يخاف وجود انسان ذي شعور يطالب بحقه المسلوب ، يخافه بنفسه او من سيعقّبه من ذرية ونسل ، ولذلك كلما عثروا على انسان يملك شعوراً او يحس بواقعه المهضوم ، فيعمد المستعمر اما الى قتله او الصاق وصمة اليه ، واذا كان من رجال الدين فأخطر وصمة اجتماعية هورميه بالسياسة ، : « عالم سياسي فاجتنبوه » فكأن الدين والسياسة

شيئان متضادان لا يجتمعان ، ومن ثم هذه الوصمة التي أثيرت في نفوس الخاصة فضلاً عن العامة ، انها دعايات استعمارية تهدف الى ابعاد رجال الدين عن ساحة السياسة وعن التدخل في شؤون الدولة اطلاقاً ، لكي ينطلق عملاء الاستعمار في أعمالهم التعسفية ويبيعوا بلاد الله وعباده لاولياء الشيطان بأثمان بخسة رخيصة ، فلا يصطدموا فى مصيرهم الاسود مع أي مانع أو رادع . . .

كلا ثم كلا . . . ان رسول الله صلى الله عليه وآله هو أول رجال الدين السياسيين وبعده الائمة الهداة المرضيون ، ونحن على آثارهم مقتدون وسوف نلتقى مع الفتح النهائي ان شاء الله بحوله وقوته « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا » .

المحاضرة الثانية

السبت ١٦ ذوالقعدة سنة ١٣٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

لكي نتفهّم ولاية الحاكم الاسلامي في مفهومها الواقعي لابد من معرفة ان الاسلام لم يكن مجرد وظائف عبادية تقرر مسؤلية الفرد تجاه خالقه فحسب . بل ان الاسلام جاء لتركيز اسس ومقومات حكومة عادلة واسعة النطاق شاملة ، وان الأحكام التي جاء بها لتناسب هذه الوجهة من الاتجاه العام ، الامر الذي لا يحتاج الى إقامة برهان او التماس دليل .

النبي (ص) قام بتشكيل حكومة :

عندما نرجع الى تاريخ الاسلام نرى ان النبي (ص) قام بتأسيس حكومة متماسكة ، وارسل الولاة من قبله يحكمون العباد والبلاد ، وهكذا الخلفاء من بعده ، ولم يختلف أحد من المسلمين فى ضرورة تشكيل الحكومة الاسلامية منذ الصدر الاول ، وانما الاختلاف كان فى نوعية تشكيلها وفي الشرائط اللازمة فى شخص الحاكم الاسلامي . أما أصل الحكم وادارة

الشؤون العامة القائمة بشخص رئيس الدولة فقد كان من صميم الاسلام ومن أوليات أسسه وتخطيطاته العريضة . ولا أظن أحداً يشك في ذلك . . .

النظام المالي في الاسلام يهدف الى تأسيس حكومة :

مع الغض عن تخطيطات الاسلام العريضة فى جوانب مختلفة من الحياة العامة التي هي أدل دليل على استهداف الاسلام لتأسيس حكومة واسعة من غير ريب ، مع الغض عن ذلك ، فان فى اسلوب النظام المالى الذي خططه الاسلام أكبر شاهد وأجلى برهان على ذلك .

مثلاً ـ أسّس الاسلام صندوقاً مالياً موسعاً (بيت المال) يعتمد على موارد وفيرة تؤمن نشاطه المالي الدائم رغم المصارف الفادحة التي تثقل كاهل الدولة لولا تأمين الوارد المستمر الذي استلفت نظر الاسلام منذ عهده الاول ، واسترعى إهتمامه البالغ فكان ناجحاً مع الابد . الامر الذي ان دل فانما يدل على تعميق النظرة الاسلامية بصدد تأسيس حكومة متراصة قوية ذات ميزانية وفيرة كافلة لأدارة جميع شؤون الدولة المالية على الاطلاق .

فمن تلك الموارد الضخمة : (الخمس) : فرض مالي عام على أرباح المكاسب والتجارات والصناعات والزراعات وعلى

المعادن وسائر منابع الثروات الطبيعية . والخلاصة ان الاسلام قد جعل على محاصيل الانتاج المالي بعد وضع المصاريف والمؤن فرضاً مالياً عادلاً : هو الخمس ، يؤديها المجتمع من أبسط فرد يحترف بيع البقول الى أثرا شخص يتداول الملايين ، كل يقوم حسب امكانياته بتأمين ميزانية الدولة تقسيماً عادلاً لا يئن تحت وطئته أحد على الاطلاق .

والخمس - على هذا التفصيل الذي يقول به الامامية - مالية ضخمة اذا ما قيست التجارات والصناعات العالمية الكبرى لو فرض يوماً - وسيكون ان شاء الله - أن طبق الاسلام على أرجاء المعمورة بكاملها فان الخمس على ذلك يصبح ذا شأن كبير وباستطاعته ادارة شؤون أكبر دولة قائمة على وجه الارض .

ويا لقصر النظر لو قلنا ان تشريع الخمس جاء لتأمين معايش ذرية الرسول صلى الله عليه وآله فحسب . ! إنه يكفيهم ويزيدهم جزء ضئيل من آلاف جزء هذه المالية الضخمة ، بل تكفيهم أخماس سوق واحدة - كسوق بغداد مثلاً - من تلك الاسواق التجارية الكبرى ، كاسواق طهران ودمشق واسلامبول وما أشبه . اذن فماذا يصبح حال بقية المال ؟

ولذلك نقول : ان الخمس ضريبة اسلامية عادلة جعلت على أرباح مكاسب المسلمين تأميناً لميزانية الدولة الاسلامية في مصاريف شؤونها الداخلية والخارجية وفي عمارة البلاد وإصلاح شؤون العباد .

هذا مضافاً الى سائر الضرائب التي جاءت في التشريع الاسلامي باسم الخراج والمقاسمة وفرض الإتاوة (الجزية) والزكاة وغير ذلك ، مما يدلنا - بوضوح - على نظرة الاسلام الحكومية العامة .

هذا مضافاً الى ان نظام الحكم الاسلامي العادل لا يتطلب تكاليف باهضة لشؤون تافهة او في غير المصالح العام كما تورطت فيه سائر الدول والحكومات البائدة والحاضرة . ومن ثم فان ميزانية الدولة الاسلامية قائمة ووافية على الدوام .

الرئاسة الاسلامية لا تستدعي تكاليف التتويج :

بما ان رئيس الحكومة الاسلامية لا يتخذ لنفسه امتيازاً شخصياً او يخلق لنفسه أبهة وجلالاً اصطناعياً ، ولا يفترق في عيشته الفردية وسلوكه الشخصي عن سائر افراد الرعية ، بما انه كذلك فان مقام الرئاسة في الاسلام لا يستدعي تكاليف تدثر ميزانية الدولة تحت وطئتها الثقيلة .

في الواقع ان الاسلام لم يتجلّ لاغلبية الناس بحقيقته الناصعة البيضاء . حيث الدعايات الكاذبة مزدحمة دون جلاء الحقيقة . ولذلك عندما نعبّر عن الاسلام بالحكم والحكومة او الدولة والسياسة ، يتصور الناس أننا نعني حكومة على غرار سائر الحكومات الحاضرة ، أو دولة قائمة على نفس الاساليب

التي تقوم عليها الدول في القديم وفى الحاضر . . . كلا ثم كلا ان الاسلام حكم ما حكم ولم يكن الرئيس ليتميز عن المرئوس كان أحدهم يدخل المسجد ويتسائل من منكم محمد (ص) ؟ !

أتزعمون أن علياً عليه السلام لما جاءته الخلافة قام باحتفال رهيب تكلفت مصاريفه ثمانمائة مليون تومان - حسب ما يقال عن التتويج الذي قام به الشاه - !

إن عليا (ع) عندما ازدحمت على بابه جماعة المسلمين واختاروه خليفة واعتدل له عرش الزعامة قام مع عامله الاجير ليعملا فى استنباط عين كان قد بدء فى عمله من قبل فأتمه ، هكذا كان زعيم المسلمين يهتم بشؤون زعامته مما يرجع الى شخصه الشخيص .

ان مقر قيادتنا الاسلامية هو مقر عبادتنا اليومية (المسجد) فمنه كانت تجهز الجيوش . وفيه كانت تنعقد الجلسات وتبرم الاحكام ابراماً . وفي الأغلب لم يكن بساط او فراش يفصلهم عن تراب الأرض ، بالرغم من قوتهم ونفوذ ارادتهم وبعد أفكارهم

من ذا ينبغي ان يكون الحاكم الاسلامي ؟

كان علي اميرالمؤمنين عليه السلام يعيش فى ابسط عيش يعيشها الفرد المسلم ، ولكي يبرهن للعالم مفهوم الحكومة العادلة كان قد رضي لنفسه من جشوبة الحياة ما لا يتمكنه اقل الناس

حظاً من الحياة .

اذا كان الرئيس يمضي على هذه الوتيرة فانه يضرب حداً دون اي تصرف غير لايق في مالية الدولة فلا يجسر أحد من زبانية الدولة ان يصرف الكميات الطائلة على حساب الشؤون الشخصية باسم مصالح الحكومة او الشعب .

اذا كانت الحكومة عادلة ، وكان الأمير واعياً أميناً فان الميزانية بدلاً من ان تنقص وتحتاج الى الاستدانة فانها ترتفع شيئاً فشيئاً لتستغني استغناء ، هذا ولم تكن ضريبة الخمس جباية لتأمين حاجة السادة من آل الرسول (ص) فحسب او الزكاة توفيراً على الفقراء والمساكين ، لانها تزيد على حاجتهم بأضعاف فهل بعد ذلك يغض الاسلام عن جباية الخمس والزكاة وما أشبه - نظراً الى تأمين حاجة السادة والفقراء - اويكون مصير الزائد طعمة البحار او الدفن في التراب ونحو ذلك . . ؟

كان عدد السادة ممن كان يجوز لهم الارتزاق بالخمس يومذاك لم يتجاوز المأة . واليوم نفرض عددهم نصف مليون وليس من المعقول ان نتصور اهتمام الاسلام بفرض الخمس - هذه المالية الضخمة والتي تتضخم وتزداد في تضخمها كلما توسعت التجارات والصناعات كما اليوم - كل ذلك لغاية اشباع آل الرسول صلى الله عليه وآله . . ! كلا .

نعم ان صندوق الدولة الاسلامية ذو جوانب وفروع ، فرع تتجمع فيه الاخماس . وفرع تتجمع فيه الزكوات .

وفرع تتجمع فيه الخراجات وهلم جراً . فقد قرر اعاشة فقراء السادة من آل الرسول (ص) من صندوق الاخماس ترفعاً بمقامهم العلي ان يتناولوا من اوساخ الناس ـ كما في الحديث ـ وقرر اعاشة سائر فقراء الناس من صندوق الزكوات وهكذا قرر لجوانب المصاريف محلها وموردها ، لا ان صندوق الاخماس وقف على طائفة وصندوق كذا وقف على آخرين . . !

فقد جاء في الاثر ان فقراء السادة اذا زادهم السهم المدفوع اليهم عن كفاية عامهم يردون الزيادة الى الامام ، واذا نقصهم يكملهم الامام من نفسه ، الامر الذي يدل على انهم مصرف من مصارف الخمس لا الانحصار .

الاتاوة والخراج :

من ناحية أخرى كانت الاتاوات المفروضة فى الاسلام على أهل الذمم على الرؤوس وعلى الاراضي الخراجية تتكفل جانباً كبيراً من بيت المال . وليس من الضئالة ان يتصدى جمعها وصرفها أنا وأمثالي ممن لا يملك الحكم والسلطان ، مما يدلنا على ضرورة حكومة ذات قوة وشكيمة تتصدى الامر بقوة وارادة نافذة ، كل ذلك يرتبط والجانب المالي الضخم الذي اهتم به الاسلام وهدف الى تشكيل دولة مترامية الاطراف متماسكة وليس بالعبث .

التأهب العام :

جاء الامر بالتأهب العام موجهاً الى المسلمين كافة «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» فقد فرض على عامة المسلمين ان يعدوا عدتهم لمواجهة الأعداء وأن لايتقاعسوا او يتكاسلوا او يتوانوا في منابذته بما يملكون من حول وقوة ، بل ويزيدوا من قوتهم وشوكتهم كي لا يقعوا فريسة العدو ، ولا تتلاعب شرذمة يهودية بمقدرات المسلمين هذا التلاعب الفاضح ويصبح المسلمون مغلولي الايدي مندهشين بما دهمهم من مباغتة العدو بهذا الشكل المفضوح كان الاسلام يهدف وراء هذا التأهب تأسيس حكومة قوية الجوانب مترابطة متماسكة كالتي كانت وستكون ان شاء الله . اما هذا التفرق والاختلاف والضعف الذي عليه المسلمون اليوم فلم يكن يتمخض سوى هذا الخزي والعار الذي لا يغسله الا الدماء.

لو كانت لنا حكومة اسلامية ـ بما تملكه هذه الكلمة من مفهوم واقعي ـ لم يكن ليتسلط هذه الشرذمة المنبوذة التي لفظتها الشعوب والامم على رؤوسنا نحن المسلمين ـ يالسوء الحظ ـ اننا بضعفنا وتكاسلنا وتقاعسنا عن الواجب اننا نحن الذين جلبنا على انفسنا هذا البلاء وهذا العار فقد طردونا عن بلادنا واستلبونا أراضينا واستولوا على مقدساتنا ودمروا وخربوا

وأحرقوا كما فعلوا بالفعل وتناولت يد اسرائيل الاثيمة احراق أولى قبلة المسلمين ومن المفضح جداً قيام عميل اسرائيل ـ الشاه ـ بفتح صندوق اعانة لترميم المسجد الاقصى ، ظناً منه ان سيقدر على محو آثار الجناية التي ارتكبتها يد اسياده الصهيون الأثيمة مضافاً الى استفادته الشخصية فيملأ حقيبته قبل كل شيء . . ! في حين اننا نصرخ وننادي : دعوا بقايا المسجد الاقصى على وضعها المؤلم ، فليبقى الى الابد هذا الأثر كوصمة عار تتسم بها جبهة الصهيونية فلا يمحوها سوى سيف الحق وسوط العدالة الكبرى .

هذا ونحن كثير وهم قليل . . ! نحن ننظر ونولول ونصرخ وهم يعملون ويجدون في بناء قوميتهم وتحكيم دولتهم ونفوذ خطتهم ، ان ذلك كله معلول علة واحدة وهي ضعفنا واختلافنا وتشتت اتجاهاتنا ورغبتنا الى تأمين مصالح شخصية ودؤوبنا في خلق اضطرابات داخلية ومن غير ان نهتم بسائر الشؤون لم تكن أمريكا ولا دولة أخرى لتجرأ تحميل هذه الشرذمة على اكتافنا نحن الخراف لولا ان لمست جوانب الضعف وتشتيت القوى من هذه الامة المبعثرة على رقعة واسعة من الأرض من دون جدوى .

الدول الاسلامية في ترف وبذخ :

ان صح التعبير بوجود دول اسلامية فانها على غير استعداد

للدفاع عن كيان الاسلام ، ان اشتغال رؤساء الحكومات الاسلامية بمصالحها الشخصية وفي تمهيد وسائل الترف لا يدع لهم مجال الاجتماع والتفكير في معالجة الداء الخطر المشترك ، انهم على العكس من ان يتقدموا في معالجة المشكلة الفادحة يرجعون القهقرى ويتركون بلاد الاسلام وعباد الله العوبة اسرائيل تحكم في مقدرات الاسلام والمسلمين بلا خجل . يا للفضيحة والعار والضعف والانكسار .

اننا أصبحنا مستضعفين فى الارض بعد ان كنا أقوياء . اننا نسترحم الامم في حالتنا الحاضرة بعد ان كنا نرحم الشعوب ونخلصهم من براثن الظلمة لبسط العدل الاجتماعي العام .

اننا في يأس مرير من قيام حكوماتنا الحاضرة بأي عملٍ ايجابي في مصلحة المسلمين ، ولابد من تفكير فى وضعنا وفي معالجة مصيبتنا الحاضرة تفكيراً جذرياً ترسو قواعده على أسس اسلامية صحيحة لاعادة مجدنا التليد الذي طالما سعى المستعمر وأذنابه في إبعاده عن صفحة الوجود .

وأحكام أخرى :

تلك كانت نظرية الاسلام العملية والتطبيقية في تأمين ميزانية الدولة ، وهناك احكام أخرى تؤكد ضرورة تشكيل دولة اسلامية مبسوطة اليد قوية صالحة لتنفيذها وإلا تصبح

لغواً يتنافى ونظرة الاسلام الحكيمة ! تلك أحكام القصاص والديات لايمكن القول بأنها تشريعات القيت على كاهل الناس هم يطبقونها على انفسهم بانفسهم رهن العقيدة الايمانية كالصلاة والصيام . . ! كلا . انها اجراءات جزائية واحكام قضائية لا يرضخ لها الناس تلقائياً ما لم يكن هناك قوة منفّذة تتعهد اجراءها بعدل . الامر الذي يحتم تشكيل حكومة قوية قائمة على اساس العلم والعدل .

دولة ام فوضى ؟

إني أوجه اليكم سؤالاً :

اننا في عصر الغيبة الكبرى وقد طال الأمد اكثر من الف ومأتين عاماً وربما تطول أحقاباً من الدهر قبل أن تتحقق الظروف المناسبة لظهور الحجة المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ والآن فان الاحكام الاسلامية وقوانين الشريعة هل تهمل وتترك الى زمان الظهور ليبقى الناس في فترة الغيبة الطويلة الأمد بلا تكليف وأنهم في منطلق عما يشتهون ومعنى ذلك ان الشريعة الاسلامية كانت لفترة محدودة مدة قرنين فقط . . ! وهذا من أفضح النسخ في الشريعة الذي لا نقول به ولا يقول به مسلم أبداً . ان دين الاسلام دين الخلود وسيبقى مع الدهر ، وان احكامه النظامية والسياسية وقوانينه الادارية والعسكرية لاتزال

صالحة التطبيق على الحياة العامة من غير تحوير قيد شعرة . هذه عقيدتنا وعقيدة كل مسلم عرف واقع الاسلام ودرس قوانينه باتقان وقارن بين أحكامه وحاجات البشرية في الحياة . انه لم يزل الاسلام حاجة بشرية ودين الفطرة عبر العصور ولا يزال ولن يزول .

وبعد فاذا كانت الاحكام الاسلامية النظامية والسياسية قائمة على ساق ، ومن الواضح ان اجرائها رهن القوة التنفيذية وبحاجة ماسة الى ضامن اجراء مبسّط اليد نافذ الكلمة مطاع على الاطلاق .

اذا كان الواقع كذلك فهل عيّن الاسلام فى دستوره مشخصات هذا القائم بالأمر ولا سيما في هذا العصر ـ عصر الغيبة ـ او ترك الناس سدى يتخبطون خبط عشواء كقطيع غنم لا يرعيها راع او كجيش لا يقودها قائد ؟ يعني ترك الأمر فوضى . ؟ كلا ثم كلا . ان الاسلام تصدى علاج الأمر بانجع علاج : انه فوض تولي أمور المسلمين الى الفقهاء العدول : « من يجتمع فيه العلم والعدالة » وهذا هو الشرط المعتبر توفره في ولي الأمر على الاطلاق .

وعلينا تشكيل الحكومة :

لعن الله اولئك (المستعمرين) الذين حددوا من وظيفة

الفقهاء القيام بوظائف العبادات وبيان احكامها من طهارة ونجاسة وتزكية نفس ودعاء ومناجاة. قاتلهم الله أنى يؤفكون.!

ان وظيفة الفقيه العارف باحكام الشريعة هي النهضة والنفضة واعلاء كلمة الله في الارض والمجاهدة وتطهير ارض الله من اعداء الله. ان وظيفة الفقيه حمل السلاح وقيادة الجيوش ومكافحة خصوم الاسلام في ميادين الجهاد المشرفة.

إن وظيفتنا ـ نحن الفقهاء ـ قبل كل شيء تشكيل حكومة اسلاميه صحيحة قائمة على اساس العدل والمعرفة ! الاسلام يصرح بضرورة تشكيل حكومة. العقل ينادي بضرورة تأسيس دولة. القرآن يقول : « واعدوا لهم ما استطعتم...» وان احكام الاسلام لتشهد بانها دستورات إصلاحية عامة على اسلوب حكومة عادلة.

ما دام لم تؤسس حكومة عادلة. ما دام لم تتهيأ ميزانية مالية كافية لا نستطيع المحافظة على الحدود الاسلامية وسد ثغورها، ان كنا لا نجاهد في سبيل توسعة الاسلام فلا اقل ندافع المهاجمين على حدودنا الشرعية التي لم يحترمها العدو اللدود بكل قسوة وجفاء. ليس بوسع افراد المسلمين القيام بعمل ايجابي نافع مالم تتمركز القوى في ثكنة الدولة العادلة ان الدفاع عن حقوق المسلمين وتطهير البلاد من الفئات الكافرة التي استغلت البلاد والعباد ان ذلك باستطاعة الدولة القوية العارفة بشؤون الادارة العامة في ظل العلم والعدالة الإجتماعية.

أوكار الجواسيس :

ان الحكومة الاسلامية الصحيحة باستطاعتها قطع ايادي المستعمرين وهدم أوكارهم التي لا تخلو منها بلدة من بلاد المسلمين ، فتهدم الكنائس المستجدة في بلاد المسلمين وتبطل نواقيسها العارمة .

ان هذه الأوكار الجاسوسية لا تزال تزداد يوماً فيوماً ، وان حكوماتنا الحاضرة التي تدعي حمايتها عن الاسلام لتمدهم بالعدة والمال ومن ثم فان تيار الدعايات الاستعمارية يتضخم حسب الساعات والدقائق في ذلك الهندام المشؤوم .

ان كتب ونشرات المستعمر لتجول وتصول في عرض بلادنا وطولها بكل حرية وإختيار ، لكن لو حاولنا نشر كراسة معاكسة لخطة الاستعمار نصطدم مع خلق مشكلات الرقابة وادارة النشر والتأليف وأخيراً فان حظنا المنع الأكيد . . . لماذا . . ؟

ايران تحت وطئة اسرائيل :

لقد استولت القدرة اليهودية على مقدرات المسلمين . وان اسواقهم تحت رحمة اسرائيل ، ان لليهود قواعد حربية مستحكمة

في ايران ، وقد استولوا على ثروة المملكة كما كانوا من ذي قبل في بغداد وقد لعبوا دورهم الخبيث في مقدرات هذا البلد الاسلامي العريق . والآن وقد وجهوا كل استعداداتهم في تهريب وسلب ثروة طهران انهم لن يغضوا النظر عن منابع الثروة الاسلامية ، واننا نستصرخ ونستغيث بلا جدوى ، لاننا ضعفاء اما الذين يملكون القدرة فانهم عملاء مستأجرون لا يهمهم ما يحل ببلاد المسلمين وما يصيب عباد الله من الذل والهوان .

انها وامثالها هي مصيبتنا الكبرى فهلا يحق بنا الدعوة الى تأسيس حكومة عادلة قوية قائمة على اسس اسلامية ركينة؟ أم وظيفتنا السكوت والغض عما يفعله العدو بنفوسنا واعراضنا واموالنا وبلادنا . . ؟!

الشعوب معنا :

تذكرنا فيما سبق : ان لابد للعمل الايجابي ان نشرع من نقطة الصفر . لا تحسبوا ان الرجال او الفئات التي قامت بالاصلاحات العامة كانت وسائل العمل لهم موفرة من يومهم الأول ، غير أنهم كانوا رجالاً محنكين فبدأوا بالعمل لا يثقون الا بقوة ارادتهم الجبارة وشرعوا العمل من لا شيء فوصلوا الى تلكم النتائج الضخمة الشامخة .

ونحن ـ مع العلم ان ارادة الشعوب معنا ويميلون الينا

اندفاعاً من فطرتهم الاولى ، ومن واقع طبيعتهم الهادفة الى الحق والى من قام بالحق وطالب الحق .

اقول : ان الناس معنا ولا يرغبون في اولئك (عملاء الاستعمار) في شيء ، لكنّا لخمودنا وخمولنا ظللنا قعوداً مع القاعدين غير آبهين بما يريده الاسلام منا من النشاط والحيوية والفعالية والجهاد في سبيل العدل والحق . ولم نتفهم واقع الاسلام وما هدفه فى الحياة ، وما هو الداء العويص الذي ابتلى به الاسلام من جراء بطالة ابناءه ؟ ، وما فكرنا يوماً في معالجة هذا الداء الوبيل وماذا تكون وظيفتنا تجاه هذا السيل العارم من الدعايات الاجنبية الكافرة هكذا قبعنا عقر دورنا وتركنا الطريق مفتوحاً امام العدو المحارب المجهز بكامل العدة والعدد .

انفصال عارم بين رجال الدين والجامعيين :

على اثر تواصل الدعايات الاجنبية الاستعمارية منذ مآت السنين حصلت الشقة الواسعة بين معاهدنا العلمية الدينية والجامعات الكبرى ، وقد سعى المستعمر في توسيع هذه الشقة لغاية ابعاد شبابنا عن الاسلام وعن فقهاء الاسلام لحد بالغ فظيع ، الامر الذي جعل ينظر بعضهم الى الآخر نظر الخصوم فقد يعبر المثقف عن رجل الدين بالمرتجع البائد . ويعبر هذا

عن ذاك بالمتجدد المشدوه . . !

وهذه التفرقة والتحزّب المخرّب هي من صنع المستعمر الغاشم الذي طالما فكر فى تمزيق هيكل الامة الاسلامية الموحدة « فرّق تسد » ان الاحزاب - بمفهومها الصحيح - التي تقوم بالاعمال الاصلاحية الكبرى فى الغرب لا تجد منها أثراً يذكر في هذه البلاد الشرقية على الاطلاق . انها تحزبات او شئت فقل : عصابات إرهابية تسهر على تحطيم بعضها البعض ، وبالنتيجة انهيار للقوى وصرف للطاقات في سبيل إضعاف الامة من نفسها وهلاكها النهائي ، الأمر الذي يطير له المستعمر فرحاً ، ويقدره نعمة عظيمة . . !

تجزئة رقعة الاسلام الكبرى :

ان الحكومة العثمانية - مع عدم كفاءة سلاطينها وعدم تنظيم ادارتها - كانت مهيبة رهيبة ، يخافها الغرب والشرق ، لا لشيء سوى سعة رقعتها وضخامة هيكل أمتها . كانوا يخشونها خوف أن يترأس هذه الامة الكبيرة يوماً ذو كفاءة وجدارة فلا يدع مجالاً للتدخل الاجنبي ويقطع دابر القوم الذين كفروا . . !

لقد سعى المستعمر بكل جهده وجده واعمل جميع قواه وامكانياته في تحطيم هذه القوة المحتملة . فقطع أوصال هذه الجثة الضخمة ووزعها اشلاء فاصبحت تتراوح بين ١٤ - ١٥

دولة صغيرة لا يتجاوز بعضها شبراً من الأرض . . ! وفضلاً عن ذلك فقد أودع المستعمر ادارة شؤون كل دولة من هذه الدول الصغار الى عميل او موال مخلص مطيع لا وظيفة له سوى تنفيذ خطة أسياده المستعمرين . . !

٧٠٠ مليون مسكين :

لو كان المسلمون البالغ عددهم ٧٠٠ مليون - على مايقال - اتحدوا جميعاً ، ورضخوا تحت حكم الاسلام ذلك الحكم العادل الذي يترأسه حامل فأسه ليعمل في خدمة أمته بكل جدٍ واخلاص . . . لو كان المسلمون كذلك لم تكن امريكا لتجرأ او تجسر الى هذا الحد من الوقاحة ، وتدخلها المباشر في شؤون هذه الامة المتعوسة . . ! ولم تكن روسيا لتقدم على تلكم الاعمال التخريبية ضد الاسلام والمسلمين .

ان ذلك كله من جراء عدم لياقتنا ، وفقد جدارتنا ، نقطة ضعف استغلها المستعمر الواعي . انهم استغلوا هذا الضعف والهوان الذي نمتاز به من بين سائر الامم ومن ثم جعلوا من المسلمين ٧٠٠ مليون عاجز مسكين عار جوعان باستثناء عدد قليل من مترفين أغبياء سمتهم اللاقيدية والعمالة . هذا هو واقع المسلمين المرير في وضعنا الراهن .

قلبوا الحكومة الاسلامية الى السلطنة :

إنها أدواء لا تمس واقع الاسلام ولا هي من الاسلام في شيء ، ان هذه الامة هي التي قلبت الاوضاع في ضد مصلحتها وأطاحت بحظها من يومها الاول : كان النبي صلى الله عليه وآله في عهده الزاهر يحكم حكمه الالهي العادل ولما ان قضى نحبه وارتحل الى جوار ربه وقفوا سداً في طريق اجراء الحكم الاسلامي العادل ولم يتركوا مجالاً لتنفيذ قوانينه الصالحة كما يريده الله ، فلم يظهر واقع الاسلام الى عالم الوجود في غضون مزدحم الخصوم المعارضين فاضطرب الوضع الاسلامي اضطراباً ، وزادت البلية وتضخم الداء بسيطرة ابن هند على الحكم ومن ورائه اذناب أمية وطغمة بني العباس ، ومن ثم قلبوا الاسلام وجعلوا من الحكم الاسلامي ملوكية وقيصرية ، وصار العون فرعونا واستمر هذا النوع من الحكم الاسود حتى العصور الأخيرة فالى ما نشاهده ونكابده اليوم . ان هذه بنـاية كان الانحراف حليفها منذ البداية .

وأخيراً . . فاننا نطالب بحكومة اسلامية صحيحة عادلة حكومة منهجها القرآن والسنة وخطتها العدل والانصاف كما يريده الاسلام وخططه القرآن وبينته الرسول وسار على منهجه الائمة الهداة ، والخلاصة ان للاسلام حكومة . وليس كما يقوله

الخصوم ان ليس للاسلام حكومة او لا يريدها الاسلام مع الوضع الراهن .

وسنعرض فى الدرس الآتي احاديث شريفة تلمح اوتصرح بما نستهدفه ونريد . ونحن على الوعد ان شاء الله .

محاضرات فقهية حول

الحكومة الاسلامية
او ولاية الفقيه

الدرس: ٣ ـ ٤ ـ ٥

مطبعة الآداب

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره المشركون .

حاولت أساليب الشاه الفاشية ـ دعماً لعرشه المتزلزل وحفظاً لمنافع أصحاب شركة البترول الأممية وسلطتهم السوداء على مقدرات البلاد ـ ان تخنق صوت الحرية والدعوة الى التحرر من نير الاستعمار الغاشم التي قام بها زعيم الاسلام العظيم سماحة آية الله العظمى الامام الخميني ، شاءت ان تجمد الحركة التحررية التي انتفض بها الشعب الايراني المسكين ، فأخذت أصابع البغي الميشوم تضغط على حناجر الأمة بكل جفاء وشقاء فهناك ساد الخوف المرير وقامت المذابح الجماعية في عرض البلاد وطولها ، وللغاية نفسها عمدت الى اجلاء مرجع الأمة العظيم من وطنه الأصيل ، فلا تنال يد الأمة أذيال رحمة زعيمها ومدافعها

الوحيد ، وأغارت اغارتها الشعواء على دار سكناه ونهبت مكتبته العامة في قم بكل وقاحة وشراسة . كما راحت ضحية هذا التعدي الفاضح آلاف من نفوس مسلمة وذوات شهمة ممن قام بالدفاع العقائدي عن مرجع تقليد اسلامي كبير .

قام جلاوزة الشاه الخؤون بمقـــابلة الشعب الايراني الغيور فأطلقت نيران الرشاشات في صدور أمة عزلاء ، ولاسيما أبنـــاء المعاهد العلمية : جامعة طهران . والمدرسة الفيضية بقم ، وغيرهما فتحولت تلك المعاهد الى أكوام جثث هامدة . في سيل من النيران المتواصلة والدماء المتدفقة .

ولكن حيث لم يقدر ان تخمد صرخة الحق الصريحة ولا ان تفشل مساعي ذوي النفوس الأبية : « الحق يعلو » . « للحق دولة وللباطل جولة » فلم تستطع تلك المظالم الفادحة والمخالفات القانونية التي قام بها الشاه وجلاوزته أن تكبح من ثورة القائد المجاهد الكبير (آية الله الامام الخميني) الإصلاحية او ان تكسر من عزماته الثاقبة او تصرفه عن القيام بواجبه الإسلامي قيد شعرة ، « انه لا يفلح الظالمون » .

قام سماحته بالدفاع الحار عن حقوق مهضومة لشعب مسكين فقد استقلاله وحريته ، فلا يملك بلاده ولا ثرواته الطبيعية التي

ولا تسلموا الموقف الى الظالم الغشوم ، إن العدو على وشك الإنسحاب والانهيار لو رأى منكم الصمود ، إن العدو الغاشم لا يستطيع الثبات أمام ارادة الشعب الثائر . الظلم لا يدوم مهما بلغت قوته وقدرته .

« . . . الا أبلغوا الأمم المتحررة ، وشعوب العالم ، ماينال الشعب الايراني المسكين ، وما يعانيه من الظلم والقساوة والجفاء . الا ابلغوا - بكل وسائل التبليغ - ما حل بكم من التعذيب والتنكيل وما يرتكبه عدوكم من جرائم وآثام .

« . . . إتحدوا يداً واحدة ، واتركوا الخلافات الجانبيـــة المؤدية الى فشلكم ، كونوا إخواناً متحابين وفي ذلك حياتكم ايتها الامة المسلمة . وفي ذلك بقاء الاسلام وبقاء أحكامه وتشريعاته ..

« . . . الموت مع العز خير من حياة الذل والهوان . . . »

* * *

وفي مذكرة أخرى رفعها الى رئيس الدولة حينذاك (هويدا) يستنكر فيها أعمال الحكومة الايرانية التعسفية وتصرفاتها الخائنة من سلب ونهب اموال الأمة من غير رحمة . جاء فيها :

« . . . أنتم في ظلال القصور الفخمـــة - التي بنيت من اموال هذه الامة الفقـــيرة - مرفهون وادعون ، تنظرون الى فقر ومسكنة الشعب ، والى كساد الاسواق وايادي الشباب العاطـــلة

خلقها الله لمنافع هذه الأمة ، قام سماحته بالدعوة الى الاستقلال الحقيقي . وبسط العدل الاجتماعي . ولزوم العمل بالقوانين الاسلامية الرصينة . وقطع أيادي المستعمرين . وقلع جذور سلطات الاجنبي القديمة . وابعاد النفوذ الاسرائيلي من اقتصاد البلاد ومن سياستها . و و و . . .

ان سماحته لم يتوان ـ ولن يتوانى ـ في جهاده المقدس وفي مساعيه المشكورة في صالح الاسلام والمسلمين ، وجهوده في ايقاظ هذه الأمة المرحومة وبث الوعي والحيوية في نفوسهم ، واثارتهم ضد المستعمرين وعملائهم الخونة و و و . . . لم يتوان شيئاً طول زعامته الدينية وعبر قيامه التاريخي ، وحتى في منفاه في تركيا وثم الى العراق ، لم يزل يواصل جهـــاده ، والاستفادة من المناسبات المتاحة في هذا السبيل . فكانت انتفاضاته المتواصلة تبعث بروح الحيوية والنشاط وخلق الأمل والرجاء في نفوس الشعب الإسلامي الكادح ولا يزال . وقـــد صرح في ندائـــه الذي وجهـــه من (النجف الاشرف) الى الشعب والعلماء بايران يدعوهم ألى مواصلة نضالهم الجاد والاستمرار في الكفاح والجهاد المقدس . قال فيها : « . . . . كلما تنسحبون عن ساحة النضال فان العدو يتقدم من غير هوادة . انه على تصميم إبادة كل أثر منكم بلا رحمة . فاستقيموا

ـ منهمكون في مباهج الحياة غير آبهين للإختلال الفاضح في شؤون البلاد من تجارة وزراعة ، والتسلط الاسرائيلي البغيض على مقدرات الشعب المسكين في مجالي الثقافة والإقتصاد .

تنظرون الى ما يحل بهذا الشعب من فقد وسائل المعيشة وضرورات الحياة الأولية في غالبية القرى والأرياف القريبة فضلا عن البعيدة ، لا يملكون ماء شرب صالح ، ولا حماماً صحياً ولا مراكز صحة عامة . . .

« . . . انما يعجبكم الصندوق التعاوني الذي يلتهم ثروة الشعب بكل أساليب الخداع والتدليس المفضوح ، وتلك تصرفات موظفيكم غير الانسانية بشأن الريفيين البسطاء . . ! ويعجبكم ماتقوم به جلاوزتكم من الحبس والتبعيد والارهاب والارعاب وغير ذلك من اعمال لا مشروعة . . . » .

« . . . انتم منهمكون في أفراحكم وألاعيبكم المخزية ، وتقرأون السلام على سكان تلك المقبرة الكبيرة التي تدعى باسم (ايران) ..!

« . . . وما دام الشعب في غفلة عن حقوقه ، ولم يعرف واجبه تجاه حقه المهضوم فان لكم ـ أيتها الفئة الحاكمة ـ من كل يوم عيداً وأفراحاً وتهاني . وللشعب المسكين تعاسة وبؤساً وشقاء »..!

« . . . لا تلاعبوا مع مقدرات الشعب وشوونه هذا التلاعب .!

لا تعقدوا الروابط الأخوية مع اسرائيل : عدوة الاسلام والتي شردت اكثر من مليون مسلم الى غير ملجأ ولا ملاذ ..! لاتفسحوا المجال امام تصرف اسرائيل وخيانة العملاء في سوق المسلمين اكثر من هذا . لا تجعلوا اقتصاد البلاد على خطر السقوط تأمينا لمصالح اسرائيل وعملائها . . ! » .

. . . كما وأعلن سماحته - خلال الحرب الاسرائيلية الأخيرة - خامس حزيران - الى عامة الدول والشعوب الاسلامية وطلب اليهم منابذة العدو المشترك في صف واحد ، وحرم رسمياً بيع العتاد والسلاح والنفط الى اسرائيل . .

جاء في المذكرة :

« . . . يجب على الدول الاسلامية وشعوبها على اختلاف قومياتها ولغاتها ان تتحد وتبذل كل جهودها وامكانياتها في استئصال الغاصب المعتدي . وان تكف عن مساعدة اسرائيل وعمالها والسائرين في ركابها ومناصريها . وان تقطع عنهم كل معونة مادية ومعنوية بجميع اشكالها . فتحرم عليهم النفط والاسلحة . وان تقطع عنها كل رابطة تجارية وسياسية . وان تمنع عن استعمال المنتوجات الاسرائيلية كافه . . . » .

« . . . ولتعلم الامة الاسلامية أن المخالف في المواد المذكورة

يعتبر عدواً محارباً للاسلام والمسلمين . . . » .

ودافع سماحته عن عرب فلسطين المجاهـــدة وقيامها المسلح ضد اسرائيل ولاول مرة في التاريخ الحاضر وفي فتوى صريحة ، أبدى رأيه بجواز صرف الزكاة وسائر الصدقات الى الفدائيين ... قال :

. . . على الدول الاسلامية خاصة وعلى المسلمين عامة أن يتكاتفوا لدفع العدو وان يتذرعوا في سبيل استئصاله (اسرائيل) بشتى الوسائل الممكنة وان لا يتقاعسوا عن امداد ومعونة المدافعين والمهتمين بالأمر .

ويجوز ان تصرف الحقوق الشرعيـــة من الزكوات وسائر الصدقات في هذا السبيل الحيوي الهام . . . » .

وفي احدى خطاباته الثمينة يشير الى خطورة الوضع الراهن الذي اتخذته أيادي الشاه لمكافحة الدين الاسلامي باسم الاسلام في مراوغة خبيثة .

قال فيها : ـ

« . . . فاعدوا واستعدوا لمكافحة المفاسد والمخاطر المحتملة وسينتظركم يوم اسود حسب ما ينذر به الوضع الراهن ، ان هـذا الوضع ينذر بمستقبل أسوء ، انهم يريدون القضاء على جميع مقومات الاسلام عن آخرها فهبوا أيتها الجماعة المسلمة للكفـــاح العريض

والاستقامة تجاه عدو لدود . . ! » .

إنهم يخططون لكم خططاً عريضة لو اتيح لهم المجال لا يبقون للاسلام والمسلمين اي أثر يذكر . ومن خططهم الجهنمية ضرب الاسلام باسم الاسلام وفي ظل مظاهر إسلامية خادعة . .

فعليكم الاستعداد لمجابهة كل هذه الخطط عن وعي ودرايـــة وثبات واستقامة . والا سوف تذهبون ضحية هذا التآمر الخبيث الذي دبره لكم العدو القريب والبعيـــد . وسوف تكونون انتم المسؤلين عن كل تبدل او تحريف في احكام الاسلام لو نجحت خطة العدو الغاشم المراوغ .

إن موقفكم وموقف الاسلام وهذا الوطن الاسلامي كل ذلك رهن إستقامتكم وتفكيركم الصحيح في هذا الكفاح والجهاد المقدس .!»

* * *

ولأول مرة في تاريخ الفقه الإمامي جاءت مسائل شرعية في رسالة عملية تعني مضافاً الى أحكـــام عبادية وتجارية أحكاماً أخر سياسية واجتماعية هي من صميم الاسلام ، وتعرضت بتفصيـــل احكام دعامتي الدين الاسلامي : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مضافاً الى احكام الدفاع الاسلامي في جنباتها السياسية ايجاباً وسلباً ومكافحة الاساليب القائمة ضد الاسلام والمسلمين .

فكان فيما افاد سماحته بهذا الصدد في تلك المسائل بتفصيل وتوضيح .

أن فضح خطط الشاه وتدابيره الخائنة ضد المواطنين وألغي قانون حصانة المستشارين وسائر القوانين ضد الوطنية التي قررتها الطغمة الحاكمة والتي أصدرها اعضاء المجلس النيابي ومجلس الشيوخ في إنعقاداتها الشكلية . وأوضح واجب الشعب تجاه محالفي اسرائيل وعملاء الشاه من نواب باعوا ضمائرهم في تصويب هكذا قوانين تجعل من الشعب والبـــلاد في أسر الأجانب المستعمرين . وفسق علماء البلاط وعملاء مستأجرين في زي علماء دين وليسوا منهم . وأعلن الى الملأ عامة أن جميع مسائل الحياة من سياسة واقتصادعلى غرار مسائل العبادات لابد ان تذكر في الوسائل العملية الدارجة .

قام سماحة الامام الخميني بهذه البحوث المستجدة وأدرجها في رسالته العريضة « تحرير الوسيلة » ونحن نذكر منها بالمناسبة مسائل جاءت بصدد الموضوع ؛ منها :

مسألة ٤ ـ لو خيف على حوزة الاسلام من الاستيلاء السياسي والاقتصادي ووهن الاسلام والمسلمين وضعفهم ، يجب الدفاع بالوسائل المشابهة والمقاومات السلبية كترك شراء امتعتهم، وترك استعمالها ، وترك المراودة والمعاملة معهم (١) .

مسألة ٦ ـ لو كانت الروابط السياسية بين الدول الاسلامية والأجانب موجبة لاستيلائهم على بلاد الاسلام والمسلمين او موجبة لأسرهم السياسي ، يحرم على رؤساء الدول تلك الروابط والمناسبات وبطلت عقودهـا ، ويجب على المسلمين إرشادهم وإلزامهم على تركها ولو بالمقومات السلبية (٢) .

مسألة ٩ ـ لو صار بعض رؤساء الدول الاسلامية او وكلاء المجلسين موجباً لنفوذ الاجانب سياسياً او اقتصادياً عن البـلاد الاسلامية بحيث يخاف منه على بيضة الاسلام او على استقـلال المملكة ولو في المستقبل كان ذلك الرئيس خائناً ومنعزلا عن مقامه أي مقام كان لو فرض ان تصديه حق ، وعلى الامة الاسلاميـة

(١ ـ ٢) تحرير الوسيلة ج ١ فصل الدفاع ص ٤٦٧ ـ ٤٦٦

مجازاته ولو بالمقاومات السلبية كتركه مراودته وترك معاملته والاعراض عنه باي وجه ممكن ؛ والاهتمام باخراجه عن جميع الشؤون السياسية وحرمانه عن الحقوق الاجتماعية (١)

مسألة ١٠ ـ لو كان في الروابط التجارية من الدول او التجار مع بعض الدول الاجنبية او التجار الاجنبيين مخافة على سوق المسلمين وحياتهم الاقتصادية وجب تركها وحرمت التجارة المذكورة وعلى رؤساء المذهب مع خوف ذلك ان يحرموا متاع هؤلاء وتجارتهم حسب اقتضاء الظروف ؛ وعلى الأمة الاسلامية معاقبة ذلك ؛ كما يجب على كافتهم الجد في قطعها (٢) .

* * *

وأخيراً ـ وليس آخراً ـ فان هذه الدراسة الاسلامية التي قام سماحته كاطروحة لتشكيل حكومة اسلامية . . . جاءت مبشرة لأمة مكبوحة مأيوسة لتنبثق في نفوسها بشائر الرجاء بمستقبل زاهر قريب . كما جاء لتعاكس أطماع المستعمرين وتطيح بأحلامهم التي طالما دبروا في استهدافها منذ ثلاثة قرون .

إنها نشيد الوعي الاسلامي ؛ وشعلة وهاجة انبثقت في ذلك

(١ ـ ٢) تحرير الوسيلة ج ١ فصل الدفاع ص ٤٦٧ ـ ٤٦٦ .

الافق المظلم الذي طالما اطبقت نكباته على اوضاع المسلمين التعيسة فاعادت عليهم روح الحياة والنشاط والحيوية بعد ذلك القنوط كما دعت الشعوب الاسلامية جميعاً الى الإنضواء تحت لواء الاسلام الخفاق ، شعارهم « الوحدة والاتحاد » . « كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة » . « الجميع معاً في طريقهم الى تشكيل الحكومة الاسلامية » .

فكانت ضربة قاضية على تلك الدعايات الخبيثة التي راحت تتهم زعماء الاسلام وائمة المسلمين : برغبتهم في الانعزال ، فاجلت تلك التهمة الغاشمة الهادفة لتلويث ساحة اولئك العظماء سكوتهم وانصياعهم وتسليمهم الأمر الى الطغمة الجائرة . . . كلا إنهم فريء هم بريئون منها اطلاقاً . . !

الناشر

المحاضرة الثالثة
الأحد ١٧ ذى القعدة ١٣٨٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

زعامة ام توجيه مجرد . ؟

انتهى بنا البحث فيما سبق الى : أن سيرة الرسول الاكرم صلى الله عليه واله وسلم وسائر خلفائه كانت تهدف الى تشكيل حكومة إسلامية جامعة مانعة : تشريع وتنفيذ ، دراسة شاملة لجميع مناحى الحياة ثم تطبيق عملي تحت قيادة عادلة عامة ... ولم يكن الهدف يوماً ما مجرد توجيهات أخلاقية وارشادات حكيمة وتهذيب نفس وبيان مسائل شرعية محضاً .. ! ان هذا الأخير جانب من الدين خطير ، لكن ليس هو الهدف من الدين الوحيد .

لو كان الهدف من الدين هو بيان مسائل شرعية وتهذيباً أخلاقياً مجرداً لم يكن ليقع الخلاف بين الأمة في مسألة الزعامة العامة من الوجهة الاسلامية ، فكان الدين يشق طريقه الى الأمام تاركاً للزعامة العامة لمن امتلكها بقوته وبطشه - كما هو

شان المذاهب التي تعني الحياة الانعزالية من دون اي عناية . بشؤون السياسة في شيء .. ! - ان الاسلام يهدف الى تشكيل حكومة ذات وحدة إدارية شاملة لا تعرف حداً يقف دون نفوذ حكمها سوى الحدود التي تنتهي اليها رقعة الاسلام : دولة واحدة قوية ، واسعة ، مهيبة ، رهيبة ، فخمة .

الاسلام دين الناس جميعاً :

وسبق ايضاً : ان الاسلام هو الدين الحي الخالد ، جاء لشعوب العالم جميعاً ، لانه دين الفطرة « التي فطر الناس عليها » . « وما ارسلناك الا كافة للناس » . حق ولو ارتحلت البشرية من على هذا الكوكب الارضي الى كرات أخرى كان دينهم المفروض عليهم فى شريعة الله هو الاسلام لا غير . انه دين العموم ، انه دين الخلود . فمن وظيفة النازحين الى كرات أخرى ان يبلغوا هذا الدين من سبقهم الى النزوح اليها ، فليس المكان ولا الزمان ليحددان نطاق هذا الدين على الاطلاق .

ان من يزعم ان هذا الدين - بمفهومه الشامل الذي نعنيه - جاء مقتصراً لعهد النبي الاكرم (ص) ولفترة قصيرة من بعده فانحسرت معالمه وانزوت خططه الادارية الشاملة ومن ثم انحصرت وظيفة المسلمين ووظيفة علمائهم الابرار في الوعظ والارشاد وجمع الصدقات وتوزيعها على الفقراء من غير ان

يتصدوا شؤون الادارة العامة .. ! ان من زعم ذلك فقد بهت الاسلام وافترى على الدين وجاء على خلاف ضرورة الكتاب والسنة . وسنعرض في نهاية البحث حديثاً عن الامام الرضا (ع) واحاديث اخرى من مصادر موثوق بها وباسانيد معتبرة . تنص على شمول هذا الدين وكفاءته للقيام بحوائج الناس في جميع مناحي الحياة . . .

واجب المسلمين في عصر الغيبة :

من المسائل العامة التي تمس جوانب الحيـ ـينية لكافة المسلمين في عصر الغيبة الكبرى هو النظر في الزعامة الاسلامية العامة : ما هي وظيفة المسلمين تجاه هـ ـة الخطيرة ذات الاهمية الكبرى في الحياة العامة ؟

الاسلام بمفهومه الشامل باق لم يتغير . . . ان أحكامه وخططه وانظمته التشريعية بصورة عامة مستمرة مع الأبد ... هذا شيء ليس ينكره أحد . ومن ناحية أخرى : ان ضرورة العقل قاضية بلزوم حكومة تتصدى تنفيذ الأحكام وتطبيق الإجراءات بصورة محتمة . . !

فهل يبقى ـ بعد ملاحظة هاتين الجهتين ـ من شك في ضرورة تشكيل الحكومة الاسلامية في العصر الغيبة كما كانت ضرورية قبلها . . ؟ !

الحكم الاسلامي وسائر الحكومات الحاضرة :

يجب ان أقول : لا يشبه نظام الحكم في الاسلام ـ الذي نستهدفه ـ سائر أنظمة الحكومات القائمة : ليس بالحكم الفردي (الدكتاتوري) ليقوم رئيس الدولة او الملك او رئيس الجمهورية بادارة شؤون الامة قياماً شخصياً لا يخضع لشيء سوى رأيه الخاص . . . فيعطي ويمنع ويقطع ويمنح ويهب او يسلب وينهب حسب ما تختاره مشيئته الخاصة ..!

لم يعط الله احداً هذا النوع من الاختيار والتصرف غير المحدود . ولا النبي الاكرم ولا خلفاؤه المرضيون كانوا يملكون هذا النوع من الاختيار المطلق . . . ! كما ليس نظاماً دستورياً ينتخب الشعب اعضاء المجلس النيابي لتخطيط منهج الدولة وتشريع الاحكام والقوانين حسب نظرتهم الخاصة . وكذلك ليس حكماً جمهورياً يجعل من الشعب حاكماً على نفسه لينتصب من يشرعون الاحكام لتطبق في الشعب . كلا . ان نظام الحكم الالهي في الاسلام لا يشبه شيئاً من ذلك .

حكومة القانون :

ان الذي نستطيع القول فيه هو : ان نظام الحكم في الاسلام هو نظام حكومة القانون ، وليس سوى القانون حق

الحكومة على الامة بتاتاً . وان حكام الاسلام هم المنفذون للقانون الإلهي ليس إلا . . . سواء الرسول الاكرم ام غيره من خلفاء وامراء ، ان وظيفه الحاكم الاسلامي هو تعهد اجراء الأحكام الاسلامية التي جاء به الكتاب والسنة .

فاذا كان النبي (ص) تصدى الزعامة فانما امتثل أمر الله تعالى فيها ليكون خليفة الله في الأرض ، لا أن يسعى وراء تحكيم ارادته وتحميل شخصيته على الامة ، ومن ثم ولأجل احتمال وقوع الامة في اختلاف تعيين الزعيم ، جاء الامر الالهي بتعيين الخليفة من بعده في ذلك الحر الهجير ، والبيداء القفر جاءه الأمر مؤكداً مهدداً « وان لم تفعل فما بلغت رسالته » الأمر الذي ان دل على شيء فانما يدل على فخامة شأن الزعامة في الاسلام وهو من الصميم ومن ثم يعود الاسلام بلا حكم بناء شامخاً مبنياً على أساس منهار .

وليس اهتمام النبي (ص) بتعيين علي (ع) خليفة من بعده آتياً من قبل حبّه اياه او حنانه لصهره وابن عمه أو لسابقته في خدمة الاسلام ، انما هو لأمر إلهي حتم ولكونه الرجل الجدير بالقيام بعهدة تنفيذ القانون الالهي واجراء أحكام الشريعة من غير تغيير أو تحوير انما كان الرسول الاعظم (ص) مبيناً لاحكام الله ومنفذاً لقوانينه فلم يكن يحكم أو يقتضي بشيء الا وهو عن مصدر وحي ومستند دستور إلهي حكيم « وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى » .

وهكذا الاسلام مجموعة قوانين جاءت من عند الله لغاية تطبيقها على الحياة او تطبيق الحياة عليها . والولاة في الاسلام هم القائمون بتنفيذ الخطة القائمة من دون مدخلية لآرائهم الشخصية في شيء . لا دكتاتورية ولا مجلس نيابي ولا جمهورية في الاسلام ليس لأحد - سواء الرئيس أم المرئوس - التدخل في شؤون أحكام الله على الاطلاق .

ان ولاة الامر في الاسلام يتبعون الرسول الاعظم والرسول يتبع القانون الالهي الحكيم . « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » .

الزعيم الاسلامي هو العارف بالقانون :

هناك شرطان أساسيان يجب توفرهما في شخص الزعيم الاسلامي : معرفته الكاملة بالقانون . وعدالته العامة في التنفيذ

لم يختلف المسلمون - نظرياً - في ضرورة توفر الشرطين في الحاكم الاسلامي . وانما اختلفوا - عملياً - في تعيين الشخص اللائق الذي يملك هذه الكفاءة خارجياً . ومن ثم كان دعاة الخلافة يتمسكون لكفاءتهم وجدارتهم أو اولويتهم للامر بالافضلية فكان تعيّن الافضل - عند الاكثر - شيئاً لا ينكر - وانما اعتراض الامامية على سائر المذاهب يتركز على هذا الاساس المسلم لدي الجميع ، فيستدلون لاولوية ائمتهم بالزعامة بعلمهم

وفضلهم واحتياج الآخرين اليهم في معرفة احكام الدين ، وأما سائر الخصوصيات من المعرفة بالغيب - لو صح لغيرالله - والعلم باوصاف الملائكة وصفات الخالق تعالى وما أشبه فغير دخيل في مسألة الخلافة ، كما ان المعرفة بالفنون والعلوم الطبيعية والرياضية غير مرتبطة بمقام الزعامة ولا هي شرط فى مقومات الرئاسة والحكم . انما الامر المهم الذي تسالم عليه الصحابة والتابعون لهم باحسان ومن بعدهم العلماء والفقهاء هو لزوم توفّر الشرطين في الخليفة وفي زعيم المسلمين على الاطلاق : العلم والعدالة . هذا هو الملاك الوحيد المعتبر في شخص امام المسلمين . الامر الذي يتوافق العقل والشرع عليه : لا حكم لغير القانون ، فلا أحد يحكم الآخرين ، ولا الجماعة يحكمون هم انفسهم ، انما هو القانون الالهي يتصدى بتنفيذه الحاكم الاسلامي الذي جاء تعيينه من قبل الله والمتوفّر فيه الشرطان الآنفان . فلا حكومة للفاسق ، كما لا حكومة للجاهل باحكام الشرع ، لان أبّهة الحاكم تتثلم برضوخه لفتوى الآخرين « الفقهاء حكام على السلاطين » لا اقول بان ولاية الامور المختلفة وتصدي شؤون الادارة في مناحيها الكثيرة الفروع ، من ثكنة عسكرية . وقيادة جيوش . وتنظيم الادارات المحلية وما أشبه هي من وظيفة الفقهاء ، ليكون الضابط العسكري فقيها والمحافظ فقيها وما ماثل . ! انما أقول بلزوم اتباع الفقهاء فى ادارة الشؤون العامة فتدور رحى المجتمع في جميع متقلباته وفق نظر الفقيه المباشر

فتكون الزعامة الكبرى والرئاسة العليا للفقيه الجامع للشرائط فالفقيه هو المصدر للقيادة العليا الاسلامية فى كل العصور كما كان في عهد النبي (ص) وامير المؤمنين (ع) فالامراء والقواد هم الممتثلون لأوامر الفقيه الشاغل لمنصب الزعامة الواقع في قمة الحكم والبقية مأمورون مؤتمرون .

عدالة الزعيم الاسلامي :

هذا هو المقوم الثاني لمقام الزعامة الاسلامية : لابد ان يكون عادلاً في الحكم والقضاء بين الناس بصورة عامة ، لان الحاكم الاسلامي هو المخول من قبل الله فى اجراء الحدود وفصل قضايا الناس . والتصرف في بيت مال المسلمين ، وفي شؤون المجتمع ، والخلاصة : ان بيده ازمة الأمور كلها ، الله أعطاه هذا الاختيار . وأوكل اليه أمر الامة . فيجب ان يكون عادلاً - بما تحويه هذه الكلمة من مفهوم واسع - « لا ينال عهدي الظالمين » .

وعليه فأمر الحكومة الاسلامية حتى عصر الغيبة واضح عند الامامية : لابد ان يكون الامام عالماً بأحكام الدين وعادلاً فى الاجراء العام .

لابد من تشكيل الحكومة الاسلامية :

الأن - في عصر الغيبة - حيث الاحتياج الى الحكومة العادلة

وان الاحكام والقوانين التي جاء بها الاسلام باقية لم تنسخ في شيء ، وكما هو من صميم حكم العقل : ان لا فوضوية فى أمر الامة اطلاقاً . ومن ناحية أخرى كان الانتظام في وضع الامة أمراً لا محيد عنه لتكوين قوة الدفاع عن كيانها وعن مقدساتها ، وقد جاء الامر بتكوين هذه القوة الدفاعية « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة... » ، لابد ان يكون جانب المسلمين رهيباً مهيباً الامر الذي لا يمكن تحققه من غير تشكيل حكومة منيعة راسخة القوى متماسكة الجوانب ذات هيبة وشوكة كي لا يطمع الخصوم في سحقها ومحقها كما هو شأن الضعيف

فالحكومة العادلة حاجة إجتماعية ملحة لا يمكن تحققها من قبل نفسها ، وانما ذاك من وظيفة مسؤلي الامة ليقوموا بتشكيلها او تأسيسها ، بعد ان اوضح الاسلام خططها ومناهجها وقد ألمحنا فيما سبق الى ناحية من نظام الحكم الاسلامي ومقومات تشكيله ، ومن تأمينها المالي لرفع احتياجات الدولة فى صرف شؤونها العامة والخراجات والضرائب الاسلامية تكفي لمؤنة النواحي المالية في الحكومة الاسلامية في مختلف حاجاتها ومصالحها الخاصة والعامة ـ من أحداث الشوارع والمشاريع العامة وتجنيد الجنود والمعدات الكافية من قنابل ذرية ومدفعيات وما اليها مما توافق أساليب اليوم وتمهيد وسائل التثقيف العام وفتح معامل لتشغيل الأيادي العاطلة .

تأمين نقص المالية :

فلو اتفق نقص في ميزانية الدولة الاسلامية ، من ناحية قصور الماليات والضرائب الشرعية المقررة بالوفاء بالمصارف القائمة ، فان لولاة الأمر وضع ضرائب جديدة لسد هذه الخلة الحادثة . ان شهداء الاسلام تفادوا بأرواحهم فى سبيل الاسلام فليتفاد المسلمون بأموالهم في سبيل الاسلام . « الذين يجاهدون فى سبيل الله بانفسهم وأموالهم » وضرورة الحفاظ على أحكام الاسلام وحدوده وثغوره ان ذلك من واجب زعماء الاسلام وولاة الامر ان يقطعوا ايدي الاجانب المستعمرين عن البلاد الاسلامية - وان يسدوا ابواب البيع والكنائس المستحدثة ذوداً عن حرمات الاسلام وعقائد المسلمين فعلى المسلمين القيام بهذه المهمة والا فعلى الحاكم اجبارهم عليها . ان ذلك من وظيفة الحاكم العام في الاسلام .

انحراف في مسير الاسلام :

لا شك ان مقاصد النبي الاكرم (ص) لم تتحقق من بعده وقد منعوا من تحققها بكل جفاء . فلو كان علي (ع) تصدى الامر بعد رسول الله (ص) مباشرة لم يصل الدور الى معاوية وتصرفاته

الاثيمة . ان فترة خلافة من سبق علياً (ع) جاءت فرصة لتوطيد ملك معاوية ، وتمهيداً لتركيز دعائم سلطانه ، تمهيداً عن عمد أو عن خطاء ـ العلم عندالله ـ غير ان وسائل توطيد حكومة معاوية غير الشرعية والتي اطاحت بصرح الاسلام كانت قد مهدت من ذي قبل وتمكنه من بقاع الشام ذلك التمكن الراسخ .

لماذا عزل الإمام (ع) معاوية عن الحكم ؟

كان قد عرض على الامام (ع) ان يترك معاوية على ولايته لفترة كي تتوطد اركان خلافته عليه السلام ثم يعزله . . ! لكنها كانت فكرة خاطئة الى حد بعيد : ـ

اولا ـ لم يكن ابن هند بالذي يرضخ تحت حكم الامام عليه السلام أبداً . اذ كان ذاك الطاغي الذي فكّر ليومه هذا قبل عشرين عاماً ، ولم يكن يترك الحكم والامارة لأمر الامام عليه السلام لا في اليوم ولا فى غده .

ثانياً ـ لو كان الامام (ع) أقرّه ـ ولو لفترة قصيرة ـ لم يستطع عزله مع الأبد ، اذ تقوم قيامة الأمة : لو لم يكن معاوية لائقا بالامارة فلماذا أقررته . او هو لائق فلماذا عزلته . ؟

والخلاصة : كان اقرار الامام (ع) لمعاوية على الحكم حجة بيد الزائغين في حين ان عزله برهان ساطع على واقع

الحكم الاسلامي - ان لم يكن لليوم فللغد - : ان الاسلام لا يداهن الظلم ، ولن يكون الفاسق الغادر ولي أمر المؤمنين مهما بلغ الأمر فقد اراد الامام عليه السلام ابداء هذه الحقيقة . فلا يقول احد - عبر العصور - : قد يبيح الاسلام حكومة الجائر لمصلحة وقتية مقتضية . . ! لئلا يتفوّه أحد فيما بعد بهذا القول الكذب ، لم يرض الامام حكومة معاوية الغدر ابداً فلو انهم ردوا حق الحكم الاسلامي الى اهله من ذي بدء واحلوا الامام امير المؤمنين (ع) محله الذي نصبه الرسول الاعظم (ص) لم يصطدم الاسلام والمسلمون بتلكم الرزايا والخلافات الداخلية التي هيئت ظروفها من البدء - ان رزية الامامين الحسن والحسين عليهما السلام وكافة الحوادث الاموية والعباسية المشؤمة - كلها كانت من جراء الخلافات التي زرعت بذورها من ذلك الحين .

الفقيه العادل هو الذي يتولى زعامة المسلمين :

وحيث لم يتعين بالنص شخص الحاكم الاسلامي في عصر الغيبة فما هو العلاج لتعيين هذا المنصب الخطير ومن الذي يتولى زعامة المسلمين في هذا العصر ؟

هل انقضى أمد الاسلام . ؟ فكانت شريعة مؤقتة لفترة قرنين فحسب ؟ ام هناك في عصر الغيبة لا تعدو وظيفة المسلمين عن شؤون العبادات والمعاملات الخاصة ، فقد ترك الاسلام الشؤون الادارية لغير المسلمين . ؟ ! ومعنى ذلك عرض بلاد المسلمين للاجانب وإلغاء الحدود الاسلامية للتدخلات الاجنبية

وابقاء المسلمين على خمودهم الحالي فاقدين كل حيوية أو نشاط . . ؟ ! هل الامر كذلك . ؟ ؟ ام من الواجب تشكيل الحكومة ، وشرائط الزعامة هي التي كانت على عهد النبي (ص) وخلفائه (ع) : العلم والعدالة ليكون الفقيه العادل هو زعيم المسلمين سواء في عصر الحضور ام الغيبة ، فان الفقيه العادل في عصر الغيبة يتولى من الشؤون ما كان يتولاه النبي (ص) والامام (ع) في اطار زعامتهما العامة .

وهاذان الشرطان متوفران في كثير من فقهاءنا الاعلام في هذا العصر فلو اجتمعوا وأجمعوا رأيهم لكان بوسعهم تشكيل حكومة اسلامية عادلة من غير ريب .

ولاية الفقيه العادل فرض حتم :

فلو قام بالامر فقيه عادل ذو كفاءة ودراية ونهض باعباء ولاية امور المسلمين عن جدارة ولياقة ، كان له من الزعامة الكبرى ما كان للنبي (ص) وللامام (ع) وله نفس الامتياز الذي كان لهما في اطار الحكم والولاية . وعلى عامة المسلمين إطاعته والانقياد تحت قيادته الحكيمة .

ومن يزعم ان اختيارات النبي (ص) والامام (ع) فيما يرجع الى شؤون الزعامة كانت أوسع مما يملكه الفقيه فقد اشتبه وأخطأ . نعم ان فضائل النبي (ص) والامام (ع)

لا تدانيها فضيلة أو مكرمة ، غير انها لا ترتبط وإطار الزعامة المحدودة بحدود القانون والذي لا يختلف مجال تنفيذه بالنسبة الى النبي (ص) والامام (ع) والفقيه . ان الحكومة تكون للعالم العادل : نبياً كان أم اماماً معصوماً ام فقيهاً عادلاً

حكومات محلية :

فاذا لم يستطع المسلمون من تشكيل حكومة عامة شاملة فليس معنى ذلك إغفال هذه الناحية رأساً ، بل ان على الفقهاء ـ وهم حفظة الشريعة ـ تشكيل حكومات محلية في اطار نفوذهم الخاص . ويتولون شؤون المسلمين على قدر وسعهم من غير ان يتصدوا عزلاً ولا نصباً سوى المراقبة التامة على اجراء القوانين الاسلامية وتطبيق الشريعة المقدسة اللهم الا اذا اقتضت المصلحة العامة عزل أحد او نصبه . نعم كان للزعيم الاسلامي في عهد الحضور حق التصدي للعزل والنصب اما في هذا العصر ـ لو قدرت ولاية الفقيه العامة ـ فلم يعلم حق امتلاكه عزل فقيه آخر او نصبه .

ان الحكومة المحلية لها قيمتها في دنيا الاعتبار ، ولها انصار يؤيدونها بكل حرارة . فهناك نظرية سائدة بين الاوساط المتمدنة : انه يجب تشكيل حكومات محلية ذات اختيارات تامة ، راضخة للحكومة المركزية . ونحن اذ لا نستطيع تشكيل حكومة عامة فلا اقل ـ لحفظ الاحكام وصيانة الشريعة ـ

من تشكيل هكذا حكومات محلية ذات النطاق المحدود .

فالفقهاء المنتشرون في البلاد الاسلامية يشكلون حكومات محلية ، كل في منطقة نفوذه فيأمر وينهى ويجمع الضرائب الاسلامية ويوزعها حيث مصاريفها المقررة في الشريعة .

ان الحكومة المحلية للفقيه العادل في تلك المنطقة أمر ضروري يحكم به العقل والشرع وهي من صميم الاسلام . من غير حاجة الى اقامة دليل لفظي ، ونعرض بهذا الصدد حديثاً عن الامام الرضا (ع) وننظر في سند الحديث ومدى دلالته بهذا الشأن :

الحكومة الاسلامية على لسان الحديث :

« عبدالواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري العطار قال : حدثني ابوالحسن علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري قال : قال ابو محمد الفضل بن شاذان : ان سأل سائل عن مولانا علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال : اخبرني هل يجوز ان يكلف الحكيم . . ؟

فان قال قائل : ولم جعل اولى الامر وامر بطاعتهم ؟

قيل لعلل كثيرة : منها : ان الخلق لما وقفوا على حد محدود وامروا ان لا يتعدوا تلك الحدود لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم الا بان يجعل عليهم فيها أميناً يأخذ بالوقف عندما

أبيح لهم ويمنعهم عن التعدي على ما حظر عليهم لانه لو لم يكن ذلك لكان أحد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره ـ هكذا في النسخة والصحيح : لما كان احد يترك لذته ومنفعته لفساد غيره فجعل عليهم قيّم يمنعهم من الفساد ويقيم فيهم الحدود والاحكام.

ومنها : انا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيم ورئيس لما لابد لهم منه في امر الدين والدنيا فلم يجز في حكمة الحكيم ان يترك الخلق لما يعلم انه لابد لهم منه ولا قوام لهم الا به فيقاتلون به عدوهم ويقسمون به فيئهم ويقيمون به جمعتهم وجماعتهم ويمنع ظالمهم من مظلومهم .

ومنها : انه لو لم يجعل لهم اماماً قيماً امیناً حافظاً مستودعاً لدرست الملة وذهب الدين وغيرت السنن والاحكام ولزاد فيه المبتدعون ونقص منه الملحدون وشبهوا ذلك على المسلمين اذ قد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين مع اختلافهم واختلاف اهوائهم وتشتت حالاتهم فلو لم يجعل فيها قيماً حافظاً لما جاء به الرسول الاول ، لفسدوا على نحو مابيناه وغيرت الشرايع والسنن والاحكام والايمان وكان في ذلك فساد الخلق اجمعين (١)

أما السند فلا بأس به ، وان كان في عبد الواحد بن محمد ابن عبدوس كلام . غير ان الصدوق رحمه الله صحح رواياته . وكذلك العلامة . وكان من مشايخ الصدوق وكان يترضى عليه ، مع

---

(١) علل الشرايع ج ١ باب ١٧٢ الحديث ٩ ص٢٥٣.

شدة احتياطه بالنسبة الى مشايخه حيث يقول : اروي مايرويه شيخي ابن الوليد واترك ما لا يرويه . ويعتمد على ما يعتمد عليه شيخه .

وعبد الواحد هـــذا يروي عن علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري . وعلي بن محمد هذا من تلامذة الفضل بن شاذان ولم يكن ابن شاذان يرضى بمصاحبة ضعيف الرواية . هذا مضافاً الى شهادة النجاشي : ان الكشي يعتمد على علي بن محمد هذا . وهو كاف في وثاقة الرجل . وقد برأه العلامة من الطعن الموجه اليه ، ووصف رواياته بالصحة .

وعلي بن محمد يروى الحديث عن ابن شاذان عن الامام ابي الحسن علي بن موسى الرضا (ع) - والحديث طويل - ونقتصر على موضع الحاجة منه :

ما حاجتنا الى الحكومة الاسلامية ؟

« فان قال قائل : فلم جعل اولي الأمر وأمر بطاعتهم ؟ قيل : لعلل كثيرة .

« منها : ان الخلق لما وقفوا على حد محدود . . . ، »

فهل هذا مما يخص عهد السلف ، فلا حدود ولا قيمومة في هذا العصر . . ؟ الناس يصبحون ملائكة منزهين لا يختلفون ولا يتنازعون فيما بعد ، ام يتركهم الشارع هملاً سدىً ؟

الناس في حاجة مستمرة الى القيم والى الزعيم النافذ الكلمة ، ليحفظ الحدود ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . ان الموجه في كل زمان كثير ، انما الحاجة الى القيم العادل . لئلا يظلم دار داراً ولا بلد بلداً ولا دولة دولة أخرى ان العناية بهذه الشؤون الاجتماعية العامة لم تكن مختصة بعهد دون عهد أو عصر دون آخر .

« ومنها : انا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل . . » اشارة الى ضرورة الزعامة العامة حيث التنازع في البقاء أمر حتم ولازم الطبع البشري فاذا لم يكن هناك من يضع حداً دون التجاوز على الحقوق لاصبح المجتمع في حرب داخلية حامية الوطيس .

« ومنها : انه لو لم يجعل لهم اماماً قيماً امیناً حافظاً . . »

اليست هذه العلة موجودة لحد الآن . ؟ ولعل فترة الغيبة تطول الى اكثر من مأتي الف سنة ـ ماذا ندري ؟ ـ ولعله تعجل بالفرج . او لعله تأخر حتى آخر الدهر . يبدو من الروايات ان ظهوره (عج) من اشراط الساعة فيظهر قريب القيامة الكبرى . فهل اذن تتعطل الاحكام الاسلامية لهذه الفترة الطويلة من الزمان ، فهل يرضى العقل بذلك او ان رسول الله (ص) لا يبالي بهذا الأمر ؟ هل ان علياً لا يبالي بذلك او الائمة (ع) من بعده لا يبالون بذلك ؟.

عدم كفاءة الدول الاسلامية الحاضرة :

اذا كان من ضرورة الدين بقاء أحكامه . وليس يبلى الزمان قوانينه الخالدة ، وليس للاجانب التدخل فى شؤون الاسلام في وجه من الوجوه ، ـ اذا كان الأمر كذلك ـ فلابد من تشكيل حكومة اسلامية منيعة تدير شؤون الاسلام والمسلمين ، ولابد أن يترأس هـذه الحكومة زعيم صالح غير من يتزعمون الدول الحاضرة ، ممن أبدو ـ بوضوح ـ عدم كفاءتهم وعدم جدارتهم بالقيام بهذه المهمه الخطيرة ، انهم بين جبابرة طغاة ، وآخرين ضعفاء جبناء ، واذا لم يقم بالأمر رئيس محنك خبير فان الأوضاع تتغير من فاسد الى أفسد ومن سيء الى أسوأ كما نكابده اليوم . !

نتائج الانعزال السيئة :

اذا كان دأبنا الانعزال عن الشؤون العامة السياسية وغيرها ، حتى عن النظر والبحث الجدلي في الموضوع وكان إهتمامنا فى الدعاء والثناء المجرد ، اذن تضمحل معالم الاسلام وتنسحق آياته وتتعطل أحكامه ، او تتبدل وتتغير حسب مايرومه المستعمر لغايته الخبيثة ، انه يروم تحميل قوانينه الالحادية على المسلمين ورواج عاداته السيئة بين أبناء الاسلام . . . كل ذلك

وليس لها واقعية ذاتية سوى المواضعة الالهيه الشرعية بالجعل والتقدير والاعتبار . نظير جعل القيم على القُصّر ، ليكون الفقيه قيم الأمة من غير فرق بين القيمومتين من حيث الفحوى والمفهوم . فكما ان النبي (ص) او الامام (ع) قيم الأمة وله الولاية العامة وهو اولى بالتصرف في شؤون المسلمين العامة ، كذلك الفقيه من غير اختلاف بينهما وبينه من هذه الناحية التي نحن بصددها . مثلاً : من وظائف الفقيه اجراء الحدود فيقوم بتنفيذ الحد الشرعي على الجناة والمجرمين . فهو في ذلك يتساوى مع الامام ومع النبي (ص) . اذ ليس النبي (ص) او الامام (ع) يجري الحد بشكل آخر أتم يخالف الفقيه .. ! او ان الفقيه يجريه بشكل انقص . . . !

ان الفقيه موظف بجمع الضرائب الشرعية وصرفها في الموارد المقررة في الشريعة ، وهذه هي عين وظيفة النبي (ص) والامام (ع) من غير فرق .

وهكذا دواليك في جميع شؤون الزعامة الكبرى وتصدي الرئاسة العامة ، فلا فرق بين الامام والفقيه في وظيفة القيام بادارة شؤون المجتمع الاسلامي وفق القانون الالهي العام .

= الذي يكون له وجود تكويني خارجاً اما لنفسه او لمنشأ انتزاعه واما الثاني فان وجوده بالجعل والمواضعة الاعتلائية مثل الزوجية في النكاح ، والملكية ، والقيمومة . والولاية من هذا القبيل ، نظراً الى احتياجها خارجياً الى المواضعة والتقدير الناشر .

نعم هناك فرق بين الامام والفقيه ، وهذا الفرق يرجع الى خصوصيات شخصية وملكات ذاتية ليست تمس جوانب الزعامة العامة في شيء .

ان ولاية الفقيه ليست مطلقة لتكون لكل فقيه الولاية على سائر الفقهاء في زمانه لينصب من يشاء منهم ويعزل من يشاء ، وانما له الولاية العامة دون هذه المرتبة .

وعليه فيجب على فقهاء المسلمين ان يسعوا سعيهم الحثيث في احراز هذا المنصب الالهي الذي عينه الله لهم بالنص الجلي واذا لم يتمكنوا من ذلك فليس معناه سقوطهم عن هذه المرتبة السامية التي جاء الأمر بها من قبل الله تعالى . ! ومن ثم اذا لم يدرك الأمر كله فلا يترك جله . فيقوم الفقيه الجامع للشرائط المقررة بتنفيذ الأحكام الشرعية وجمع الضرائب وصرفها حسب مستطاعه وفق دائرة نفوذه الخاص ، لا الانسحاب كلياً بحجة تغلب الظالمين على أزمة الامور . . !

الولاية الذاتية :

لا يستدعي اشتراك الفقيه مع الامام (ع) في الولاية الاعتبارية : سلب جميع الامتيازات التي هي للامام (ع) إذ منها الولاية الذاتية الثابتة للامام لا يشركه فيها احد . ذاك

مقام خلافة الله الكبرى التي حازها الأئمة الاطهار وقد جاءت في لسان الاخبار : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » « خلقكم انواراً بعرشه خدقين » . انهم عليهم السلام يختلفون عن سائر الناس اختلافاً فى قدم الخلق وفي التكوين وفي الوجود ، ولهم مع الرب تعالى مرتبة لايدانيها « ملك مقرب ولا نبي مرسل» « ان لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل » أجل وان اقرب ملائكة الله المقربين لم يستطع ان يعرج مع محمد (ص) الى سدرة المنتهى قائلاً : « لو دنوت انملة لاحترقت » .

وقد ثبت ركناً أصيلا من عقيدتنا ـ نحن الامامية ـ ان للمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام امتيازاً في جميع مراحل الوجود يفوقون به جميع الخلائق على الاطلاق . فى حين ان لصديقة الطاهرة (ع) لم تكن حاكمة ولا قاضية ولا خليفة ، مع انها لا تشبه احداً من الخلق في ذاتها وفي شرفها ولا في شيء من متيازاتها التي هي كثيرة .

لكنا ـ في هذا البحث ـ لا نعنى هذا النوع من الولاية لتي هي ذاتية ونافذة المفعول حتى فى الحيوان والنبات والجماد هذا أمر يرجع بحثه الى علم الكلام والعقائد . انما بحثنا في هذا المجال عن الولاية بمعنى الحكومة بين الناس فى شؤون دارتهم العامة . ومن ثم لا يختلف فيها الامام والفقيه ، شيء .

ليست الحكومة الاعتبارية منقبة لرجال الله :

« يقول الامام امير المؤمنين (ع) لابن عباس مشيراً الى نعله : ما قيمة هذه النعل ؟ يابن عباس . ! يقول ابن عباس : لايسوى شيئاً . فيقول : والله لامرتكم هذه اهون علي من هذه النعل الا ان اقيم به حقا او ابطل باطلاً » .

ان الحكم على الامة في نظر الامام لا يسوّى نعله المخصوف الذي يقل سعره عن درهم الا ان يقيم به حقا او يبطل به باطلا .

فلو كانت الخلافة تعني المقامات المعنوية لكان الامام (ع) يسعى اليها بكل جهده - كما هو شأنه في الصعود على مدارج القربى من الله - غير أن الخلافة الظاهرية تحمّل تكاليف مضنية وتثقيل للكاهل باعباء الادارة العامة التي يهرب من تعهّدها المقربون ، ولذلك يقول الإمام عليه السلام « لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء : ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكاس اولها ولألقيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عطفة عنز » (١) .

---

(١) نهج البلاغة خطبه ٣ ص ٣٣ طبع مصر .

ان مقام القرب المعنوي لا يقبل تركاً ولا غصباً ولا جعلاً فقد كان لعلي عليه السلام ذلك المقام الرفيع قبل ان ينصبه رسول الله (ص) خليفة على الأمة لكننا - نحن الناس - حيث ملأت عيوننا زخارف الدنيا وزبارجها لا يعجبنا الا المظاهر الخلافة والرئاسة المحدودة التي يعاني صاحبها من المتاعب وتحمل المسؤليات ما يذهب بحلاوتها لو تبصر المتبصرون . .

ما قيمة زعامة تقلدها أمثال خروشف وكندي ، انها وبال ومسؤلية كبرى تجاه الخالق والمخلوقين . كان الامام عليه السلام يتحاشاها لولا أمر الجليل تعالى .

كان يقول : « انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة . . » ان الاشتغال بشؤون العامة ليعوق رجال الله عن اهدافهم السامية المتعالية عن الدنيا وما فيها . انهم من عوالم غير العوالم المادية ، وكان يشق عليهم مشاغل الناس ، انها مشاغل خسيسة لولا الأمر ولزوم الامتثال .

الزعامة في سبيل الدفاع عن المظلومين :

يقول الامام عليه السلام : « اللهم انك قد تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك . . » فلما قام على (ع) بالامر شد حيازيمه للقيام بواجبه وخاطب نفسه قائلاً : تهيء للاتعاب . . . اجل : ان ولاية الأمر صعب لحد النهاية لاولياء الله ـ ولا سيما في مثل المواجهة مع معاوية واضرابه . . .

وفي الحديث التالي شرح واف بشأن ولاية المسلمين ومواقفها الخطرة التي يقفها الوالي ، ويتبين منه بوضوح اشتراط الشرطين السابقين : العلم والعدالة . . .

« اللهم اني اول من اناب وسمع وأجاب لم يسبقني الا رسول الله (ص) بالصلاة وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل فتكون في اموالهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الخائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم... (١) » فلايخاف الدول ليضطر ان يواد بعضاً ويباغض الآخرين فعلى الوالي ان يقوم بواجب المراودة مع كافة الدول ـ كما

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٦ طبع مصر .

يرتضيه الدين وفيه صـــلاح المسلمين ولا يطمع فيه الاعداء المستعمرون ـ أو ليقطع عن الكل لو كان هذا هو المصلحة العامة الاسلامية فانما المدار في الروابط الدولية ايجاباً وسلباً مصالح المسلمين لا مداهنـــة المستعمرين واقتفاء آثارهم والتمشي مع اطماعهم .

وترجع كافة هذه الامور الى اصلى العلم والعدالة الحقيقية ـ كما كان يعمله الامام امير المؤمنين (ع) ـ وهناك دستور عام شامل كامل قرره الامام (ع) لمالك الاشتر النخعي حين ولاه مصر ـ وهو الدستور الاسلامي العالمي لكافة الحكومات الاسلامية السامية .

فالمستفاد من هذا الدستور وسائر كلماته النيرة ان الخلافة الاسلامية ليست الا بغية الحفاظ على النظام وحدود الاسلام وكما تقول الصديقة الكبرى : ان الامامة لحفظ النظام وتوحيد كلمة المسلمين .

لابد من نظام :

اجل انه لا شك في ضرورة النظام لحياتنا الاجتماعية . ولم يخالف في هذا الرأي أحد من فقهائنا الاعلام ، وعليه فاما ان نخضع لهذه الحكومات الجائرة ونرضى بقوانين غير اسلامية ـ هذا ما لا يقول مسلم فضلاً عن العلماء ـ او تقولون : نعم

يجب حفظ النظام ولكن ذاك تكليف لا يمسنا . . . هذا ايضاً غير صحيح ، لان المحافظة على نظام الحياة واجب عـام . فاذا وجب حفظ النظام ، والمفروض توقفه على ولي أمر نافذ الكلمة ومن سماته العلم والعدالة فبالتالي يؤل الأمر الى وجوب تشكيل حكومة اسلامية منيعة مقدمة لحفظ نظام الحياة ، الواجب بحكم العقل والشريعة المقدسة من غير إمتراء .

الحكومة في مدلول الاحاديث :

من الاحاديث المأثورة التي تدل على الموضوع بدلالة واضحة ما أثر عن امير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول (ص) وآله : « اللهم ارحم خلفائي . . . .

ولنتكلم فى هذا الحديث الشريف من ناحيتين ، الاولى : في سند الحديث من الوجهة الفنية . والاخرى فى مدى مفهومه في الموضوع .

اما السند فقد روى صاحب الوسائل هذا الحديث مرسلاً في كتاب القضاء ابواب صفات القاضي . الباب الثامن . الحديث الخمسون . والباب الحادي عشر . الحديث السابع .

ورواه عن معاني الاخبار والمجالس بسندين يشتركان فى بعض رجالهما . وفي العيون بثلاثة اسانيد يختلف رجال بعضها عن الآخرين . احدهم في مرو . والآخر في نيسابور . والثالث

فى بلخ . على ان الصدوق يروي الحديث مرسلاً مُسنداً له الى الامام كارسال المسلمات ، قال : قال امير المؤمنين (ع) : قال رسول الله (ص) اللهم ارحم خلفائي - ثلاثاً - . قيـــل : يا رسول الله (ص) من خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي » أي يعلمونها للناس - كما في بعض الاحاديث - .

هذه الطرق المتكثرة للحديث ، وان لم تكن سليمة حسب مصطلح الفن ، لكن كثرة الطريق وتعدد الحديث مما يوجب الاعتماد ولا سيما ان مثل الصدوق (ره) لا يرسل الاسناد الى الامام مالم يثق برجال السند . فان مراسيله لا تقل عن مراسيل ابن ابي عمير التي اعتمد الاصحاب عليها . فالصدوق رحمه الله اما ان وقف على رجـال السند ووثق من صدق حديثهم وروايتهم . او حصلت عنده قرائن مؤيدة قاطعة بالصحة وليس الصدوق كالمفيد (رحمهما الله) فى الاعتماد على اجتهاده الشخصي في نقـل الاحاديث فانا لا نعتمد على مراسيل الشيخ المفيد اعتمادنا على مراسيل الشيخ الصدوق . ان المفيد كان مجتهداً يعتمد على دقائق فنون الاجتهاد اكثر مما يعتمده مثل الصدوق وان كان مجتهداً ايضاً .

واما فحوى الحديث فأقول :

إن مما يجب مراعاته عند فهم مدلول الاحاديث المأثورة

هو الإبتعاد عن الإلف المعتاد والتخلي عن رواسب الاعتقاد مما يمكن الانحراف بسببه عن بلوغ الهدف المقصود من الكلام.

أنا لم أحضر درس المحقق النائيني - رحمه الله - حضوراً يمكنني القول باستفادتي من إفاداته الفائضة ، لكني شاهدت بحضر درسه الشريف أيام شبابي ، فنقل يوماً بالمناسبة - وقد نسيت تلك المناسبة - حديثاً طريفاً عن أحد العلماء كان يمتنع عن الافتاء بعدم انفعال ماء البئر مع قطعية نظره الاجتهادي بذلك إحتمالاً منه ان وجود البئر في داره ربما كان المؤثر في حمله على هذا النظر الايجابي حتى غار ماء البئر فاعاد النظر في الأدلة وكان موافقاً لما استنبطه قبل ومن ثم أصدر فتواه بالطهارة عن رضى الخاطر وثقة منه من عدم تدخل الملابسات في نظره هذا .

ولذلك فان الذي يجب الدقة فيه هو ملاحظة عدم تدخل الأجنبي في فهم المداليل الكلامية . اما التساهل في ذلك فان اخطاره كثيرة ، ومن ثم تختلف الانظار في مدلول حديث واحد وليس لهذا الاختلاف سبب سوى هذا التساهل في ضرورة تجرد النظر عن الملابسات ومتخلفات الاذهان .

وعلى ماسبق نقول : اذا قال رسول الله (ص) : « علي خليفتي » او قال : « قد عينت خليفتي » فقيل له : من هو ؟ خليفتي فاجاب « من فتح خيبر » وامثال هذا الكلام . فهل يحتمل مفهوم هذا الكلام معنى سوى ولاية امور المسلمين من بعده ، . ؟ وكم

نستغرب من اولئك الذين يرون معنى « علي خليفتي » هو الولاية العامة من بعد الرسول . ولكن عندما نعرض عليهم حديث « اللهم ارحم خلفائي » يفسرونه بالموجّه ومبين الاحكام للناس دون الولاية . . ! لماذا هذا الاختلاف فى مفهوم كلمة واحدة وقعت فى موضعين لا يختلف أحدهما عن الآخر . . ؟ !

كيف تكون لفظة « الخليفة » مفردة . فى حديث « علي خليفتي » بمعنى الولاية العامة . ولفظة « خلفائي » جمعاً بمعنى التوجيه والبيان . . ! فهل الاختلاف فى الافراد والجمع يوجب اختلافاً في مفهوم المعنى . . ؟ !

ليست الخلافة عبارة عن بيان المسائل الفرعية :

تناول المسلمون مسألة الخلافة والبيعة اثر وفاة النبي (ص) مباشرة ومن ثم حكم الاوائل وقامت بنو امية وبنو العباس حتى القرن السابع بالحكومة على الناس باسم الخلافة . وحتى العثمانيون حكموا المسلمين حتى الحرب العالمية الثانية باسم الخلافة ايضاً فكان مفهوم الخلافة طوال هذه المدة المديدة عند المسلمين جميعاً هو الزعامة والحكومة مختلفاً كل الاختلاف عن مفهوم التوجيه وتصدى بيان الاحكام للناس ، ولست أدري متى اختلط احد المعنيين بالآخر ليصبح مفهوم « خليفتي » غير مفهوم « خلفائي » . وما هو الدليل الواضح على هذا الاختلاف في

المفهوم . . ؟

ثم ان النبي (ص) لم يكن راوياً للحديث ، بل كان زعيماً وحاكماً يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وهكذا خلفاؤه ، لا أن يكون هو حاكماً وانا اكون موجهاً في الاحكام الفرعية فحسب .

اذن فجملة « يروون حديثي » تكون معرِّفة للخليفة وشرطاً فيها ، لبيان ان من شرط الخلافة هي الفقاهة ومعرفة السنة ونقلها وتعليمها للناس وتربيتهم - كما يستفاد ذلك من سائر الروايات ايضاً -

المحاضرة الخامسة .
الثلاثاء ١٩ ذى القعدة ١٣٨٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

شرائط صلاحية الحكم في الاسلام :

قلنا - فيما سبق - : يجب توفر شرطين اساسيين في الزعيم الاسلامى العام . أحدهما العلم بالقانون والآخر العدل في التنفيذ . وان كان هناك شرائط اخرى يعتبر توفرها في شخص الزعيم . غير ان الشرطين المذكورين كانا الاساس لصلاحية الزعامة .

وحيث ان الحكومة في الاسلام هي حكومة القانون فحسب كان لزاماً على الحاكم الاسلامى معرفته التامة بقوانين الاسلام جميعاً . وحيث ان الحاكم في الاسلام لا يحمل سمة غير سمة منفذ للدستور ومطبق للقانون فمن واجبه تطبيق القانون كما هو واقعه الصحيح من غير ان يتدخل برأيه ونظرياته الخاصة في هذا الإجراء . ولا يمكنه ايضاً ان يأخذ بآراء مستشارين وما اشبه ذلك . الامر الذي يحتم ضرورة تحقق العدالة في شخص الزعيم الاسلامى من غير ريب . اذ لو لم يكن عادلاً

لم يمكنه الاعتدال في أخذ وصرف مالية الاسلام ، ولكان حينئذ احتمال كبير أن يتسلط اعوانه واقرباؤه على ازمة الحكم ، فيحمل ذويه على اكتاف الامة ويصرف بيت مال المسلمين في شوونه الخاصة .

رجوع الى الأثر الوارد :

جاء دور مراجعة الأثر الوارد بهـــذا الصدد والنظر في دلالته ـ حسب ما وعدناكم في اليوم الماضي ـ :

قال صلى الله عليه وآله : « اللهم ارحم خلفائي ـ ثلاث مرات قيل له : من خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون من بعدي ويروون احاديثي وسنتي فيعلمونها الناس من بعدي » .

روى الصدوق عليه الرحمة هذا الحديث في كتبه : جامع الاخبار ، العيون والمجالس بطرق اربعة بل خمسة ، حيث وقع الاشتراك في بعض طرق روايتين (١) .

---

(١) في العيون : حدثنا ابو الحسن محمد بن على بن الشاه الفقيه المروزى بمرو الرود .

قال : حدثنا ابو بكر بن محمد بن عبد الله النيسابورى

قال : حدثنا ابو القاسم عبد الله بن احمد بن عامر بن سليمان الطائى .

قال : حدثنا ابي « سنة ٢٠٦ » .

. . . . . .

قال : حدثنا علي بن موسى الرضا « سنة ١٩٤ » .

وحدثنا ابو منصور احمد بن ابراهيم بن بكر الخوري بنيسابور ، قال : حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن هرون بن محمد الخوري قال حدثنا جعفر بن محمد بن زياد الفقيه الخوري . قال : حدثنا احمد بن عبد الله الهروي الشيب في عن الرضا (ع)

وحدثني ابو عبد الله الحسين بن محمد الاشناني الرازي العدل ببلخ قال حدثنا علي بن محمد بن مهرويه القزويني عن داود بن سليمان الفراء عن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال حدثني ابي عن آبائي عن علي بن ابيطالب عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم اورد بعد ذلك احاديث كثيرة يقرب من مائتين في كل واحد منها يقول وبهذا الاسناد . منها : وبهذا الاسناد قال : قال رسول الله (ص) : اللهم ارحم خلفائي ثلاث مرات قيل له ومن خلفائك ؟ قال : الذين ياتون من بعدي ويروون احاديثي وسنتي فيعلمونها الناس من بعدي . - عيون الاخبار ج ٢ ص ٣٧ ح ٩٤ .

رواة هذا الحديث مجاهيل لكنهم رووه باسناد ثلاثة من غير ان يشترك واحد منهم فيها ومن البعيد جداً تواطؤ الثلاثة على الجعل والوضع لا سيما وانه بالسند الاول حدثه بمرو وبالثاني حدثه بنيسابور وبالثالث ببلخ .

وجاءت جملة « فيعلمونها » فى احدى الروايات المسندة و « فيعلمونها الناس » في الاخريات مسندة ايضاً . واما المرسلة فخالية عن هذا الذيل رأساً .

ونتكلم نحن في هذا المجال على تقديرين : تقدير وحدة الرواية ، لتكون جملة « فيعلمونها » زائدة ، او كانت فسقطت والسقوط اقرب الى الواقع ، لان السهو والخطأ فى الاسقاط أمر غير عزيز . اما في الزيادة فشيء نادر جداً .

على ان الحديث مروي بطرق عدة عن رواة كانوا يعيشون في اماكن متباعدة يبعد تواطؤهم على التمويه . كما يبعد تخاطر اذهانهم على زيادة هذه الجملة تخاطراً اتفاقياً غريباً . اذن فمن المقطوع به جداً هو سقوط هذه الجملة من نسخة الصدوق رحمه الله

ورواه في الوسائل ـ « ابواب صفات القاضي باب ٨ حديث ٥٠ (١) وباب ١١ حديث ٧ (٢) » عن الفقيه مرسلاً (٣) وعن معاني الاخبار (٤) بسند غيرها وفى المجالس (٥) بسنده مع زيادة « ثم يعلمونها ... » وفي معاني الاخبار : ليعلمونها الناس من بعدي .

---

(١) ج ١٨ ص ٦٥ طبع تهران ١٢٨٨ .

(٢) ج ١٨ ص ١٠١ ـ ١٠٠ طبع ١٣٨٨ .

(٣) ص ٣٧٤ .

(٤) ج ٣ ص ٣٠٢ ج ٩٥ .

(٥) ١٨٢ ط الكمباني .

اما من قلمه او من قلم النساخ .

واما التقدير الثاني فهو احتمال كونهما حديثين بروايتين في احدهما هذه الزيادة دون الآخر .

ثم على تقدير وجود هذا الذيل فان هذا الحديث لا يشمل اولئك المقتصرين على رواية الحديث دون دراية معانيه والاجتهاد في مقارنة بعضها مع بعض واستنباط الأحكام فلا يكونون فقهاء ـ حسب الاصطلاح ـ « رب حامل فقه الى من هو أفقه منه » انما هم كمسجلات صوت ، يلتقطون فيبثون نعم إنهم خلفاء النبي (ص) بعض الشيء ، وان مساعيهم في نشر أحكام الله وتثقيف عباده تثقيفاً دينياً لمشكورة ومقدرة ، وبعض هؤلاء يحملون آراءهم ويكونون فقهاء ايضاً امثال الكليني والصدوق ووالده ـ رضوان الله عليهم اجمعين ـ ولا يعني الفارق بين مثل الصدوق ومثل المفيد أن فقاهة الأول دون الأخير . ان الصدوق هو الذي شرح اصول المذهب وفروعه في مجلس واحد . ! غير ان الفرق بينهما انما يعني ابعاد مثل الصدوق عن التدخل برأيه في الاستفادة من الاخبار المأثورة ، واما المفيد فكان يُعمل رأيه في استنباط الاحكام وكان يجتهد حسب المفهوم المصطلح .

والحديث الآنف يشمل اولئك الذين يبثون أحكام الله بين خلقه ويرشدونهم الى معالم الدين الحنيف ويربونهم تربية صحيحة اسلاميه فيقومون بنفس العمل الذي قام به رسول الله وخلفاؤه الائمة الهداة المهديون صلوات الله عليهم أجمعين . فيشكلون

حوزات تدريسية عامة يشترك فيها الالوف من طلبة العلوم الدينية تمهيداً لبث الدعوة الاسلامية بين الملأ على اساس علمي رصين « يعلمونها الناس » .

ولا غرو اذ قلنا ان الاسلام دين عالمي ، ان ذلك من بديهة العقل ، ان علماء الاسلام يحملون عبء تبليغ رسالة الله الى عامة الناس ، ويجدّون في توسيع دائرة رقعة الاسلام .

ولو فرض ان جملة « يعلمونها الناس » لم تكن في ذيل الحديث الآنف ، فلابد من النظر فيما ذا يعينه قول الرسول الاكرم (ص) : « اللهم ارحم خلفائي . . . الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي » . . ؟

الفقيه العادل هو الذي يقوم بنشر الأحكام :

في هذه الصورة ايضاً لا يشمل الحديث المذكور راوياً غير فقيه ، لان سنن الله عبارة عن جميع احكامه وتشريعاته ، وحيث جاءت على يد النبي (ص) عبر عنها بسنة الرسول (ص) ، فالناشر لسنة الرسول لابد ان يكون له إلمام باحكام الله جميعاً ويميز الصحيح من السقيم ، والمطلق من المقيد ، والعام من الخاص ، ويعرف الجرح والتعديل او الجمع بين المتنافيين ظاهراً جمعاً متعارفاً معقولاً . ويعرف مواقع التقية ويعلم موازين تشخيص كل ذلك على اسلوب علمي صحيح .

ان المحدّث الذي لم يبلغ درجـــة الاجتهاد ويقتصر على رواية الحديث لا يعرف شيئاً من ذلك مما هو ضروري لفهم الاحكام واستنباط الفروع من الاصول فلا يميز السنة الصحيحة كي يعرّفها للناس ويرشدهم اليها . فهو ساقط في نظر النبي (ص) ولاشك ان شخصاً كهذا لم يكن محط نظره (ص) لمجرد ان يقول : قال رسول الله (ص) او عن رسول الله ، هذا فحسب سواء [illegible] قاً ام كذباً ، فيروجه بين المسلمين . . ! بل ان مقصوده صلى الله عليه وآلـــه هو نشر سنته الصحيحة ، وبث احكام الله الواقعية : « من حفظ على امتي اربعين حديثاً حشره الله فقيهاً » وغير ذلك من أحاديث في الحث على نشر السنة وبث الاحكام انما تعني من المحدثين النابهين دون المتزمتين الجامدين ولذلك عبر عنهم بالفقهاء اي الفاهمين والمدركين لحقيقة الدين والشريعة ، وفق الموازين والضوابط التي تفضل بها ائمتنا الهداة تمييزاً للحق عن الباطل والصحيح عن السقيم ان هؤلاء هم خلفاء الرسول الذين يشملهم دعاؤه « اللهم ارحم خلفائي » .

وعليه فلا شك ان قولة الرسول هذه لاتشمل اولئك الرواة الذين لا يعدون كونهم كتبة الحديث ، ولا يصلح الكاتب المجرد ان يكون خليفة النبي الاعظم وانما خلفاء الرسول (ص) هم فقهاء الاسلام العدول الذين لايتوانون عن نشر القيم الاسلاميه بين النـاس إذ لولا اشتراط العدالة لآل الأمر الى مثل اولئك القضاة الذين كانوا يضعون الاحاديث عن لسان النبي ويفترون

على الله الكذب امثال سمرة بن جندب الذي قام باختلاق احاديث كاذبة في حط شأن الامام امير المؤمنين عليه السلام .

واذا لم يكونوا فقهاء لم يمكنهم معرفة الفقه ، والحكم الاسلامى ، فيجوز ان يقوموا بنشر الاكاذيب والاختلاقات التى طالما اجتهد عمال الظلمة في خلقها ونشرها ، نظير الحديث الذي جعلوه في شأن سلاطين الجور فكان سبب ذلك الهياج العام حول برج الافتعال .

القرآن يحارب السلطات الجائرة :

إن القران الكريم ينادي بكل صراحة على مكافحة اساليب عمال الجور والفساد : الملوك الجبابرة الطغاة . ومن ورائه الاحاديث الكثيرة تحارب المبدعين فى دين الله .

فقد ترك واطؤا الهمة كل هذه التحديات الصريحة التى جاءت فى الكتاب والسنة لمجرد ظفرهم برواية او روايتين ضعيفتين بل مختلقتين يعلمون هم انها مجعولة لصالح السلاطين وحكام الجور . ولعلها من صنع وعاظ السلاطين لتكون مبررة لخدماتهم غير المشروعة في سبيل التقرب الى الطغمة الحاكمة لاشباع شهواتهم اللامشروعة وتحقيق اغراضهم الشخصية .

فلو كان هؤلاء من أهل الحديث لكان يسترعي انتباههم

تلكم الاحاديث الكثرة التي وردت في ذم السلاطين وذم مصاحبتهم والانضواء تحت رحمتهم الخادعة : انها عبادة البطن تجعل من الانسان خادم البلاط لا الرواية . . !

وعلى أية حال فان بث العلوم الاسلامية ونشر أحكام الدين وظيفة يتحمل عبئها الفقيه العادل . لئلا يستبدل من الصادق كاذباً ، ومن الصحيح سقيماً . ويميز الاحكام الواقعية عن الاحكام التي صدرت عن أئمتنا عليهم السلام كانوا في اغلب الأحيان - مبتلين بظروف عصيبة لا تسمح لهم على بيان الواقع كما هو . وذلك خشية على جوهر الاسلام الحق وحفاظاً عليه مثل الحفاظ على أنفسهم ودمائهم . حيث كان امراء الجور المنحرفون ينتهزون الفرص في اقتلاع هذه العقيدة النيرة من الجزور . وقد عاكس الائمة الاطهار عليهم السلام - بسلوكهم هذا - الغاية الخبيثة التي كان يسعى اليها اولئك الجلاوزة . ومن ثم لم يعطوا في يوم من الايام أي مجال لضرب عقيدتهم القويمة على الاطلاق .

عمل الائمة على اقامة حكومة اسلامية عادلة

لقد عمل اهل البيت (ع) وبذلوا كل ما في وسعهم من اجل تشكيل حكومة إسلامية عادلة وقد احسّ حكام الجور بذلك عن آل محمد ومن ثم ضيقوا عليهم المجال برقابة شديدة . فالرشيد

حبس الامام موسى بن جعفر (ع) ، والمأمون يجلب الامام الرضا الى مرو ليجعله تحت نظره مباشرة ، وبالتالى يقدم على قتله بالسم . الى اخر الفجائع التي ذاقها الائمه والتابعون لهم لم يكن ذلك عداء شخصياً مع آل الرسول (ص) . . كلا . . ان الرشيد وابنه المأمون كانا يحملان الولاء للبيت العلوى ، غير ان الملك عقيم وقد عرف اولئك ان بني علي يريدون ان يجردوهم من السلطة لتعود الخلافة الحقة الى اصحابها الاكفاء لذلك كان هذا القتل وكان هذا التضييق . !

ومما يؤكد هذا جواب الامام لما طلب الخليفة من الامام ان يعين حدود فدك المغصوبة ليرجعها الى بني فاطمة (ع) قام الامام بتحديد رقعة الاسلام جميعا ، وقال : هذه هي الحدود التي هي لنا وقد غصبت منا . . !

القيام ضد الحكم الجائر :

كانوا يعلمون لو يرى الامام موسى بن جعفر الكاظم (ع) مجالاً او قدرة لضيق الحياة عليهم وكان الامام يمهد الطريق للقيام بالأمر وهدم صرح الظلم والجور لذلك لم يمهلوا الامام عليه السلام فلو انهم أمهلوه لكان من الحتم ان يقوم بثورة يدك بها حصون الانحراف . وكذلك الامام الرضا عليه السلام

كان المأمون يخشى قيامه بثورة ولذلك كان ذلك النفاق وتلك الاجراءات التعسفية ضد الامام حتى لا يدع له مجالاً للتفكير في الحكومة الاسلامية ، انهم كانوا يستهدفون دعم حكومتهم الجائرة بأية وسيلة كانت . وكانوا يؤثرون بكل غال ورخيص في سبيل ذلك . فلو كان الائمة عليهم السلام - في فرض المحال - يخضعون للحكم الجائر وينخرطون في سلك الدولة على غرار سائر القضاة والعلماء ممن عاصر الائمة ، لكانوا في قمة العز والمنزلة الرفيعة . ويروى ان الامام الكاظم ، لما ورد على الرشيد امر ان لاينزل من دابته إلا عند صدر المجالس استقبله بكل ترحاب وجاء به راكباً حتى قرب مسنده الميشوم . هكذا كانوا يبجلون بالائمة لو كف الائمة (ع) عن الجهود . لكن عندما أمر بعطائه لبني هاشم كان نصيب الامام من القلة بحيث لا تتناسب وذلك الاحترام الذي قام به ومن ثم سأله ابنه المأمون عن هذا التناقض الذي ارتكبه بشأن الامام ؟ قال الرشيد : انك لا تعلم ماذا يجب الاتخاذ بشأن بني علي (ع) يجب ابقاؤهم في مستواهم الفقري حيث لا تنمو فيهم داعية الخلافة فيعارضونا .

وهكذا يعمل حكام ايران للحفاظ على فقر الشعب الايراني حيث يرضخون تحت نير الظلم والا سوف ينتفضون انتفاضتهم لو ملكوا وسائلها ، يجب ان يكونوا فقراء ختاجين بين محبوس وآخر شريد او مبتعد ، ومن عليل او مسموم او مقتول ليكون

الجال أمام الطغمة مفتوحاً على مصراعيه .

وعلى اي حال كان الائمة عليهم السلام في شرائط وظروف لم تكن تساعدهم على القيام بالدعوة الصارخـــة ولم تمكنهم الانتفاضة والنهضة ، فلم يستطيعوا بيان ونشر الاحكام الالهية التي تلقوها من الرسول الاكرم جدهم صلى الله عليه وآله كما هو واقعها الصحيح الكامل . ولذلك كان اصحابهم امثال محمد ابن مسلم وزرارة في تقية شديدة وتحت رقابة شاملة ، فكانوا يقصدون الحج لعلهم يلتقون مع الامام ليسألوه مسائلهم في الدين والاحكام . وقد بلغ الضغط مبلغه بحيث ربما كان الامام لايتمكن من بيان الحكم الواقعي حتى لاخص أصحابه فكان يلقى عليه بشيء ثم بعد ذلك يبين له الواقع . ومن ثم تلك الروايات الكثيرة التي صدرت تقية ليجب على الفقيه التثبت من الاخذ بالروايات حتى يميز الصحيح عن السقيم والغث عن السمين . وان ذلك التمجيد البالغ بشأن الفقهاء انما هو بالنظر الى هذا العمل الجبار الذي لا يقوم به سوى محنك مضطلع بأخبار اهل البيت (ع) . . يقوم بنشر السنة الصحيحة المستخرجة من بين أشواك وأدران كانت قد أحاطت بالواقع نتيجة التقية الواجبة فالفقيه الذي يقوم بهذا العمل هو الذي يستحق هـــذا الثناء والتبجيل لا من يقبع في زاوية بيته معطلاً لا ينفع الناس شيئا انكم ـ ايها الطلبة ـ مسؤولون تجاه الشريعة المقدسة ، يجب عليكم ان تجتهدوا في بث ونشر الاحكام ، وان تعلموا الناس

ما تعلمتوه ، وخير الناس من نفع الناس .

أولى خطوة الى الانتفاضة :

ما مر بنا في اول البحث من واجب الانتفاضة الكبرى لتشكيل حكومة اسلامية منيعة فان اولى خطوة تسلك الى ذلك الهدف السامي هو القيام بنشر الاحكام وبثها فيما بين الملأ بصورة مستوعبة شاملة ليعرف الناس مدى ما في الاسلام من صلاحية الحكم العام . حيث الوعي الاسلامي هو الاساس الوحيد لبناء المجتمع الصالح . والاهداف العليا انما تبتدأ من نقاط اولى وعن طريق الدعوة والتبليغ . هذه هي الطريقة المتبعة في جميع النهضات الاصلاحية الكبرى على الاطلاق . كانت الفكرة تنقدح لواحد او اثنين ثم ثلاثة واربعة وهكذا كانت تتزايد انصار الفكرة على مر الزمان حتى تتسرب في اعماق المجتمع وفي اعضاء الدولة من اداريين وعسكريين ، كما فعل دعاة النظام الدستوري في ايران على عهد القاجارية فاطاحوا بعرش (محمد علي ميرزا) ليبنوا مكانه صرح الحكم الدستوري الراهن ـ غير ان المستعمر لم يقف مكتوف اليدين فجد جده في تحوير مجرى الدستور الى مجرد اسم في واقع دكتاتورية غاشمة يعاني الشعب الايراني المسلم منها الامرين في يومه هذا .

أيقظوا الشعب ! :

لم تكن الدعوات الاصلاحية الكبرى عبر التاريخ اطلاقا بالتى تملك قوتها وقدرتها منذ يوم تأسيسها ، انما كانت تبدأ بالدعوة والتبليغ وبث الوعى الاجتماعى بين الامة حتى يتضخم هيكل الدعوة شيئاً فشيئاً ومن ثم مكافحة المظالم القائمة ، كان أصحاب الدعوة يستلفتون انظار الشعب الى تلك المظالم أولاً ، ثم ينبهوهم الى خطر الرضوخ تحت نير الطغاة ان كان الشعب هو القوة العاملة لا تقف امامها قوة أبداً . وعندما يستيقظ الشعب من سباته سيدك عروش الظالمين وينتشر الصلاح وتعم الفضيلة .

كونوا جميعاً يداً واحدة في طريقكم الى الحكومة الاسلامية

انكم الآن لا تملكون دولة ولا جيشاً ولا قوة ، غير ان مجال الدعوة والتبليغ امامكم واسع والاستعداد عند الناس كثير . ان بيان مسائل العبادات واجب اسلامي غير ان للاسلام مسائل أخرى ايضاً يجب تبليغها للناس وتعريفها اليهم فى مجال الاقتصاد والسياسية وغيرهما فيجب عليكم القيام ببثها وتعليمها

ليخلقوا من الناس امة واعية عارفة بواقعها ومبدئها وحتى يقوم من يأخذ بالحق المهضوم ويقوم بتشكيل حكومة اسلامية عادلة تضمن للشعب حقوقه .

من يؤثر الراحة على العمل يحسب الممكن مستحيلا :

ليس هـذا (تشكيل الحكومة الاسلامية) أمراً ممتنعاً . وكم من افراد شرعوا بالعمل من لا شيء ثم على أثر ما أبدوه من صلاحية واستعداد وجد في العمل وصلوا الى غايات بعيدة وكم من معوزين لا يملكون شيئاً جدوا في العمل . فحصلوا على أموال طائلة غير انا ـ لقصور همتنا ـ نتقاعس عن العمل المفيد لصالحنا نحن المسلمين ، ونلتمس الحجج والمعاذير ونحسب الممكن مستحيلاً . حباً للراحة والكسل . . ! فلو كنا مجدين في سبيل مصلحتنا . وكنا نفكر في أسباب تأخرنا وضعفنا ونعرف ماذا يريده الاسلام منا لم تبلغ الحالة بنا اليوم الى ماترون ليس الاسلام منا هو مسائل الحيض والنفاس ولا الصلاة والصيام بل الاسلام عقيدة إلهية ينبثق عنها نظام كامل للحياة .

الاسلام كان نظاماً لاكبر دولة اسلامية عرفها التاريخ .

فمزيداً من العمل ومزيداً من الجهاد يارجال الاسلام حتى نصل الى الهدف الـذي رسمه الله تعالى لنـا لننـال خير الدنيا الآخرة .

دس يهودي آثيم :

ان واجبكم الحفاظ على القرآن فلا تمسه ايدي المحرفين والحذر كل الحذر من الصهيونية العالمية ودسائسها التي تحاول تحريف الكتاب كما فعلته أخيراً ـ مع الاسف ـ رد الله كيدهم في نحورهم لم ينالوا خيراً . « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ولكن يجب ان نرفع نداءنا الى العالم أجمع ليعرفوا من هذا الشعب الموتور المنبوذ ويعرفوا عدائه القديم للانسانيـــة والاسلام ومنابذته مع أسسه ومقوماته الرصينة . إن الصهاينة يحاولون ـ بلاطائل ـ تشكيل حكومة صهيونية تحكم وتتصرف فى شؤون هـــذا العالم وتلعب في مقدرات الشعوب . نعم انهم أناس جادّون في العمل ، وانما نخشى ان يصلوا يوماً ـ لاسمح الله ـ الى هدفهم الخبيث ، وذلك جراء ضعفنا المرير وتكاسلنا عن القيام بواجبنا الاسلامي فنسلط نحن بايدينا حكاماً اسرائيليين على انفسنا ـ لا ارانا الله ذلك اليوم المشؤوم ولا وفق الله هذه الفئة المجرمة أبداً .

للفقيه العادل حق الحكم

وبعد كل هـذا فان القائم بنشر سنة رسول الله (ص) الصحيحة هم الفقهاء العدول . والخلافة فى ظاهرها اللغوى وفي

معناها المتعارف هي الحكومة . واطلاق كلمة « خلفائى » يدل على ان للفقيه العادل كلما كان للرسول الاكرم فيما يرجع الى ولاية امور المسلمين العامة الا ما خرج بالنص الخاص .

فلو قدر لكم ـ وانشاء الله سوف يقدر ـ ان شكلتم حكومة اسلامية عادلة واشتغلتم منصب زعامة المسلمين ، فان لكم من الاختيارات والتصرفات ما كان للرسول (ص) من تجهيز القوى وجمع الاموال . واقامة الحدود . واحياء الحقوق وو . . . الخ وليس لاحد ان يخالف او يتخلف ، والا سوف يتخذ في حقه الاجراء اللازم فعليكم ارسال الجباة الى الاطراف سعياً وراء جمع الزكوات فلو امتنع أحد من دفعها فلكم مقاتلته ، كما كان الرسول يفعل ذلك بمن يمتنع من اداء الواجب عليه ، لان الممتنع من اداء الزكاة مخالف للشريعة الاسلامية ومخالف لمصلحة المسلمين العامة .

محاضرات فقهية حول

الحكومة الاسلامية
او ولاية الفقيه

الدرس: ٦ ـ ٧ ـ ٨

مطبعة الآداب

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا الجزء ننشر ترجمة المحاضرة « السادسة والسابعة والثامنة » من محاضرات الامام المجاهد آية الله العظمى السيد الخميني دام ظله فى مسألة الحكم الاسلامي وولاية الفقيه .

ونحن اذ ننشر هـــذه الترجمة الامينة لمحاضرات الامام الخميني نؤمن ايماناً جازماً ان هذه المحاضرات سوف تقوم بدور كبير فى عمليـــة التوعية الاسلامية في صفوف الامة ، وسوف تسهم مع غيرها من المحاولات التي قام بها المخلصون من علماء الامة العـاملين فى ايجاد وعي اسلامي شـامل وتغيير في ذهنية الامة وتفكيرها .

فمما لا نشك فيه ان الحالة الحاضرة للامة الاسلامية لم تحصل عفواً ، ومن دون تخطيط وتفكير مسبق ، وانما حصلت نتيجة لجهود طويلة بذلها الاستعمار في تجميد ذهنيـــة الامة وتمييع طاقاتها وقابلياتها وشخصيتها .

ولا يمكن استعادة شخصية الامة الاسلامية وكيانها إلا بجهود تغييرية واسعة ، تتناول ذهنية الامة وتفكيرها وشخصيتها

وكل شيء يدخل في تكوين المضمون النفسي والعقلي لهذه الأمة وحينما يتاح لهذه الامة ان تغير من شخصيتها وذهنيتها فان كل شيء من حياتها يتغير ، وكل مشكلة في حياتها تذوب ، وينحسر عن حياتها الاستعمار بكل ذيوله ومخططاته و (لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

وعملية التوعية الفكرية هي في طليعة الاعمال التغييرية التي يجب ان تمارسها النخبة العاملة في هذه الامة حتى تستطيع ان تفي بدورها التغييري في حياة الامة وفاءاً كاملاً .

وقد أكد الامام الخميني على هذه الحقيقة اكثر من مرة خلال محاضراته حيث يقول ـ دام ظله ـ : ان التوعية الاسلامية ونشر الفكر الاسلامي كلاً لا يتجزأ وبشكله الحي النابض بالحياة هي مسؤولية المرحلة الحاضرة للنخبة العاملة التي تعيش بمستوى المسؤولية . لتحقيق المجتمع الاسلامي ، واقامة حكم الله على وجه الارض ، وتعبيد الناس لشريعة الله .

ونحن اذ ننشر هذه الترجمة الامينة لمحاضرات الامام الخميني ـ دام ظله ـ .

نأمل ان نكون بذلك قد ادينا بعض ماعلينا من مسؤولية في الاسهام في ايجاد الوعي الاسلامي الشامل في صفوف الامة والتمهيد لايجاد تغيير شامل كذلك في ذهنية الامة وتفكيرها .

ونرجو ان تأخذها الامة دروساً واعية فتشق طريقها الى

الحياة السعيدة وتمهد وسائلها الى تشكيل حكومة اسلامية عادلة بكل ورصانة وحصانة ووعي انها غايتنا المنشودة ، والله سبحانه وتعالى من وراء القصد ومن الله تعالى نستمد العون والتوفيق .

الناشر

محاضرات فقهية حول :

الحكومة الاسلامية

أو

ولاية الفقيه

الدرس : ٦ ـ ٧ ـ ٨

مطبعة الآداب في النجف الاشرف

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وصلى الله

على خير خلقه محمد وآله اجمعين

المحاضرة السادسة :

الأربعاء ٢٠ / ١١ / ١٣٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

« محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب عن علي بن أبي حمزة قال : « سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول : إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها وأبواب السماء التي كان يصعد فيها بأعماله ، وثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء ، لأن المؤمنين الفقهاء حصون الاسلام كحصن سور المدينة لها » (١)

سند الحديث :

ورد في سند الحديث كل من : محمد بن يحيى ، واحمد ابن محمد بن عيسى السراج ، وابن محبوب ، وهؤلاء من الفقهاء ويعتمد على أحاديثهم .

---

(١) الكافي - ج ١ ص ٣٨ (كتاب فضل العلم ، باب فقد العلماء - الحديث ٣) .

أما علي بن ابي حمزة البطائني ، فقد ذهب اكثرهم إلى تضعيفه ، بينما يقول الشيخ الصدوق في حقه : لقد عمل أصحابنا من الامامية برواياته ، وعمل المشهور يجبر ضعف السند .

وعلى هذا فلا ينبغي ترك الحديث لورود علي بن ابي حمزة في سنده . . . مضافاً الى ان البعض حكموا بتوثيقه ، فقد قال صاحب الوسائل ـ قدس سره ـ : علي بن أبي حمزة أوثق من ابنه .

على كل حال فان الحديث يمكن الاطمئنان اليه والاعتماد عليه .

نص الأحاديث :

هناك روايات أخرى في هذا الباب تقول : « إذا مات المؤمن الفقيه » (١) بيد أن صدر الحديث المتقدم لا توجد فيه كلمة « الفقيه » ، ويبدو من مقارنة ذيل الحديث حيث يعلل الامام (ع) : « لأن المؤمنين الفقهاء » . . . أن كلمة « الفقيه » قد اسقطت ، ويستفاد من القرائن الواردة من قبيل « ثلم في

---

(١) علي بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن ابن ابي عمير عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء » الكافي ج ١ ص ٣٨ (باب فقد العلماء الحديث ٢) .

الاسلام » و « حصون الاسلام » أن الحديث ينطبق على الفقهاء بالخصوص . ولهذا فانه نُقل بطريق آخر مع ذكر لفظ « الفقيه » وعندئذ فاما أن تكون لفظة « الفقيه » قد أضيفت - بصورة عمدية وبدون أي ارتباط وهذا أمر غير مألوف ، أو أنها أسقطت سهواً في الحديث المتقدم ، علماً بأن سقوط بعض الالفاظ في عملية الاستنساخ موضوع اعتيادي . هذا وإن مناسبة الحكم للموضوع تدلنا على أن نص الحديث كان هكذا : « لأن المؤمنين الفقهاء » .

يجب علينا أن نفهم أولاً ، هل الاسلام عبارة عن هذه الأحكام التي ندرسها وندرّسها ولا شيء سوى ذلك ؟ ام أن الاسلام يهدف بالدرجة الأولى الى تأسيس حكومة عظيمة حتى ينطبق ذلك مع معنى الحديث حيث يشبّه الاسلام بمدينة كبيرة والفقهاء بمنزلة السور لها .

الحكومة الاسلامية ليست امبراطورية :

وكما سبق أن ذكرنا خلال المحاضرات السابقة فان الهدف الأول من تشريع الأحكام الاسلامية هو تكوين حكومة ، لكن لا على اسلوب الامبراطوريات . فالاسلام ابعد ما يكون عن تكوين حكومة إمبراطورية . إنّ القصور الضخمة ، والبلاطات العظيمة ، والحرس الخاص والخدم ، والمكتب الخاص ، ومكتب ولي العهد ، وغير ذلك من متطلبات النظام الامبراطوري التي

تستهلك القسط الاكبر من ميزانية الدولة . . . صور لا يألفها الاسلام ، بل يتنكر لها اشد التنكر .

إن حياة الرسول الاعظم (ص) وهو رئيس الدولة الاسلامية ـ حيث كانت الحكومة الاسلامية تدار من قبله ـ واضحة جلية لكل احد . وكانت هذه السيرة باقية ومستمرة من بعده الى قبيل قيام الحكم الاموي . ولقد حاول ابو بكر وعمر ان لا يكون سلوكهما مجافياً لسلوك الرسول الاعظم بهذا الصدد . اما الانحراف الذي حصل بعد ذلك ، فقد تم اصلاحه وتعديله على عهد الامام امير المؤمنين (ع) وبالرغم من انه كان يحكم دولة عظيمة . . . فقد كان مسيطراً على ايران ومصر والحجاز وكان له ممثلون وولاة في كرمان والاهواز وخراسان والبصرة بالرغم من ذلك فان حياته كانت من البساطة بحيث لا يستطيع ابسط طالب من طلاب العلوم الدينية ان يسايره فيها .

يحدثنا التاريخ بأنه لما اشترى ثوبين ، اعطى احدهما ـ وكان أحسن من الآخر ـ الى خادمه قنبر ، وابقى الآخر لنفسه واذا كان الثوب طويل الأردان فقد قص الزائد ولبس الثوب ذا الأردان المقصوصة . . . في حين كان يحكم دولة عظيمة تضم نسبة كبيرة من النفوس .

لو كانت هذه السيرة مستمرة ، وكانت الحكومة الاسلامية تدار على نفس الشاكلة السابقة ، فان هذه الاعتداءات ، والمنكرات ومظاهر الفسق والفجور لم تكن تقع . . . إن كثيراً من هذه

الأمور تنبع من نقطة واحدة ، هي أن الممسكين بزمام الحكم هم الذين ينشئون مراكز الفساد ، ويؤسسون مناطق للدعارة ، ثم يصرفون من موارد الأوقاف على بناء السينمات .

الخضوع من اجل الدولار :

لو لم تكن مظاهر البذخ هذه ، ولم تُسرف الحكومة في قضايا لا تعود للشعب بأية مصلحة ، لم يكن ليطرأ على ميزانية الدولة نقصان كبير يضطرون معه الى الخضوع لأمريكا ومد يد الاستجداء لتقديم القروض والمعونات .

هذا البذخ هو الذي أفقرنا ، وإلا فهل ان البترول الذي نملكه قليل ؟ ! ألا نملك معادن وذخائر عظيمة ؟ !

نملك كل شيء . . . لكن هذه المصروفات التي لابد لها هي التي أثقلت كاهل بيت المال ، وحطمت الشعب . لو لم تكن هذه المصروفات المسرفة لم تكن هناك حاجة لأن ينهض الرجل (الشاه المجرم) من مكانه ويسافر الى امريكا ويقف بكل ذل وخنوع أمام منضدة ذلك الصعلوك (رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية) طالباً المساعدة ! !

في ذلك العهد حيث لم تكن هذه المراسيم كان قاضي الشرع يجلس في مدينة من المدن ، ويقبض الخصومات بمعونة كاتبين أو ثلاثة ومحبرة وقلم . . . ثم يذهب كل الى عمله . أما

اليوم فان مبنى وزارة العدل من الضخامة بدرجة كبيرة ، وهناك الروتين الطويل . . . ومع ذلك فلا يحقق أي نتيجة أبداً . هذه الامور هي التي تفقر البلد . . . لا تبذروا حتى لا تفتقروا .

القوانين الاسلامية اعظم القوانين :

وعلى أية حال فان الاسلام يهدف الى تكوين حكومة عظيمة ترسو دعائمها على أسس القانون ، ويكون القانون هو الحاكم فيها .

لقد قامت هذه الحكومة في زمن الرسول الاعظم (ص) وعلى يد الامام أمير المؤمنين (ع) أيضاً . . . غير أن بني أمية - لعنهم الله - لم يفسحوا المجال لهذه الحكومة التي ترضي الله والرسول بالظهور الى حيّز الوجود ، فقلبوا أساس الحكومة .

بالرغم من ذلك فان الاسلام لا يزال يطلب حكومة ، ويملك تخطيطاً حكومياً عظيماً ، يحتوي على نظم دقيقة .

عندما كان العالم غارقاً في ظلمات الجهل ، ولم يكن لاوربا أي وجود ، وكانت الامبراطوريتان الكبيرتان حينذاك تعيشان في حالة عنيفة من الاستبداد ، ولم يكن للقانون وجود أصلاً ، جاء الاسلام بقوانين هي أفضل القوانين المطبقة في الدول الحية في العالم . . . جاء فنظم كل ما يتصل بالبشرية من الحرب ،

والسلم ، والحكومة ، والحياة الخاصة ، والتعامل مع الآخرين : الأولاد ، الجيران ، العشيرة ، أبناء البلدة والبلاد الاخرى ، وكل ما يحتاجه الانسان . لا توجد أية حكومة في العالم عُنيت بالجوانب المعنوية للبشرية ، والامور الخاصة بالافراد ، ذلك أن القوانين الوضعية تدور على أساس النظام العام ، وتحقيق السياسة التي تتبنّاها . أما فيما يخص الفواحش فانها إن لم تكن مدافعة عنها ، لا تحاربها ، وفيما يتعلق بالذي يحتسي الخمر ولم يعربد او يقتل أحداً فانها لا شأن لها به ، ولهذا فان بيع الخمور غير ممنوع بحسب هذه القوانين .

أما الاسلام . . .

الاسلام شرّع الحدود ، نص على الرجم ، تضمن التعازير حتى أنه خطط لما ينبغي أن يحصل قبل النكاح وانعقاد النطفة وضع قوانين خاصة لذلك ، اهتم بطعام الانسان حين انعقاد النطفة ، وفرض الواجبات المتعلقة بفترة الرضاع وبعدها ، كيف يربى الطفل ؟ وكيف يكون سلوك الرجل في بيته ، ومع أهله وأطفاله . . . لقد شرع الاحكام المنظمة لذلك كله حتى يصنع بشراً ، واتخذ كل هذه التدابير ليربّى إنساناً !

ليس تعليم المسائل الشرعية حراسة للحصون :

لقد تبيّن لنا الآية معنى الآسلام الى حدّما . فاذا قيل : إن الفقهاء حصون الاسلام وحرّاسه ، هل معنى ذلك أن نحذف الاسلام ونقول : نحن نعلّم المسائل الشرعية فقط ؟ ! ولا يتطلب الاسلام اكثر من ذلك ؟ ! ألسنا مسؤولين عن تنفيذ هذه المجموعة الكبيرة من الاحكام الاسلامية التي لا يُعمل بها . . . ألا يجب على الفقهاء أن يتعهدوا الدفاع عن جميع جوانب الاسلام ؟ ! هل أن لكلام الامام (ع) : « لأن المؤمنين الفقهاء حصون الاسلام » جانب المجاملات والروتين فقط ؟ هل هي مثل الروتين الجاري بيننا في تسمية بعضنا البعض بسماحة حجة الاسلام والمسلمين ؟ ! أم هل هي مثل العبارات التي نسطرها على أغلفة الرسائل : (حضرة العلامة الحجة المجاهد . . .) هل الفقيه الذي يلزم عقر داره ولا يتدخل في أي شيء اصلاً لا ينفّذ القوانين الاسلامية ، ولا ينشر الاحكام الشرعية ، ولا يهتم بشؤون المسلمين تصح تسميته بحصن الاسلام ؟ ! هل هو حافظ للاسلام ؟

لو امر الحاكم احد أمرائه قائلاً له : اذهب واحرس المنطقة الفلانية ، وكن مسؤولاً عن النظام فيها ، فهل إن واجبه أن يذهب الى داره وينام حتى يأتي العدو ويغزو تلك

الناحية ، أم أن عليه أن يجد قدر المستطاع في الدفاع عنها ؟

إن قلتم : إننا نحافظ على بعض احكام الاسلام ، اسألكم :

ـ هل تنفذون الحدود الشرعية بحق المجرمين ؟

ـ كلا .

ـ لقد أحدثتم ثغرة في هـذا الجانب ، وفي الوقت الذي كنتم تقومون بواجب الحراسة انهدم جانب من السور .

ـ هل تدافعون عن ثغور المسلمين ؟

ـ كلا . إننا نرفع أيدينا بالدعاء والضراعة فقط :

انهدم الجانب الآخر من السور .

هل تأخذون من الاثرياء حقوق الفقراء وتوصلونها إليهم ؟ فان الواجب الاسلامي يطلب منكم أن تأخـذوا من هؤلاء وتعطوا الى أولئك .

ـ كلا . هذه القضايا لا تخصنا ، سيأتي أفراد آخرون ويقومون بهذا العمل إن شاء الله .

انهدم الجانب المتبقي من السور . . . بقيتم أنتم والحصن الذي سقطت اسواره . . . أي حصن هـــذا ؟ ! أي زاوية عرضناها على فضيلة حصن الاسلام يعتذر . . . هل هذا معنى الحصن ؟ !

المجامع الدينية يجب أن تأخذ الأهبة :

ان معنى قول الامام عليه السلام «الفقهاء حصون الاسلام» هو أنهم مكلفون بالدفاع عن الاسلام ، وايجاد الأرضية المناسبة لذلك ، وهذا من اهم الواجبات ، وهو من الواجبات المطلقة ـ لا المشروطة ـ وهو من الامور التي يجب على فقهاء الاسلام أن يتعقبوها . . .

يجب على المجامع الدينية أن تفكر في هذا الامر جيداً ، وتجهّز نفسها بكل الوسائل التي من شأنها المحافظة على الاسلام بالضبط كما كان الرسول الاعظم (ص) والائمة (ع) يفعلون .

الاسلام يعيش في غربة :

لقد تركنا جميع الموضوعات جانباً ، وانشغلنا بالبحث عن مجموعة صغيرة من الاحكام التي تناقلها الخلف من السلف لقد اصبح مقدار كبير من الاحكام الاسلامية جزء من العلوم الغريبة ، الاسلام يعيش في غربة و «لم يبق منه إلا اسمه» .

ان جميع القوانين الجنائية الاسلامية ـ التي هي أفضل القوانين ـ نُسيت وتركت في زاوية الاهمال ، وكل نص من القرآن ورد بهذا الصدد «لم يبق إلا قراءته» .

نحن نتلو قوله تعالى : « الزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » ولكنا لسنا مكلفين بشيء ؟ علينا أن أن نتلو فقط . . ! أن تكون تلاوتنا جيدة ، أن نؤدي الحروف من مخارجها . . . ؟ أما الحقيقة فلا تتصل بنا . علينا أن نفهم أن الاسلام شرّع العقوبة الفلانية للزاني والزانية أما تنفيذ هذه العقوبة ومن الذي يكون مسؤولاً عنه فلا علاقة له بناء .

هل كان الرسول الاعظم (ص) كذلك ؟ ! هل كان يقرأ القرآن ثم يتركه جانباً ولا شأن له بالحدود ؟ هل كان على خلفاء الرسول (ص) أن يضعوا المسائل الشرعية في متناول ايدي الناس ويقولوا لهم : لا شأن لنا بكم ، أم أنهم كانوا ينفذون الحدود ويجرون العقوبات . . . كان يجلدون بالسوط يرجمون ، يحكمون بالسجن المؤبد ، ينفون من البلد .

راجعوا باب الحدود والديات من الاسلام . . . تجدونها أحكاماً اسلامية وقد جاء الاسلام لتنفيذها ، إنما جاء الاسلام لتنظيم المجتمع .

أدركوا الاسلام :

ربما لا تطلبون حكومة ، وترغبون في الفوضى . . . غير أن هذا الامر مما اتفق عليه وهو أن الفقهاء يجب أن يحافظوا على أحكام الاسلام ، ويمنعوا عن العقيدة الاسلامية والاحكام الشرعية كل ضربة سافرة . . . هل يعمل الفقهاء بهذا الواجب ؟

انظروا إلى أي بقعة من بقاع الوطن الاسلامي تجدون، أنهم يعملون على إبعاد الشباب عنا بالدعايات الهدامة . . في طهران توجد منظمات للتبشير المسيحي، والدعوة إلى الصهيونية والبهائية تعمل على تقويض دعائم الاسلام ومحور أحكامه . أليس القضاء على هذه المنظمات التي تحاول هدم الاسلام واجباً من واجباتنا ؟! هل يكفينا أن تكون لنا مدينة النجف الأشرف فقط . هل نكتفي بأن تعقد مجالس العزاء في (قم) ؟ أم أن علينا أن نكون أناساً أحيـاء ؟!

يجب أن تكونوا أحياء، وأن تحيوا أمر الله . . . أنتم الجيل الصاعد والطليعة الواعية عليكم أن تنقوا أفكاركم . . اتركوا هذه الأفكار التي تدور حول دقائق العلوم وحقائقها ورقائقها. هذه الدقائق والحقائق والرقائق هي التي عملت على نسيان الاسلام وهجره .

أدركوا الاسلام ... أنقذوه ... انهم يعملون على محوه .

يحاربون الاسلام باسم الاسلام، وباسم الرسول الاعظم (ص).. ان مختلف المبشرين ـ من كان منهم يتصل بالاستعمار مباشرة، ومن كان مبشراً داخلياً ـ قد انتشروا في جميع القرى والنواحي الايرانية، وعملوا على انحراف أبنائنا، شبابنا، طلائعنا الذين نحتاجهم . . . أدركوهم، وأنقذوهم .

الطريق الأساسي

يقولون لي : هذا كله هو الداء، فما الدواء ؟!

أنا أرشدكم إلى الطريق ، ولكن لاتتصوروا أن يثمر هذا الحل غداً . . فالعقلاء يثبتون هنا صخرة لعلهم يستفيدون منها بعد مأتي عاماً .

مرّ الخليفة برجـــل محدودب الظهر ، يشتل قلماً لشجرة الجوز . فقال له : ايها الرجل تشتل الجوز الـذي يثمر بعـد خمسين سنة ، إنك لن تعمّر الى ذلك الوقت . فأجابه الرجل : زرعوا فأكلنا ، ونحن بدورنا نزرع ليأكلوا من بعدنا .

يجب أن تفكروا في امر الاجيال القادمة . لأن الغرض هو خدمة الاسلام ، ليست المسألة شخصية حتى تقولوا : لمـا كنا لا نحصل على النتيجة الفورية فلا علاقة لنا بذلك . . . إذا متنا فليكن مايكون .

ليس الامر كذلك . لو كان الامام الحسين (ع) - الذي عرّض جميع جوانبه المادية الى الخطر ، وضحّى بكل غالٍ ونفيس - يفكر بمستوى التفكير الذي نحمله نحن ، لكان يسالم منذ البداية وينتهي كل شيء . انهم كانوا يتمنون مبايعة الامام الحسين عليه السلام لهم ، هل هناك شيء أفضل من أن يخاطبهم ابن بنت الرسول (ص) بأمير المؤمنين ؟ ! ولكن الامام كان يفكر في مستقبل الاسلام ومصيره .

إننا الآن ملزمون بازالة الغموض الذي استولى على الاسلام ومالم نزل هذا الغموض من الاذهان لا نستطيع أن نفعل شيئاً .

يجب أن نحمل أنفسنا والجيل الناشيء ونوصيهم بأن

يحثوا الجيل الذي يعقبهم على بذل أقصى الجهود لرفع الغموض المسيطر على أذهان كثير من مثقفينا تجاه الاسلام نتيجة الدعايات الباطلة التي استمرت لعدة قرون . أن يشرحوا الاسلام والحكومة الاسلامية ، ويعطوا صورة ناصعة عن قوانين الاسلام ... ويفهموهم أن كثيراً من الاحكام العبادية في الاسلام مضافاً الى جانبها العبادي تشتمل على جوانب سياسية . فاجتماع الحج والجمعة مثلاً مضافاً إلى معنويتها الكاملة تشكّل الجانب الحيوي من السياسة الاسلامية .

المؤتمرات الاسلامية العظيمة لا تُستغل :

لقد نظم الاسلام هذه الاجتماعات لكي تستغل استغلالاً دينياً تاماً ، ولو حاول الآخرون أن ينظموا هذه الاجتماعات فان عليهم أن يصرفوا الملايين من ميزانية الدولة . أما الاسلام فانه زرع في قلوب الافراد دافعاً يسيرون بموجبه من تلقاء أنفسهم ويتمنون الحج . نحن غافلون عن استغلال هذه المناسبات ولا نفكر في شيء غير أن نؤدي عبارة (ولا الضالين) أداءً حسناً . وعندما نحج . . . فبدلاً من أن نتفاهم ، وننشر أحكام الاسلام ، ونفكر في الحلول الناجعة لمشاكل الامة الاسلامية ، نبدأ بالخلافات بيننا وبين الطوائف الاخرى ، أو بين أنفسنا .

من الجامع الى ساحة الحرب :

كان المسلمون الاوائل يستفيدون من اجتماع الجمعة فوائد عظيمة . . . لم تكن خطبة الجمعة قاصرة على سورة ودعاء وبضع كلمات . . . كانت خطبة الجمعة تجهّز جيشاً جراراً ، وكانت القوات الزاحفة تبدأ من الجامع لتنتهي الى ساحة الحرب وكانوا يتسابقون في الحرب والشهادة ـ ، وهكذا شأن الذين ـ يخوضون الحرب منطلقين من الجوامع . . . إنهم لا يخافون شيئاً ولا يهابون احداً .

لو تصفحتم خطب الجمعة ، وخطب الامام أمير المؤمنين عليه السلام لرأيتم أنها كانت تهدف الى تحريك الناس وبث النشاط فيهم ، وكانت تهتم بأن تصنع للاسلام دعاةً اقوياء ، يعالجون مشاكل الامة .

لو كانوا يجتمعون في كل يوم جمعة ، ويتداولون مشاكل المسلمين ، ويحلونها او يفكرون في حلها ، لم تكن النتيجة هذا الوضع المزري الذي نعيشه ، لكنهم لا يأبهون لأي شيء ، لا يدافعون عن احكام الاسلام ولا يعملون على تنقية الافكار الاسلامية من الشوائب التي دخلتها .

الجامعات تعارض الاستبداد :

وعلى كل حال فواجبنا الذي يسأل عنه كثير من الافراد هو الدعوة الى الاسلام ، ولا استطيع أن اقول اكثر من ذلك .

على حوزة النجف الاشرف ، وحوزة قم ، وسائر الحوزات العلمية أن تعمل على توضيح الاسلام وتعريف الناس به ، وأن يعرضوا هذه البضاعة . . . إن الناس لا يعرفون الاسلام ، فعليكم أن تعرّفوهم بأنفسكم ، وإسلامكم ، ورئيس إسلامكم وحكومتكم الاسلامية ، واذا لم تستطيعوا أن تفعلوا ذلك مع جميع الناس ، فلا اقل من الجامعات . ان الجامعيين يملكون وعياً ، وإذا عرضتم عليهم هذه البضاعة وشرحتم لهم الحكومة الاسلامية بصورتها الواقعية هل تتصورون أنهم سيعارضون ؟

كلا ، إنهم يعارضون الاستبداد ، ويخرجون على الانظمة الجائرة والمستهترة ، أما الاسلام الذي تكون حكومته معبّرة عن الاهداف السامية التي جاء بها فلا توجد أي جامعة تعارض ذلك ، ولا تجد جامعياً يتنكر له .

هؤلاء يمدون أيديهم الى النجف الاشرف سائلين أن يفكروا في شأنهم . هل ينبغي لنا أن نتقاعس حتى يأمرنا أولئك بالمعروف ؟ شبابنا في أوربا يأمروننا بالمعروف ويقولون : لقد أسسنا مجامع إسلامية ونطلب منكم أن تمدوا لنا يد المساعدة .

تحركوا :

يتسم العصر الحاضر بالنشاط والحركة ، فان تباطأتم سحقكم الآخرون ، وقضوا على الاسلام ، عليكم أن تتحركوا حتى تستطيعوا من المحافظة على قوانين الاسلام ، ولتكونوا حصوناً حقيقيين له . . . لقد فرض عليكم أن تكونوا حفظة للاسلام .

لقد تحمل الرسول الاعظم (ص) في سبيل الاسلام جهوداً عظيمة ، وكذلك الامام امير المؤمنين وسائر الأئمة عليهم السلام قاموا بتضحيات جسيمة ، وتحمل الآخرون مصاعب ومصائب عظيمة حتى حافظوا على جوهر الاسلام وأوصلوه إلينا ... وعليكم أن تقتدوا بهم ، أن تجدّوا في الحفاظ على الاسلام ، أن تهيئوا الأرضية المناسبة لبناء صرح الاسلام عليها ، وأن تشرحوا للناس أهداف الاسلام وحقيقته ، وتوضحوا للمسلمين أبعاد الحكومة الاسلامية .

فجّروا عاشوراء ثانية :

اعرضوا الاسلام على الناس ، وفجروا في سبيل ذلك عاشوراء ثانية . وكما تمسكتم بعاشوراء تمسكاً وثيقاً ولم تسمحوا

لأحد بأن يضعف من صلتكم بها ، ودعوتم الناس لأن يلطموا صدورهم ، ويعقدوا المجالس لاجل عاشوراء - سلام على مفجرها الاول - حاولوا أن يحدث مثل هـذا التحرك لحساب الحكومة الاسلامية ، أن تعقد الاجتماعات ، أن يتبنى الخطباء والدعاة ذلك ، ولا تسمحوا لها بأن تطوى في زوايا النسيان .

إنكم لو عرضتم الاسلام لوجدتم طالبين كثيرين في التعرف عليه . لقد جربت ذلك شخصياً ، فعندما كنت ألقي خطاباً كانت موجة حادة تحصل بين الناس ، ذلك أن الجماهير متألمة لهذا الوضع ولا تستطيع أن تتفوه بكلمة ، إنها تريد من يقف ويتكلم .

عليكم أن تكونوا حصوناً للاسلام . بحيث لو توفيتم بعد ١٢٠ سنة أحس الناس بأن مصيبة فادحة داهمتهم . وأن فراغاً حصل . . . « ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء » وهـذا لا يحصل إلا بأن تخدموا الاسلام وتدعوا اليه .

وحين يقول الامام اذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء ، هل المقصود بذلك أجلس في بيتي ولا اعمل شيئاً غير المطالعة والدراسة ؟ ! أي ثلمة تحصل في الاسلام من موتي إذن ؟ وأي فراغ يتركه خروجي من الدنيا ؟ !

حينما يفقد الاسلام الامام الحسين (ع) يكون قد ثُلم فيه ثلمة ، إن الذي يدافع عن الاسلام ويحافظ على أحكامه (كالخواجة نصير الدين الطوسي ، والعـلامة الحلي وامثالهما ممن قدّموا

لا يظهر الامام ! !

لا تجلسوا هنا للدراسة والبحث فقط ، ابحثوا في سائر أحكام الاسلام ، أنشروا الحقائق ، أكتبوا الكتب ، إطبعوا النشرات ، لقد جربت ذلك فوجدته نافعاً .

لقد استطعنا الى درجة ما ان نغير نظرة الناس ، والشباب منهم بالخصوص إلى علماء المسلمين ، والآن لا يوجد البعد الكبير الذي كان بيننا وبينهم ، عرّفوا الناس بعلماء الاسلام . . . إنهم لم يعرفوا رجل الاسلام ، حتى رجال الاسلام لم يعرفوا أنفسهم .

الإستعمار يريدنا أن نكون صامتين :

لقد بلغ بنا الأمر إلى درجة أن الكلام يعتبر منافياً لشؤون رجل الاسلام . العالم والمجتهد يجب أن لا يجيد التكلم ، أو ان لا يتكلم إن كان يجيد ذلك . أن يكتفي بقولة (لا إله إلا الله) أو يكتفي أحياناً بكلمة واحدة فيقول : هذا غير صحيح . . . يخالف سنة الرسول .

إن الله تعالى يقول في سورة الرحمن : « علمه البيان . . » البيان الذي وهبه للانسان إنما هو لنشر أحكام الله والاسلام .

كنت القي خطاباً في (قم) يطول لمدة ساعة احياناً ، فكتب إلي احد الاصدقاء من طهران ـ سلمه الله ـ يقول : لاينبغي لكم ان تطيلوا الحديث . . . فكتبت إليه إن خطاباتي اقصر من

خدمات جليلة للاسلام) إذا مات حدثت ثلمة كبيرة في الاسلام . . . أما أنا وأنت فأي شيء فعلناه للاسلام حتى نكون من مصاديق هذه الرواية بعد الموت ؟

إن ألف شخص من امثالنا لو ماتوا فلا يحدث شيء اصلاً ، فاما اننا لسنا فقهاء حق الفقه - وكما ينبغي - او أننا لسنا مؤمنين حق الايمان !

الدفاع عن الاسلام من اهم الواجبات :

إننا ملزمون بالمحافظة على الاسلام والدفاع عنه ، وهذا من اهم الواجبات ، حتى أنه اوجب من الصلاة . وهو الواجب الذي يتطلب اراقة الدماء الزكية من اجل الاسلام ، ولا دم ازكى من دم الحسين (ع) ومع ذلك فقد اريق فداءً للاسلام وذلك ناشيء من سمو الاسلام وعظمة اهدافه .

علينا أن ندرك هذا الأمر جيداً ونعلّم الآخرين . إنكم تكونون خلفاء الاسلام متى ما أرشدتم الناس إلى أحكام الاسلام لا تقولوا : دعوا ذلك حتى يظهر الامام الحجة (عجل الله فرجه) أفهل تركتم الصلاة انتظاراً لظهور الحجة (ع) ؟ إن المحافظة على الاسلام أوجب من الصلاة .

احذروا المنطق القائل بضرورة نشر الفساد والاكثار من المعاصي حتى يظهر الحجة عليه السلام ، فان لم تكثر المعاصي

الخطب الطويلة للامام امير المؤمنين عليه السلام .

الأيادي الاستعمارية :

يذكر ذلك الرجل الوقع فى كتابه ان ستمائة من علماء النجف وايران تدار شؤونهم عن طريق بريطانيا !! كان الشيخ مرتضى يتسلم الرواتب لمدة سنتين فقط ، ثم علم بالأمر ؟

إنه يستند إلى الوثائق التي نشرت من قبل وزارة الخارجية البريطانية في الهند . . . هذه هي الايادي الاستعمارية ، إنها أيديهم التي تقول : اشتمونا حتى نستفيد من ذلك . . . إنهم يرغبون كل الرغبة في أن يعرّفوا جميع العلماء على أساس أنهم يتقاضون الرواتب من الخارج ، حتى يشوهوا سمعة العلماء في أنظار الناس وينفّروا الناس عنهم .

عليكم أن تزيلوا هذا الغموض ، وتوضحوا الحقائق . . . أن تشرحوا أسلوب حياتكم وحياة علمائكم للناس ، وأن تفهموهم بأننا لسنا أموات . . . إننا أحياء ، إننا نريد إظهار الاسلام في وجهه الصحيح ونكون حكومة إسلامية .

إنكم لو فعلتم ذلك ، وأيقظتم الناس ، لحصل النشاط وهب الجميع معكم من أجل تحقيق الحكومة الاسلامية المنشودة .

المحاضرة السابعة

السبت / ٢٣ ذي القعدة / ١٣٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة الفقيه العادل

الرواية الأولى :

عن علي عن ابيه عن النوفلي عن السكوني عن ابي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله الفقهاء أمناء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا ، قيل : يارسول الله وما دخولهم في الدنيا ؟ قال : اتباع السلطان ، فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم » (١) .

وهذه الرواية من جملة الروايات التي ذكرها المرحوم النراقي .

---

(١) الكافي كتاب فضل العلم الباب ١٤ ـ الحديث ٥ (ج ١ ص ٤٦) .

وأخرجها المرحوم النوري ايضاً في كتاب مستدرك الوسائل في الباب الخامس والثلاثين من ابواب ما يكتسب به ، الرواية الثامنة عن كتاب نوادر الراوندي بسنده الصحيح عن الامام موسى بن جعفر (ع) .

وقد ذكرها (قده) ايضاً في الباب-١١ -من ابواب صفات القاضي الحديث الخامس عن كتاب دعائم الاسلام عن الامام الصادق عليه السلام . ورجال السند لهذه الرواية بالصورة التي ذكرنا موثقون . كما وثقهم المرحوم النوري في مستدرك الوسائل ايضاً .

الرواية الثانية :

عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن اسماعيل بن جابر عن ابي عبد الله عليه السلام قال : « العلماء أمناء ، ولاتقياء حصون ، والاوصياء سادة » (١) ورجال سندهذه الرواية معتبرون ايضاً الا محمد بن سنان ففيه خلاف ونحن نراه ثقة .

---

(١) الكافي : كتاب فضل العلم - الباب - ٢ - الحديث ٥ (ج ١ ص ٣٣) .

لم يقتصر الأنبياء على بيان الأحكام :

تحقيق ما يشتمل عليه هـذا الحديث من مفاهيم يستدعي بحثاً عريضاً غير انا نقتصر على جملة « الفقهاء امناء الرسل » لارتباطها المباشر مع موضوع بحثنا « ولاية الفقيه »

فنقول : إن من بداهة حكم العقل وضرورة ماجاءت به الاديان جميعاً أن مهمة الانبياء والغاية من بعثتهم لم تكن مجرد بيان مسائل الحلال والحرام ، بل ان من اهم واجبات الانبيـاء هو تطبيق القوانين الالهية وتنفيذ الاحكام الشرعية .

فمهمة الرسول الاعظم (ص) لم تكن محصورة ببيان الاحكام التي نزل بها الامين جبرئيل (ع) الى النـاس فحسب ، بل أن من صميم مهمته (ص) السعي الجـاد لتطبيق هـذه الاحكام فى جميع جوانب الحياة .

وهـذه هي ايضاً مهمة الامام امير المؤمنين (ع) وسـائر الأئمة المعصومين (ع) ، فهي غير مقتصرة على نقل الاحاديث ليكونوا فقط وسائط فى التبليغ وامناء فى نقل الاحكام الشرعية لينتج من ذلك أن مهمة العلمـاء هي كذلك مقتصرة على نقل الاحكام الشرعية دون الجهاد الواعي من اجل تطبيقها على الناس .

وبناء على هذا الاتجاه يكون معنى الحديث « الفقهاء امناء الرسل » انهم وسطاء امناء في بيان الاحكام ، حيث يؤدونها الى

الناس بأمانة ويقف الامر عند هذا الحد .

ولا شك ان واجب الانبياء - كما سبق بيانه في صدر الحديث - أن مهمة الانبياء ليست محصورة في تبيان ذلك .

فالله سبحانه وتعالى عندما أوجب فريضة الخمس بقوله : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه » (١) وفريضة الزكاة بقوله : « خذ من اموالهم صدقة » (٢) وشرّع احكام الخراج ، جعل مسؤولية تنفيذها ملقاة على عاتق النبي (ص) فهو المسؤول عن تنفيذ النظام المالي في الاسلام ، من حيث جباية الضرائب وانفاقها في مصالح المسلمين بصورة عادلة بحيث لا يدع مجالاً لضياعها او اهمالها او جور احد فيها ليضمن ذلك للمسلمين تحقيق الحياة السعيدة في ظل العدل الاجتماعي الاسلامي وذلك بتطبيق الاحكام واجراء الحدود وحفظ الثغور .

فلم تكن الغاية من فرض ولاية النبي الاكرم (ص) ووجوب طاعته « اطيعوا الله واطيعوا الرسول » (٣) هو اخذ الاحكام منه والعمل بها ، ان ذلك طاعة لله لا للرسول . . . ان جميع الاعمال العبادية - وغيرها - مما يتصل بالاحكام الشرعية طاعة لله تعالى ، ولم يكن ذلك طاعة للرسول (ص) اذ أن طاعة الرسول امر آخر - وان كانت طاعة الرسول في الحقيقة طاعة لله ايضاً ، ذلك ان طاعته (ص) انما هي امتثال أوامره في التنفيذ و التطبيق العملي في جميع مجالات الحياة الانسانية .

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٤١ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٠٣ (٣) سورة النساء ٦٢

فاذا امر النبي (ص) ـ بصفته رئيساً للدولة الاسلامية ـ بالخروج مع جيش اسامة لم يكن لاحد حق التخلف عنه ووجب على الجميع او على اولئك الموجه اليهم الخطاب المبادرة للالتحاق بالجيش .

هذا هو طاعة الرسول ، لانه امره ، وليس امراً أتاه من الله تعالى مباشرة .

فان الله تعالى فوض امر الحكم والقضاء الى نبيّه ، وهو صلى الله عليه وآله بدوره يسعى لتحقيق مصالح الامة فيقوم بتهيئة القوة العسكرية من حيث الاعداد وحشد الجيوش كما يقوم بتعيين الولاة والحكام وما الى ذلك . . .

الفقهاء أمناء الرسل في تنفيذ الأحكام :

وبناء على ما تقدم ـ من ان مهمة الرسل عليهم السلام هو تطبيق الاحكام الشرعية والقوانين الالهية على الناس ـ يكون معنى قوله صلى الله عليه وآله : « الفقهاء امناء الرسل » ان الفقهاء يجب ان يضطلعوا بنفس المسؤولية التي تحمل اعباءها الانبياء عليهم السلام في التنفيذ والتطبيق اضافة الى تبيان الأحكام الشرعية .

فالامانة المذكورة في هذه الفقرة من الحديث الشريف لا تخص الامانة المالية التي لا تستلزم العدالة ، بل انها تعني

الامانة الشاملة للمال والحكم . ليكون امناء الرسل امنـاء في جميع شؤون الادارة والحكم ، فلا يخونون في حكم من الاحكام على الاطلاق ، منزهين بريئين عن ادناس الخيانة والتحريف ، او الانجراف في مهاوي متع الحياة والسير وراء هوى النفس ، حيث يقول (ص) في ذيل الحديث « مالم يدخلوا فى الدنيا » .

فلو ان فقيهاً اغرته الدنيا بجمع الاموال لا يكون عادلاً ولا يصلح أن يكون اميناً للرسول (ص) في تنفيذ احكام الاسلام .

ان الفقهاء العدول هم الذين يملكون صلاحية ولاية امور المسلمين بالتصدي لاجراء احكام الاسلام من حدود وقصاص وحفظ ثغور المسلمين ، وكل الاعمال التي هي في حدود صلاحية الوالي والحاكم ، والتي ليس لغير الحاكم الشرعي حق التدخل في شؤونها مثل جمع الأخماس وأخذ الزكوات والصدقات والجزية (الاتاوة) والخراج وصرفها في مصالح المسلمين .

ان اجراء الحد الشرعي والقصاص وظيفة الحاكم الشرعي وليس لولي المقتول أن يتصدى للقصاص من غير مراجعة الحـاكم ، وكـذلك حراسة الحدود الاسلامية وحفظ الثغور والتصدي لتنظيم الامور البلدية واجراء العـدالة الاجتماعية ، كل ذلك داخل في نطاق صلاحية الحاكم الذي هو الفقيه العادل .

كان النبي (ص) مأموراً بذلك ، امّره الله تعالى وجعله حاكماً ورئيساً على المسلمين ، وأوجب طاعته ، كذلك الفقهاء العدول يجب طاعتهم في اجراء هذه الاحكام التي تأخـذ بيد

المجتمع الى شاطىء السعادة حينما تظلمهم راية العدل الاسلامي ويعم فى ربوعهم الأمن والسلام .

ألقاب مبتذلة :

هناك ألقاب ـ وان كانت تحتوي على القاب فخمة ـ لكن الابتذال فى استعمالها سلب عنها القدسية والجلال واصبحت من الابتذال درجة بحيث لا يصلح اطلاقها على شخصيات قادتنا الميامين الذين تحلوا بالنفوس الكريمة وتسربلوا بالاخلاق القدسية العالية .

وعليه ، فلا يعجبني شخصياً اطلاق لفظة « السلطان » على رسول الله (ص) وكم استاء عندما اسمع اطلاق كلمة « اعلى حضرت » على صاحب الامر عجل الله تعالى فرجه .

انهما كلمتان مبتذلتان اطلقهما على نفسه كل جبار طاغوت وظالم غاشم ، فأصبح العرف لا يفهم من معانيهما سوى الظلم والطغيان والتعدي والاستيلاء البغيض على حقوق الناس واموالهم بشكل لا يحفظ معه الحاكمون الا ولاذمة .

هذا وان الرسول الاكرم (ص) عبد صالح لله تعالى مطيع لاوامره . وصاحب الامر عجل الله فرجه عبد صالح لله .

ان ائمة المسلمين الهداة (ع) هم عباد الله المخلصون ، وان العبودية هي سمتهم الاولى التي برزت فيها شخصيتهم المثلى

التي لا تجدها في غير المعصوم (ع) .

اما نحن فطالما اغوانا الشيطان ، وكثيراً ما اتبعنا هوى النفس ، لهذا كان أليق الالقاب بشأن الائمة (ع) هو لقب « العبد الصالح » .

ولكن : حيث كان الرسول (ص) وامير المؤمنين عليه السلام يرسلان ولاة وينصبان حكاماً وقضاة او يبعثان الامراء والجباة لجباية الخراج والصدقات اطلق عليه - بلحاظ عملهم هذا - لقب ولاة المسلمين ، فهو لقب منتزع من مقامهم الاجتماعي الظاهري .

الحكومة وفق المقاييس الاسلامية :

الفقهاء امناء في تنفيذ الاحكام الالهية وتطبيقها ، كاقامة الحكومة الاسلامية وجباية الصدقات وحفظ الثغور واجراء الحدود . . .

فلا يجوز لهم ان يتركوا احكام الاسلام معطلة ، بل يضمنوا اجراءها حسب الدستور المقرر دون ان يصيبها في مرحلة التطبيق اي خلل او اضطراب .

فاذا حاول فقيه ان يجري الحد الشرعي على زانية فلابد ان يراعي الدستور الشرعي المقرر الخاص بشأنها . فيأتي بها بين الناس ويضربها مأة جلدة فقط دون ان يزيد او ينقص .

وليس له ان يشتمها او يصفعها او يحبسها ولا يوماً واحداً .

واذا أراد جباية الاموال وجمع الحقوق الشرعية كالخمس والزكاة والخراج فلابد ان يسير على المنهج الشرعي المقرر بهذا الصدد ، فلا يزيد على المقدار المحدد فلساً ولا يضيع منه فلساً .

فلو حاول فقيه ان يخالف الدستور الشرعي في أمر مهما كان حقيراً فانه بذلك يكون قد ارتكب اثماً كبيراً ـ والعياذ بالله ـ واصبح فاسقاً ، ومن ثم فانه اسقط عن نفسه صلاحية الحكم والقضاء وعزل نفسه بحيث صار ساقطاً عن تحمل الامانة .

الحرية في ظل القانون :

القانون في الدولة الاسلامية هو الحاكم الأعلى ، والناس كلهم آمنون في ظله ، ولذلك فان المسلمين يتمتعون بحريتهم الكاملة ضمن اطار المناهج الشرعية ، وذلك يعني ان لا سلطة تحكمهم غير سلطة القانون ، فما زالوا عاملين وفق التشريع الاسلامي ، فليس لاحد مهما كان ان يتحكم بسلوكهم الخاص وفق رغباته واهوائه ، لان امثال هذه التحكمات خارجة عن روح القانون ومخالفة لأحكام الشرع المقدس ، اذ أن الناس كلهم أحرار في ظل القانون الاسلامي العادل الذي لا تشبه حكومته شيئاً من هذه الحكومات القائمة الدائبة فى استلاب الحريات وايجاد البلبلة والاضطراب في نفوس عامة الناس مما سلب عنهم الراحة والأمن . وجعلت الرعية تخشى ان تقتحم عليها السلطة

عقر دورها فتصفي معها الحساب بمجرد تهمة او شك .

وهذا ما كانت عليه حكومة ابن هند وسائر الحكومات التي تشبهها . حيث لم يكن الناس في امن واستقرار بل كانوا يقتلون بالتهمة والظنة وينفون ويحبسون بالشك والوشاية امداً طويلاً . كل ذلك لأنها لم تكن حكومات اسلامية عادلة .

فلو تأسست حكومة اسلامية منيعة لساد الامن والسلام والطمأنينة والخير والاستقرار كافة ربوع البلاد لأنه لا يجسر أي حاكم او وال ان يتخطى الحدود المقررة في الشريعة الاسلامية حيث ان مفهوم الحكم في الاسلام هو رعاية شؤون الامة ضمن حدود الشريعة الاسلامية .

يجب ان يكون الفقهاء قادة الأمة :

لقد اتضح مما مر من حديث ان معنى « الفقهاء امناء الرسل » ان يقوم الفقهاء بتطبيق كافة القوانين التي قررها الاسلام بكل امانة واخلاص ، لا أن يقتصروا على بيان المسائل الشرعية فقط . لأن الامام (ع) لم يكن مبيناً لأحكام الحلال والحرام فحسب والانبياء (ع) لم تكن مهمتهم مقتصرة على بيان المسائل بعد تلقيها من الوحي فقط ، حتى تكون وظيفة الفقهاء مجرد بيان الأحكام وانتهى .

نعم : ان بيان الاحكام الشرعية وعرض القانون ودراسته

وايضاحه ناحية مهمة في الاسلام وركن من اركان القيادة الاسلامية اذ ان تبيان الاحكام الشرعية من وظيفة المجتهد العادل .

ولكن الاسلام ينظر الى القانون نظرة الآلي لا الذاتي - أي ان القانون هو وسيلة للتطبيق الذي يضمن به العدل وليس غاية فى ذاتها - وان وظيفة الانبياء هي الناحية التطبيقية والتنفيذية للاحكام الشرعية فى جميع مجالات الحياة وهو هدف الرسالة الاسلامية العظمى .

وفي حديث الامام الرضا (ع) المتقدم « لو لم يجعل لهم اماما قيماً امينا حافظاً مستودعاً لدرست الملة » (١) . دلالة واضحة على ضرورة وجود امام قيّم على الناس حافظ امين .

وفى هذا الحديث يقول النبي الأكرم (ص) « الفقهاء امناء الرسل » فمن هذه الصغرى وتلك الكبرى نستنتج : ان الفقهاء هم قادة الامة يحفظون الاسلام من الاندراس والاحكام عن التعطيل .

والآن . . نتساءل هل أن معالم الاسلام لم تندرس اليوم ؟

ولو امعنا النظر في البلاد الاسلامية لم نجد بلداً واحداً يطبق فيه دستور الاسلام او تنفيذ احكام الله .

ان أحكام الاسلام لم تحفظ ، والنظام الاسلامي قد عطل عن التطبيق ، وقد منيت البلاد الاسلامية بالفوضوية الجاهلية فهل لنا بعد ذلك ان نقول ان الاسلام لم يندرس ؟

هل ان الاسلام مجرد موضوعات تدون في الكتب لنقول

---

(١) علل الشرائع ج ١ باب ١٨٢ الحديث ٩ .

انه محفوظ فى الكافي او غيره ؟

كلا ! ان الاسلام نظام حياتي شامل يتناول كل مشاكل الحياة وشعبها ، فيضع فيها الحلول الناجعة والاحكام العادلة . انه شريعة يجب ان تسود فى الواقع العملي فتنفذ في احكامه وتجري حدوده ويتخذ نبراساً في الحياة .

فاذا اكتفينا ـ نحن ـ بتداول القوانين الاسلامية في اطار من البحث والتقديس فقط تاركين اياها فى زوايا الخمول . واذا اقتصرنا على دراسة القرآن وتقديسه وتقبيله وقراءة سوره وآياته واذا داومنا على قراءة سورة « يس » في ليالي الجمعة كلها وما اليه من الاعمال المستحبة .

اذا فعلنا ذلك ، فهل ان الاسلام ظل محفوظاً بعملنا هذا ولم تندرس احكامه ولم تنطمس معالمه ؟ ؟

يجب أن تحيا الأمة الاسلامية :

ونحن اذ خسرنا موقفنا القيادي الصحيح وما دعينا قبل كل شيء اهتماماً بهذا الموضوع ، فان الامة الاسلامية ـ كسائر الامم الحية ـ لابد ان تعيش وتحيا وتكون لها حكومة قائمة وفق افكار معينة وقوانين خاصة .

ولكننا اذ لم نرع شؤون الامة ولم نهتم بها انتهى الامر الى الوضع الراهن فانحسر نظام الاسلام الحقيقي عن التطبيق

وغلفت افكاره بغشاء من الوهم والجهل ، بحيث لم يدركه حتى بعض السادة العلماء اذ تصوروه شيئاً قديماً آخذاً في الاندراس والذبول .

لهذا فعندما يبحث هذا الموضوع ، يقولون أن معنى « الفقهاء امناء الرسل » هو بيان المسائل بكل امانة واخلاص ويأولون تلكم الاحاديث الكثيرة الدالة على مسؤولية الفقهاء في قيادة الامة في عصر الغيبة (عمل الله لصاحبها الفرج) الى ارادة وظيفة التوجيه والارشاد وبيان احكام الحلال والحرام فحسب .

يا ترى ، هل هذه هي قضية الامانة والائتمان ؟

أليس من وظيفة الأمين هو حفظ احكام الاسلام عن الاندراس والتعطيل ؟ ومنع تسرب الدخائل في شؤون المسلمين ؟ واستيلاء الكفار والظالمين على بلادهم وغصب اموالهم وحقوقهم الامر الذي أدى الى هذه الفوضوية الاقتصادية الجاهلية القائمة .

أضرار وعاظ السلاطين :

ان جميع الامور التي مر ذكرها آنفاً بحاجة الى أمين يتعهدها ، وهذه هي وظيفة الفقيه الذي يقوم بدور الامين المخلص لاقامة حكم الله فى الارض .

تلك الامانة الالهية التي لا يؤتمن عليها كل احد من

الناس مالم تتوفر فيه شرائط هذه الامانة العظمى . وان الذي يتصدى لهذا المنصب الخطير ويتعهد ولاية أمور المسلمين ، وينتدب نفسه للنيابة عن امير المؤمنين (ع) ليتصرف في اموال الناس ونفوسهم واعراضهم ويتولى المغانم والحدود وغيرها يجب ان يكون بريئاً من طلب الدنيا . اما الذي يسعى وراء متع الحياة الدنيا ـ مهما كانت مباحة ـ فلا يصلح ان يكون اميناً لله ولا يعتمد عليه في تطبيق الأحكام وتنفيذها .

وان الفقيه الذي يتقرب الى اعضاد الظلمة وحكام الجور والضلال ويرتاد انديتهم العاهرة ويمتثل اوامرهم ويجاملهم فى كل صغيرة وكبيرة لا يصلح ان يكون اميناً في الدين ولا يستطيع تحمل اعباء هذه الامانة العظمى والمسؤولية الكبرى في قيادة الامة لتطبيق احكام الاسلام العادلة .

الله اعلم ، ماذا أصاب المسلمين منذ الصدر الاول من امثال هؤلاء الدجالين علماء السوء امثال « ابي هريرة » الذي وضع الأحاديث الكثيرة والاكاذيب الملفقة لحساب الدولة الاموية وسياستها الظالمة .

وكم انتفع معاوية واضرابه من حكام الجور والضلال بمعاضدة هؤلاء العلماء المتزلفين والفقهاء الذين اضروا الأمة وحرفوا احكام الرسالة وهدموا اركان الاسلام ليبنوا للظالمين عروش الضلال .

ان دخول العالم في معاونة الظلمة اشد خطراً واعظم

ضرراً من دخول غيره من عامة الناس ، لأن الفرد العادي المتعاون مع الظلمة لا يعدو أن يكون فرداً فاسقاً ، اما الفقيه المتزلف - كأبي هريرة وشريح القاضي - فاذا تعاون مع الحكم الجائر فانه يسند الوضع القائم ويكسبه عظمة وجلالاً بقدر ما يضم الاسلام ويلحق به العار ، من جراء اعماله المخالفة لتعاليم الاسلام الذي يعمل باسمه ويتزيى بزيه ويعيش على حسابه .

فدخول الفقيه في حوزة الظالم يكون بمثابة دخول امة كبيرة فيها ولا يشبه دخول فرد عادي فيها مطلقاً .

ولهذا حذر أئمتنا القادة الميامين صلوات الله عليهم من الورود في خدمة الحكام الظالمين وكانوا يقولون . لو كنتم امسكتم عن الدخول فى خدمتهم لما انتهى الامر الى ماهم عليه من السلطنة الغاشمة .

علماء الدين الحقيقيون لا يسكتون عن الحق :

أن مسؤولية فقهاء الاسلام لا تشبه مسؤولية غيرهم ، اذ أن فقهاء الاسلام نظراً لمقام فقاهتهم - لابد ان يترفعوا حتى عن كثير من المباحات فضلاً عن غيرها ، ويعرضوا عنها .

وهم كذلك يجب ان يلتزموا بالتقية في كثير من الموارد التي يجب على غيرهم الاتقاء فيها . ان التقية شرعت للحفاظ

ضرراً من دخول غيره من عامة الناس ، لأن الفرد العادي المتعاون مع الظلمة لا يعدو أن يكون فرداً فاسقاً ، اما الفقيه المتزلف - كأبي هريرة وشريح القاضي - فاذا تعاون مع الحكم الجائر فانه يسند الوضع القائم ويكسبه عظمة وجلالاً بقدر ما يضم الاسلام ويلحق به العار ، من جراء اعماله المخالفة لتعاليم الاسلام الذي يعمل باسمه ويتزيى بزيه ويعيش على حسابه .

فدخول الفقيه في حوزة الظالم يكون بمثابة دخول امة كبيرة فيها ولا يشبه دخول فرد عادي فيها مطلقاً .

ولهذا حذر أئمتنا القادة الميامين صلوات الله عليهم من الورود في خدمة الحكام الظالمين وكانوا يقولون . لو كنتم امسكتم عن الدخول فى خدمتهم لما انتهى الامر الى ماهم عليه من السلطنة الغاشمة .

علماء الدين الحقيقيون لا يسكتون عن الحق :

أن مسؤولية فقهاء الاسلام لا تشبه مسؤولية غيرهم ، اذ أن فقهاء الاسلام نظراً لمقام فقاهتهم - لابد ان يترفعوا حتى عن كثير من المباحات فضلاً عن غيرها ، ويعرضوا عنها .

وهم كذلك يجب ان يلتزموا بالتقية في كثير من الموارد التي يجب على غيرهم الاتقاء فيها . ان التقية شرعت للحفاظ

على ناموس الدين ومذهب الحق ، ولولا التقية لذهبت معالم الحق واحكام المذهب ادراج الرياح ، ولم يبق العدو المعاند منها شيئاً .

لكن هذه التقية كانت مذهب السلف في فروع الدين كالوضوء على غير النهج الصحيح . اما التقية فيما يمس اصول الدين واركان الاسلام فغير مشروعة مطلقاً .

ان الاسلام على خطر السقوط والانهيار ولا مجال معه للسكون والاتقاء ، فلو اكره فقيه على الصعود على المنبر ليخطب على خلاف ما يرضي الله تعالى . فيحرم حلالاً ، او يحلل حراماً فهل يصح له ذلك بحجة « التقية ديني ودين آبائي » ؟

ليس هنا مورد التقية ، حيث أن ورود أي فقيه في حوزة الظالمين من اجل تقويتهم واسنادهم يستوجب وصمة الدين وحدوث ثغرة في شريعة سيد المرسلين (ص) .

ولذلك فهو محرم ، وكبيرة لا يجوز ارتكابها مهما تفاقمت النتائج ولو أودت بحياة ذلك الفقيه وسببت له الهلاك والدمار .

ولا يقبل له اي عذر في ذلك . اللهم الا اذا لمسنا في دخوله ذلك مصلحة للاسلام ولعامة المسلمين كما عهدناه من المحقق وعلي بن يقطين والخواجة نصير الدين الذين عرفنا خطتهم عندما تعاونوا مع الحكام ليحققوا المصلحة الكبرى للامة الاسلامية جمعاء .

العلماء يرفضون كل نظام دكتاتوري :

نعم : ان فقهاء الاسلام الحقيقيين منزهون عن الانحرافات المفضوحة وان سيرتهم الواضحة لتسطع بالطهارة والقدسية البريئة لا تشوبها وصمة او عيب .

اما الفقهاء الذين انخرطوا في سلك الظالمين منذ البداية حتى الآن فليسوا من نحلتنا . إذ ان فقهاء الاسلام لم يقتصروا على مجانبة الانخراط في سلك الطغمة الغاشمة فحسب بل اخذوا بالكفاح المستمر والجهاد المقدس ضد كل طغيان او جبروت او انحراف عن الخط الاسلامي الصحيح يهدد مصالح الامة على الاطلاق .

ولذلك كان مصيرهم الحرمان والاضطهاد ، والانزواء في غياهب السجون وتحمل آلام ومصائب فادحة في الحياة لم يتحملها غيرهم من الفقهاء ومع ذلك كله لم يرضخوا لظلم الحكام ولم يرتضوا جور الجائرين عبر العصور والازمان .

ولكن هناك من العلماء النابهين من انخرطوا مع السلطات القائمة ولكن استغلالاً لمشاعر القائمين بالحكم تجاه الحرمة والتقدير التي اكتسبوها لديهم ليمنعوا بعض الشيء من غلوائهم واندفاعهم في الضلال ، او كان هدفهم من مسالمة الحكام قلب الأوضاع القائمة الفاسدة الى اوضاع اسلامية صحيحة بحسب

عملية تغيير جذري بصورة تدريجية .

ولذلك لو اتيح لنا - في هذا الدور - ظروف مناسبة كظروفهم وفسح أمامنا المجال للقيام بمثل هذه العمليات التغييرية الناجحة لكان لزاماً علينا ايضاً ان نقوم بنفس الخطة التي ساروا عليها .

هذا لا شك فيه .

ولكن الاعتراض على اولئك المتلبسين بزي العلماء وقد تعلموا بعض الاصطلاحات الصحيحة او غيرها ، ثم دعتهم شراهة انفسهم ونهمة بطونهم الى الانضواء تحت ألوية الجور والطغيان منخرطين في مسالكهم الحالكة قد باعوا حظهم بالارذل الأدنى ودينهم بمتع الحياة الدنيا .

وان مسؤوليتنا في كشف هؤلاء المتزلفين وتعريتهم مسؤولية كبرى .

اياكم وعلماء البلاط الانتهازيين :

ليس هؤلاء المتزلفون بفقهاء الاسلام ، فان اكثريتهم الساحقة عملاء الأمن . وان دائرة الأمن الايرانية هي التي البستهم العمامة ، هذا الزي المزيف ليقوموا بدور العاملين على ابقاء الدولة وسلامة عاملها الجبار .

وثمة أمر آخر يقومون به ، ذلك هو ان الحكومة اذا

عجزت عن ارغام أئمة الجماعة على حضور البلاط في المراسيم والاعياد فيمكنها ان تستخدم هذه الزمرة الزائفة لتؤدي وظيفة المتزلف المنحرف وتترنم بكلمة « جل جلاله » التي اصبحت اخيراً من القاب « الشاه » .

ان هذه الزمرة ليسوا بفقهاء ، انهم مفضوحون يعرفهم المسلمون ، وفي الحديث اتهموهم على دينكم « فاحذروهم على دينكم » انهم لصوص لبسوا المسوح ، فلابد من فضحهم على رؤوس الأشهاد كي يتجنبهم الناس كافة ، ويجب اتهامهم وابداء مابهم من وصمات وعار .

ان التهمة وان كانت معصية كبيرة ، لكنها تجوز بالنسبة الى امثال هؤلاء من علماء السوء .

فاذا احرز هؤلاء جاهاً عنـــد العامة وجب على المؤمنين الواعين أن يسعوا الى اسقاطهم من اعين الناس رأساً . لأنهم ان لم يسقطوا من اعين الناس يسعوا في محاربة صاحب الامر (ع) واسقاط الاسلام العظيم .

أين شبابنا الغيور :

يجب على شبابنـا المؤمن أن يرفعوا العمائم عن رؤوس هؤلاء المنافقين ، أن العمامة التي وضعت على رؤوس هؤلاء باسم « فقهاء الاسلام » او باسم « علماء الدين » لتوجـــه الضرر

الفادح الى كيان الاسلام ، ذلك الضرر الذي يستوجب رفع تلك العمائم وحرمان اصحابهم المزيفين من كل امتيازات علماء الدين المخلصين .

أنا لا ادري ، هل مات شبابنا المؤمن الغيور في ايران ؟

اين هم ؟

لم تكن الاوضاع كما هي اليوم عندما كنا هناك .

لماذا لا يرفعون عمائم هذه الفئة الفاسدة ؟

أنا لا أقول بقتلهم ، فهم احقر من ان يقتلوا ، ولكن يجب رفع العمائم عن رؤوسهم ، هذه هي وظيفة الناس عامة خصوصاً شبابنا المؤمن الغيور في ايران .

يجب عليهم ان لا يدعوا امثال هؤلاء من علماء السوء المتزلفين وممن يلهج بـ « جل جلاله » يتظاهرون بين الملأ من الناس بهذا الزي بكل جرأة وحرية فيخدعون الناس ويضللونهم .

لا يستدعي الامر أن يوسعوهم ضرباً باليد ، او اهانة اكثر من رفع عمائمهم ، ليحولوا دون تضليلهم وخداعهم لعامة المسلمين .

ان هذا الزي زي شريف ، وله مكانته السامية في قلوب الناس فلا يليق به ان يلبسه اشخاص مشعوذون ممن يبرأ منهم الاسلام وعلماء الاسلام المخلصون الذين لا يمتون الى الفئة الحاكمة الظالمة اياً كانت بأية صلة .

اما الذين يرتبطون بها فهم معروفون مشهورون يعرفهم

الخاصة والعامة ، وان لهم عند الله تعالى وعند الناس حساباً آخر غير حساب العلماء الاتقياء المجاهدين .

تجهزوا رحمكم الله :

قد يكون من الواضح لديكم - طلبة العلوم الدينية - ان من واجبكم الاستعداد والتجهيز لتحمل امانة الله الكبرى ، كونوا أمناء ، ولتصغر الدنيا في اعينكم وتهبط الى درجتها السفلى .

نعم ، ليس باستطاعتكم ان تكونوا كأمير المؤمنين (ع) الذي كان يقول : « وان دنياكم هذه لأهون عندي من عفطة عنز » .

لكن بامكانكم الاعراض عن حطام الدنيا وإغرائها ، والسعي في تزكية نفوسكم ، والتوجه الى الله تعالى لتكونوا اتقياء أمناء .

فاذا كنتم تتعلمون اليوم لتدخروه وسيلة للعيش غداً ، فاعلموا ان لا خلاق لكم في الفقه ، ولاحظ لكم في الامانة واذا لم تشكلوا بهذا المنهج خطراً على الاسلام فثقوا بانكم لا تنفعونه ابداً اذا كانت هذه نظرتكم الى العلم والى الفقه والاسلام .

كونوا بحق من جند الامام الغائب (ع) واعملوا في سبيله وفي سبيل تطبيق احكام الله العادلة التي تضمن الخير والسعادة للانسانية كلها مهما امكنتكم القدرة والاختيار .

ان الأفراد الصلحاء فى كل مجتمع اذا التزموا بما يؤمنون به من أفكار يكون وجودهم وسلوكهم داعية للاصلاح ودعاية لذلك المبدأ ، وانا رأينا من بين المسلمين اشخاصاً كانوا كذلك ، ان الانسان ليتهذب ويستفيد منهم بمجرد مصاحبتهم ومعاشرتهم بما يفيضون عليه من فكر صائب وخلق اسلامي صحيح والتزام بأحكام الشريعة المقدسة .

كونوا دعاة بأعمالكم وسيرتكم ، وليكن سلوككم ، وإعراضكم عن حطام الدنيا موضع عظة الناس ، ليقتدوا بكم وتكونوا قدوة للانام ، وجنداً لله ودعاة للاسلام حتى تنصروا الاسلام وتقيموا حكومته العادلة .

أنا لا أقول لكم : اتركوا التعلم وتمسكوا بتهذيب النفس ! بل اقول : يجب أن تتعلموا حتى تتفقهوا وتجدّوا وتجتهدوا فى سبيل الفقاهة ولا تدعوا الحوزات العلمية والمعاهد الدينية تخلو من فقهاء أمناء وعلماء عاملين . انكم ان لم تتفقهوا لا تستطيعوا العمل الجذري فى بناء الاسلام الشامخ . اعملوا فى سبيل خدمة الاسلام وتوعيد المسلمين على دينهم وقيادتهم الى تطبيق احكام الرسالة المقدسة .

يجب ان يكون العلم والعمل توأمين ، فاعملوا وتهذبوا في غضون دراساتكم العلمية ، واعيروا اهتمامكم ناحيتي التعلم والعمل معاً كي توضحوا للملأ واقع الاسلام وحقيقة العلم .

ان الاسلام اصبح اليوم غريباً ولا يعرف الناس عن

الاسلام واقعه الناصع فعليكم ، ومن واجبكم ان تعرفوه كما هو واقعه الاصيل ، كي يعرف الناس ماهو الاسلام الصحيح ؟

وما حكومته الصالحة ؟

ماهي النبوة ؟ وما معنى الامامة ؟

لماذا جاء الاسلام وماهي رسالته ؟ وماذا يريد الاسلام ؟

فاعملوا رويداً ، وجدّوا في الطريق ، وعرفّوا الناس باسلامهم بالتدريج ، لانه هو الطريق الصحيح للعمل المثمر . وبهذا تحققون بتوفيق الله وتأييده تحققون الهدف الاسمى فتبنون الامة الاسلامية الواعية التي تحكمها الدولة الاسلامية الصالحة التي يريدها الله ان شاء الله تعالى .

المحاضرة الثامنة

الأحد / ٢٤ ذي القعدة / ١٣٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

في انتظار رسالة جيل الشباب :

ان موضوع بحثنا (الحكومة الاسلامية) اصبح بدرجة من الوضوح لا يتحمل معها تحقيقاً اكثر ، أو ذكر شواهد من الاحاديث الكريمة ازيد . فقد أدينا ما علينا من التذكير اللازم ونأمل من أبنائنا الواعين أن يفكروا في الموضوع كثيراً ، ليشبعوه بحثاً من ناحيتي الشمول والعمق ، ويأخذوا بيد البحث نحو الاكتمال .

اننا على وشك الرحيل الى دار الخلود . فها نحن نقضي آخر أيام حياتنا ، ونطوي الصفحات الأخيرة من سجل بقائنا غير ان الأمل وطيد ، والثقة محروزة بوجودكم ـ انتم جيل الشباب ـ فأعيروا الموضوع اهتمامكم ، وفكروا فى كل ما احتوى عليه من مسائل التفكير الجدي المستمر ، لتعرضوا ـ أمام انظار

المجتمع الانساني - صورة واضحة للاسلام - وفق واقعه الاصيل - وارجو لكم التوفيق .

نعم بقيت هنا احاديث تمس الموضوع ، وهي وإن لم يتعرض لها الفقهاء بالاستدلال ، ولكنا نرى من الواجب أن نتعرض لها في هذا المجال ، لأنها تساعد على استيضاح المطلوب واستكماله .

من الذي يصلح لمنصب القضاء ؟

الحديث الأول :

عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن يعقوب ابن يزيد ، عن يحيى بن المبارك عن عبد الله بن جبلة ، عن أبي جميلة ، عن إسحاق بن عمار ، عن ابي عبد الله عليه السلام قال : « قال امير المؤمنين عليه السلام لشريح : يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه (ما جلسه خ ل) إلا نبي او وصي نبي او شقي » (١) .

سند الحديث - وفق الموجود في الوسائل - ضعيف ، نظراً الى وقوع عبد الله بن جبلة ، وابي جميلة في طريق الرواية ،

---

(١) الوسائل - الباب - ٣ - من ابواب صفات القاضي الحديث - ٢ - من كتاب القضاء .

غير أن الصدوق ـ رحمه الله ـ اعتمد على هذا الحديث ، حيث أورده فى كتابه (من لا يحضره الفقيه) بصورة جازمة . فقد ارسله ارسال المسلمات .

يقول الامام (ع) ـ مخاطباً شريح القاضي ـ : « انك جلست مجلساً لا يجلسه غير نبي ، أو وصي نبي ، او شقي » وحيث أن شريحاً لم يكن نبياً ولا وصي نبي فهو شقي ، بما أنه أشغل منصب القضاء .

قاض مستسلم :

أشغل شريح منصب القضاء في الكوفة فوق الخمسين عاماً وكان من ذلك النمط ـ من الفقهاء والقضاة ـ الذين اسلموا ازمة قيادتهم بيد الاوضاع المنحرفة التي كانت تسير حسب ماكان يخطط معاوية بن ابي سفيان ، فصدرت منهم فتاوى فى صالح الحكم الأموي ،وقاموا بمعاكسة الحكم الاسلامي بشكل مفضوح .... ولم يستطع امير المؤمنين (ع) أن يعزله ـ عن هذا المنصب الخطير ـ ايام خلافته ، ذلك لأن العقلية غير الناضجة والتي تسيطر على عامة الناس حالف دون ذلك . بحجة أن الشيخين هما اللذان نصباه للقضاء فلا يحق لعلي (ع) أن يسير على خلاف ما سارا عليه . . . ونزولاً لحكم هـذا الواقع المرير ، بقي شريح يزاول اعمال القضاء ، ولكن على غير موافقة الامام ، ومن دون رضاه .

العدل بين الناس وظيفة الفقيه :

لا شك ان الفقهاء العدول هم الذين يملكون صلاحية الحكم بين الناس ، وفصل خصوماتهم . إن ذلك وظيفتهم الاختصاصية ـ حسب تعيين الائمة (ع) ـ وهذا أمر واضح . لا يحتاج الى ان نبسط فيه الحديث . بل الذي نريد أن نضعه على بساط البحث هنا هو فقط مسألة (الولاية) التي كانت للامام (ع) فهل هي ثابتة ايضاً للفقهاء العدول ؟ الذي وجدناه عند بعض العلماء امثال : المرحوم النراقي من المتقدمين ، والمرحوم النائيني من المتأخرين هو ثبوتها لهم . إنهم يرون : أن جميع شؤون الولاية الاعتبارية ، الثابتة للامام (ع) بعينها تكون ثابتة للفقيه الجامع للشرائط . . .

أما مسألة القضاء ، وفصل الخصومات ، فلا يرتاب أحد في ثبوتها للفقيه الجامع للشرائط . وذلك من الامور الواضحة لدى العلماء .

والذي يؤكد لنا ثبوت الولاية لهم ، هو اننا نجد أن الفقهاء العدول اوصياء للنبي (ص) ـ حسب الحصر الثلاثي الوارد في الحديث المتقدم . حيث أنهم ليسوا انبياء ، كما انهم منزهون عن كل شقاء فبالضرورة العقلية يجب أن يقال : انهم اوصياء النبي الاكرم (ص) .

وبناء على هذه النتيجة نرى اننا يجب أن نتوسع في دائرة مفهوم الوصاية ، بحيث تكون شاملة للفقهاء ، وعندئذ يستقيم الاستدلال . اما الذين حسبوا أن المقصود من لفظ (الوصي) هو من يملك الوصاية بمستوى الدرجة الاولى - أي الائمة المعصومين (ع) فقط - فهم لذلك لم يتمسكوا بهذا الحديث الشريف في موضوع هذا البحث .

وبناءاً على ما ارتأيناه يكون المراد من لفظ الوصي .

١ - الوصي بمستوى الدرجة الاولى - وهو الامام امير المؤمنين عليه السلام وبعده الائمة الاحد عشر (ع) - وقد عهد اليهم امور الناس والسير بهم نحو كلما يحقق رضاء الله . ولا يحسب احد أن منصب ولاية شؤون الأمة والجلوس على كرسي الحكم كان مما يستأثر بحب الائمة (ع) ورغبتهم الاكيدة في الوصول اليه باعتباره غاية . ولكن الواقع يثبت غير ذلك فان نظرة الائمة (ع) الهية باعتباره اداة يحققون بواسطتها العدل في المجتمع ، وتنفيذ قوانين الرسالة الاسلامية فى مجالات الحياة .

إن الائمة (ع) يعتزون ويمتازون بمقامهم الروحي الشامخ المترفع ، والذي يعجز عن الوصول اليه العامة من الناس .

٢ - الوصي بمستوى الدرجة الثانية - وهم الفقهاء العدول - حيث تأتي درجتهم بالمستوى الثاني ، بعد درجة الائمة (ع) في مقام الوصاية عن النبي الأعظم (ص) . وعليه فجميع الشؤون المخولة للأئمة (ع) من قبل النبي (ص) تكون مخولة للفقهاء

ايضاً ، فيجب عليهم القيام بجميع الشؤون التي كان النبي (ص) يقوم بها ، وكذلك امير المؤمنين والائمة (ع) .

الفقهاء خلفاء الرسول

الحديث الثاني :

حديث آخر ، يصلح أن يكون دليلا او مؤيداً للمقصود . وهو احسن سنداً وأجلى دلالة من الحديث السابق . روي ذلك عن طريق الكليني ، وهو بهذا الطريق ضعيف ، لكن الصدوق ـ رحمه الله ـ رواه عن طريق سليمان بن خالد بسند معتبر صحيح :

عن عدة من اصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمد ابن عيسى ، عن ابي عبد الله المؤمن ، عن ابن مسكان عن سليمان بن خالد ، عن ابي عبد الله عليه السلام ، قال : « اتقوا الحكومة ، فان الحكومة انما هي للامام العالم بالقضاء ، العادل في المسلمين ، لنبي (كنبي خ ل) او وصي نبي » (١) .

يقول الامام (ع) « اياكم والتصدي لمنصب القضاء »

---

(١) الوسائل ـ الباب ـ ٣ ـ من ابواب صفات القاضي الحديث ٣ من كتاب القضاء .

لأن الذي يتصدى لهذا المنصب لابد وأن تتوفر فيه شروط ثلاثة :

أولاً ـ ان يكون اماماً للخلق .

والمراد من الامام ـ هنا ـ من ناحية المعنى اللغوي : القائد . الرئيس . فهو شامل للنبي (ص) نفسه بهذا المعنى ، دون معناه الاصطلاحي الخاص إذ لو أريد به ذلك ـ أي المعنى المصطلح للامام ـ كان في غنى عن ذكر « العالم » و « العادل » .

ثانياً ـ ان يكون عالماً بالقضاء . فلو كان جاهلاً بشؤون الحكم والقضاء لا يصلح للقضاء بين الناس ابداً .

ثالثاً ـ ان يكون عادلاً . فلو لم تتوفر فيه ملكة العدالة التي بواسطتها يطمئن الى صحة الحكم وعدم تحيزه ، لا يصح أن يشغل هذا المنصب .

من خلال هذه الشروط الثلاثة نستنتج : ان منصب القضاء ، وفصل الخصومات ، منصب إلهي ، لا يصلح ان يشغله إلا من توفرت فيه الشروط الثلاثة المذكورة : رئاسة علم . عدالة .

ثم يقول الامام (ع) : انها شروط لا تنطبق الا على نبي او وصي نبي . ونحن إذا أثبتنا صلاحية الفقيه للقضاء بما يعد ذلك ضرورياً من ضروريات الفقه الاسلامي من غير خلاف ، اذن لابد من ملاحظة ان شرائط القضاء الآنفة متوفرة في الفقيه والا لما صح لمنصب القضاء .

وبديهي : أن الفقيه الاسلامي عالم بالقضاء ، وعادل بين

المسلمين . وذلك واضح من عنوان بحثنا الذي هو الفقيه العادل لا مطلق الفقيه ـ بقي الشرط الأخير ـ وهو ان يكون اماماً (رئيساً) وقلنا : ان الفقيه يملك مقام الرئاسة والامامة لفرض القضاء بين الناس ـ حسب تعيين الامام (ع) ـ ثم حصر عليه السلام وجود هذه الشروط بالنبي (ص) ، او وصيه ، دون غيرهما . وبما ان الفقيه العادل ليس نبياً فهو وصي للنبي (ص) وخلفائه (ع) .

وقد تمحض البحث والاستنتاج الى استنباط قضية مجهولة من قضية معلومة : « ان الفقهاء اوصياء الرسول الاكرم » و « انهم في عصر الغيبة زعماء المسلمين » ولابد أن يتصدوا لمنصب القضاء ، وفصل الخصومات بين الناس عامة ، ولا يحق لغيرهم القيام بذلك بتاتاً .

الحديث الثالث :

وهو توقيع كريم وقع محل الاستدلال ايضاً ، ونحن نذكر كيفية ذلك الاستدلال في عرض وجيز : في كتاب اكمال الدين واتمام النعمة عن محمد بن محمد بن عصام ، عن محمد بن يعقوب ، عن اسحاق بن يعقوب قال : سألت محمد بن عثمان العمري ان يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام :

أما ما سألت عنه ارشدك الله وثبتك ـ الى ان قال ـ وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله ، واما محمد بن عثمان العمري فرضي الله عنه وعن ابيه من قبل ، فانه ثقتي وكتابه كتابي » (١) محمد بن محمد عصام ، ومحمد بن يعقوب (الكليني) . كلاهما موضع ثقة . غير أن إسحاق بن يعقوب لم يوثق ـ لكن لدينا شواهد وقرائن تكشف عن وثاقة الرجل ، وامكان الاعتماد عليه .

من المرجع لدى المشاكل الاجتماعية ؟

ليس المقصود من « الحوادث الواقعة » في الحديث هي المسائل والأحكام الشرعية فحسب اذ لا يريد السائل أن يستفهم عن المسائل المستجدة ليعرف الى من يرجع فيها ؟ ان ذلك من أوليات مذهب الشيعة ، فالكل يعرف ان الذي يجب

---

(١) الوسائل ـ الباب ـ ١١ ـ من ابواب صفات القاضي الحديث ٩ من كتاب القضاء ورواه الشيخ الطوسي (قده) في كتاب « الغيبة » عن جماعة عن جعفر بن محمد بن قولويه وابي غالب الزراري وغيرهما ، كلهم عن محمد بن يعقوب ، ورواه الطبرسي في الاحتجاج مثله .

فعله في مثل هذه الحال هو مراجعة الفقهاء في استفتاء الاحكام الفرعية ، وهذا خط سار عليه شيعة اهل البيت حتى في عصر الائمة (ع) حيث كانوا يراجعون الفقهاء في مثل هـذه المسائل والاحكام الشرعية ، فكيف يخفى ذلك على من بلغ مرتبة عالية من الايمان ، فهو يكاتب الامام الغائب ويخالط النواب الاربعة ، افيعقل ان مثل هذا الانسان المدرك لا يدري لمن يرجع في مسائله الشرعية ؟ ! الذي اعتقده أن المقصود من « الحوادث الواقعة » هي المشاكل الاجتماعية المعقدة والامور الواقعة في الحياة العامة ، وبصورة كلية كان سؤال هذا المستفهم عن المرجع الأعلى للمسلمين عند ما تدلهم عليهم الحوادث وتهزهم عاصفات المشاكل ، فمن ذا يكون صالحاً لحلها او المتعين للرجوع اليه فيها ؟ ولذلك أجابه الامام عليه السلام - وفق سؤاله - يجب الرجوع الى رواة احاديثنا (الفقهاء) لانهم حجتي عليكم وانا حجة الله .

ماذا تعنيه كلمة « حجة الله » ؟ ماذا تفهمون من هـذه اللفظة ؟ هل تعني : ان خبر الواحد حجة ؟ وهل اذا نقل زرارة حديثاً يصبح بذلك حجة ؟ وهل يكون الامام (ع) مثل زرارة في وجوب اخـذ رواياته عن النبي (ص) والعمـل

وفقها ؟ ! واذا قيل : ان ولي الامر حجة الله فهل يعني هذا الكلام انه حجة في بيان المسائل الشرعية فحسب ؟ واذا كان النبي (ص) يقول : اني ذاهب الى ربي وقد تركت علياً (ع) خليفتي وحجتي عليكم ، فهل كنتم تفهمون من ذلك انه (ص) نصبه لبيان احكام شرعية فرعية فقط لتتعطل سائر الشؤون على الاطلاق ؟ !

أوالمقصود : ان علياً (ع) يصبح حجة على الناس ومرجعاً عاماً لهم كما كان النبي (ص) بنفسه حجة ومرجعاً في الشؤون وجميع الأمور ، وهكذا الفقهاء ، فهم مراجع الناس في كل شؤونهم وأمورهم ، فقد ألقيت اليهم مسؤولية الادارة العامة لامور المسلمين جميعاً .

ان حجة الله هو الذي عينه الله لتمشية الأمور ، فجميع اعماله وافعاله واقواله حجة على الناس . فاذا ما تخلف أحد يؤاخذه بغير هوادة ، واذا امر وجب تنفيذ امره ، واذا قام باجراء الحدود او تصدى لجمع الحقوق وصرفها يجب الاستسلام والانقياد له ، وسوف يؤاخذ الله المتمردين ويحاسبهم على المخالفة والعصيان ، وليس هناك من احد يرجع اليه سوى هذا المرجع المسؤول لذلك اذا رجع الناس الى مراجع الظلم والجور والفساد - في

حين وجود هذه الحجج الظاهرة - يحتج عليهم في ذلك ، ان الله يؤاخذ الناس في تركهم امير المؤمنين (حجة الله) ورجوعهم الى غيره من حكام ومراجع جائرة ، ويحتج على امثال معاوية وبني امية وبني العباس على اخذهم بازمة امور المسلمين من دون ما مبرر وفي حين وجود الحجة بين اظهرهم ، وسيقول لهم : ولماذا غصبتم منصباً لم يكن لكم ؟ هذا هو معنى حجة الله !

عبأ التتو - الباهض على كاهل الكادحين :

ان الله يؤاخذ ولاة الجور وكل من تصدى للحكم على غير الموازين الاسلامية ، ويحاسبهم على سيرتهم الظالمة ! ما هذا التلاعب باموال الامة ؟ ما اقامة الحفلات الالفية ؟ ولماذا هذا الصرف الباهض في حفلة التتويج على حساب الفقراء وصرف اموال الكادحين والبؤساء ؟

فلو أجاب : ان الأوضاع الراهنة تضيق باجراء العدالة او الحاجة الى فخفخة القصور الشاهقة دعتني الى ذلك ، وكان التتويج حاجة سياسية في رفع شأن البلاد واسداء العون لأبناء الامة فيقال له : أما تعلم أن الامام امير المؤمنين (ع)

كان حاكماً إسلامياً ؟ وكان يحكم رقعة كبيرة من الأرض ، فهل كانت اهتماماتك انت بشأن البلاد والعباد اكثر ام الامام امير المؤمنين (ع) ؟ ! هل كان ملكك اوسع ام ملكه (ع) ؟ ان ملكك كان جزءاً من ملكه الوسيع : العراق ومصر والحجاز كل ذلك كان تحت سيطرة حكمه ، وفي عين الوقت كان المسجد دار حكومته ، وكان يجهز جيوشه في المسجد ، كان المسلمون اذ ذاك يحملون عقيدة وايماناً يبعثهم على التمسك بمبادىء الاسلام والعمق بدساتيره والسير على منهجه ، ولذلك قاموا بتلكم الاعمال الجليلة وتقدموا ذلك التقدم السريع الباهر . . .

واليوم اصبح الفقهاء حجج الله على الناس ، كما كان النبي (ص) في يومه حجة عليهم ، وكانت الامور مودعة لديه وموكولة اليه واذا ما تخلف أحد كانت الحجة قد تمت عليه ، والفقهاء حجج من قبل الامام (ع) وان ازمة الامور موكولة اليهم وان حكومة الناس معهودة اليهم فهم المراجع في تمشية الامور وبسط الماليات الاسلامية ، والمتخلف سوف يحاججه الله . .

والخلاصة : لا اشكال في فحوى دلالة الحديث ، انما الكلام في سنده ، واذا لم يصلح دليلاً فانه يصلح مؤيداً في إطار هذه البحوث .

محاضرات فقهية حول

الحكومة الاسلامية
او ولاية الفقيه

الدرس: ٩ ـ ١٠

مطبعة الآداب

ات فقهية حول :

الحكومة الاسلامية

او

ولاية الفقيه

الدرس : ٩ ـ ١٠

مطبعة الاداب في النجف الاشرف

المحاضرة التاسعة

الاثنين ٢٥ / ذو القعدة / ١٣٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تحقيق آيات من القرآن الكريم :

. . . و (مقبولة عمر بن حنظلة) تصلح لتأييد موضوع بحثنا ، حيث فيها الاستشهاد بالآية الكريمة « يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت » وقبل البدء بالكلام يجب التعمق للنظر في الآية ، وتحديد مدلولها من حيث المعنى والشمول بشكل نستجلي به صورة المراد بوضوح .

وقال تعالى : « ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها . . » ذهب بعض المفسرين ان المقصود من الامانة هنا كلا النوعين : أمانات الناس وأمانات الله .

فكما يجب رد الودائع الى اهلها ، كذلك يجب امتثال أحكام الله واوامره بكل أمانة ونزاهة من غير تحوير أو انحراف ..

وذهب آخرون : ان المراد بالامانة في الآية الكريمة :

هي (قصة الامامة الكبرى) كما جاء في الحديث عن أئمة الهدى عليهم السلام « نحن ودائع الله » . فقد أمر الله تعالى رسوله الكريم ان يؤدي الوديعة سالمة الى من بعده ـ الامام علي (ع) ـ ومن بعده الى ولي الأمر اماماً بعد امام وهكذا . .

الحكومة القائمة على أساس العدل :

في تتمة للآية السابقة قال تعالى : « . . وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » ذلك ان الله يأمر كل متصد وكل متول لأمور المسلمين بالعـــدل والانصاف في حكمه وتصرفاته ازاء الامة في نشر العدل ومطاردة الظلم واحقاق الحق في ربوع الدولة . . لان ذلك وديعة الله وامانة الامة التي يتحملها الحاكم الشرعي ، وليس هناك اعظم من هذه الوديعة وأخطر من مسؤولية القيام بواجبها على عاتق الحكام والمتصدين للحكم . . . حيث خطاب الآية لولاة الامر .

وان القيام بواجبها بكل امانة واخلاص وفق مقاييس الحق والعـدل لهو من اعظم انواع اداء الامانة . . فالالتزام في التصرف والعدل في القضاء والانصاف في الحكم يجب ان يتم وفق المقاييس الشرعية الصحيحة البعيدة عن الاجحاف والظلم والاستغلال . . .

ففرض ضريبة على اهل الذمة (اليهود والنصارى والمجوس)

يجب ان يكون الحاكم منصفاً في تعيينها وتقديرها بعيدة عن مضايقتهم وما فيه ارهاقهم وظلمهم في فرض الضرائب الفادحة والخراجات الثقيلة ونحوهما .

وكذلك الامر بالنسبة الى كافة التصرفات الصادرة منه ، يجب ألاّ تخرج عن حدود الحكم الشرعي الشريف مهما كان مقدار ذلك الخروج والانحراف . . فلو اراد اجراء حد من الحدود الشرعية فيجب ألاّ يتجاوز الحـــد المقرر ولو يسوط أو بشتم او اهانة .

كل هذا يستبان من خطاب الآية الكريمة لولاة الامر حيث دلالتها على العموم والشمول ، فليس القضاة وحدهم المعنيين في الآية الكريمة ، لانهم حكام أيضاً يحكمون ويفصلون بين الناس ولان القضاء فرع من فروع الحكومة العامة ، فلا يمكن ان نقتصر المعنى على الاختصاص بهم ، بل دلالتها ظاهرة لكل من يتولى الشؤون الاسلامية والتي هي وديعة الله وامانته في هذه الامة .

مفهوم العدالة :

ان الاسلام يسعى حثيثاً لتحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية بين الامة ، فهو حينما يكون شديداً على فرد أو مجموعة تخل بالنظام وتعبث الفساد في الأرض حريص كل الحرص على اسعاد المجتمع وقطع دابر الفساد والفوضى فيه . . . .

فصور الرحمة والعطف والحنان التي يتسم بها حكامه تتحول الى شدة وقوة لتنزل على رؤوس الطغاة والمجرمين حيثما يخلون بمبدأ العدل الاجتماعي .

فرسول الله (ص) مثلا اذا اصدر امره بقتل احد او فتح بلد او استئصال طائفة او احراق دار - لاجل قطع جذور الفساد من الارض - فيكون تصرفه عادلاً ، لانه قد دفع الضرر والحيف عن الاسلام والمسلمين وسائر الناس ، لان هذا التصرف هو رعاية لمصالح الامة فى سعادتها الاجتماعية . وعلى العكس اذا لم يحكم بذلك فيما يقتضيه الحكم بذلك يكون مخالفاً للعدل والانصاف . .

ولكن في نفس الوقت لا يقبل بأي اعتداء أو أذى للآخرين ويقف منه أيضاً موقفاً شديداً . . فالامام علي (ع) عندما سمع بغارة أصحاب معاوية على البلاد وسلب الجند لاموال المسلمين ومن جملة ذلك سلب النساء الذميات حليتهن وما الى ذلك من اعمال تعسفية . . فقد تأثر تأثراً عظيماً وتألم ألماً شديداً حتى قال : « لو مات سليم بعد هذا كان حقاً » .

ونراه كذلك بعدما قطع (ع) يد سارقين ابدى تجاههما عاطفة وحناناً تقترن بمزيد من الشفقة والرحمة عليهما ، فأضافهما وعالج جرحيهما . . الامر الذي جعلهما من المخلصين للامام والمعتزين به طول الحياة .

وهكذا نرى صورة العطف والشفقة والحنان والتي هي الطابع

العام للانسان المسلم والحاكم الاسلامي الى جانب الشدة والقوة والغلظة التي تكون السبيل الكفيل لايقاف المعتدي عند حده وقطع دابر الفساد واستئصال جذوره .

فصورة امامنا (ع) ترسم ذلك بوضوح ، فهو الى جانب عاطفته الجياشة ورقته وخشيته لله وحنانه نراه يوم الوغى ذلك البطل الذي لا يعرف الرقة على الكافرين واعداء الاسلام في جهاده لارساء قواعد الدين . .

الشدة والرحمة على مقياس العدل :

ان الشدة والرحمة سمتان بارزتان من سمات المؤمن الصحيح . . فمع كون الطابع العام للمؤمن الرحمة والود والعطف والحنان ، ولكننا نرى ان هذا الخلق الرقيق والعواطف المرهفة تتحول الى بركان من غضب واعصار من غلظه حينما يرى الانحراف في تطبيق مبدأ العدل والزيغ عن تطبيق الشرع الحنيف .

وهذه الصورة ليست كائنة على مستوى التصرفات الخاصة بل ان الحكومة الاسلامية القائمة تسعى جاهدة لتطبيق ذلك في المجال العملي وليست ببعيدة عنا صورة الدولة الاسلامية في زمن الرسول الاعظم (ص) وفي زمن الامام امير المؤمنين (ع) وما كانت تزخر بامثلة كثيرة وشواهد لا تحصى وهكذا كل حكومة واقعية تريد الخير لأبنائها والعدل في ربوعها . .

ان الخوف والملع ، والظلم والتعسف ، والفوضى والجور الذي نلاحظه اليوم في بعض المجتمعات ناتج من تصرف حكوماتهم وتطبيق قوانين بعيدة عن العدل والحق ، ولا ترتكز عليه ، حيث انها لا تمثل الا قوة غاشمة ملكت زمام الامور وتسلمت مقاليد الحكم فأخذت تفعل ما تريد وتحكم بما شاء فعاشت شعوبها القلق وعدم الاستقرار ، وكانت مجتمعاتها بعيدة عن السعادة والامن والاسلام . .

منافع شخصية ومصالح عامة :

ان من يتصد لرعاية مصالح الامة ويقوم بمسؤولية الحكم فيها لابد له ان يسحق كل ما يقف حائلاً دون تنفيذ العدل من عواطفه ومصالحه الفردية ومنافعه الخاصة ، يجب ان يذوب كل هذه الأمور ويسمو بنفسه الى مستوى ما تفرضه عليه مسؤوليته التاريخية والانسانية : لأن شعبا بكامله تحت رحمة تصرفه ولأن امانة عظمى في يده فلان تهاون في ذلك أو سمح لنزواته ورغباته ان تتحكم في سلوكه وتصرفاته وهو على منصة الحكم فتكون تلك التصرفات على حساب امة بأسرها وشعب بأكمله ، فيجب ان لا يدع عواطفه الشخصية من أن تتحكم فيه لتحقيق منافع خاصة له أو لذويه ومتعلقيه على حساب مبدأ العدل والانصاف .

ان الاسلام في مجال تطبيق مبادئه قد ضرب الكثير من ابنائه ، وضحى بآخرين من اتباعه وبكل سخاء حينما خرجوا عن الخط الذي يحقق الصالح العام للامة .. وهو بعمله هذا يقلع جذور الفساد من اعماقها ويبيد صور الانحراف المتمثلة بالتصرفات اللاعادلة من قبل اشخاص يكون وجودهم الضرر المحتوم على المجتمع البشري .

ان النبي (ص) قام باستئصال طوائف بني قريضة (اليهود) حينما نقضوا العهد وخانوا الامة بخروجهم على بنود الاتفاق مع المسلمين .. فانساقوا في تصرفاتهم مع اهوائهم ومع ما يحقق منافعهم الشخصية ولم يرعوا للعهد حرمة وللامة ذمة ، فكان وجودهم مصدر قلق وخطر على المسلمين ولذلك حق استعمال منتهى الشدة والعنف معهم في افنائهم وابادتهم عن صفوف المجتمع لانهم ضربوا المصلحة العامة لحساب منافعهم الشخصية .

خطاب الى الجامعة الاسلامية :

وقال تعالى فى الآية الثانية : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » جاء في الحديث : ان الآية الأولى وهي قوله تعالى : « وان تؤدوا الامانات الى اهلها » تخص الأئمة (ع) وقوله تعالى : « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » تخص الولاة والقائمين بشؤون الأمر من المسلمين ،

أما هذه الآية : « اطيعوا الله » فانها خطاب عام الى المسلمين كافة . ذلك ان الله سبحانه يأمرهم بطاعته والتزام أحكامه وتطبيق شرعيته في كل مجالات الحياة وباطاعة الرسول (ص) فى أوامره الخاصة التي ترجع الى تطبيق تلك الأحكام وما أشبه وكذلك باطاعة أولي الامر الأئمة (ع) القائمين مقام الرسول فى تنفيذ الشريعة الاسلامية .

فرائض الله غير أوامر الرسول :

قلت ان اطاعة الله انما هي تتمثل فى تطبيق شريعته والتزام مناهج دينه التي بعثها الينا على يد نبيه (ص) من عبادات وواجبات ومحرمات ، وليس للنبي (ص) شأن ورأي فى باب الواجبات الشرعية سوى المنفذ والممتثل لاحكام الله . اما هو بنفسه فلا أمر له في ذلك ولا نهي . . فاذا امرنا الرسول باقامة الصلاة كان امتثالنا لذلك امتثالاً لاوامر الله واطاعة لله في أحكامه وشريعته . .

ان اوامر الرسول (ص) التي تخصه والتي ترتبط بشخصه هي أوامره التي يصدرها بشأن الحكومة الاسلامية وادارة جهاز الدولة في سياستها الداخلية والخارجية ، كأمره (ص) بتجهيز جيش أسامة ، ومرابطة الثغور ، وجباية الصدقات ، وتخطيط السلوك العام . . ان هذا وأمثاله يشكل أوامر الرسول التي

يجب اطاعته فيها . ، كما يجب علينا اطاعة اولي الامر في نفس الاوامر المذكورة والتي تمس شؤون ادارة الدولة الاسلامية بشكل عام واطاعتهم تمثل اطاعة الله وان كان أولي الامر - حسب ضرورة مذهب الامامية - هم الأئمة من اهل البيت المعصومين عليهم السلام .

القضاء بالعدل وتنفيذ العدل :

قال تعالى : « . . . فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » .

ان دلالة الآية الكريمة صريحة في امرها بالرجوع الى الله والرسول في الخصومات والخلافات الواقعة بين المسلمين .

والخصومات الواقعة بين الناس تكون على نوعين :

الأولى :

ما يقع بين شخصين أو طائفتين في واقعة جزئية ، يختلفان فيها هذا مدع وذاك منكر . . وفي مثل هذه القضايا التي تحتاج الى الاثبات وتعيين الحق يرجع فيها للاصول العرفية أو الأحكام الشرعية في تثبيتها ، والمرجع في ذلك هو القاضي المنصوب في

البلد ، والذي يتصدى للفصل والحكم فى هكذا حوادث جزئية واقعة بين الناس .

الثانية :

والصورة الثانية للخصومات لا تكون اختلافاً بين اشخاص أو افراد تحتاج الى تعيين وإثبات ، وانما هي ظلم وتعدي صريح ثابت ومتعين من ظالم غاشم على آخر مظلوم مهضوم ، كغصب حتى أو انكار دين أو سرقة دار أوسلب مال . . ففي مثل هكذا قضايا اجرامية يكون المسؤول المباشر عنها هو ولي الامر الذي يتحمل اعباء مسؤولية البلد ، فانه هو الذي يتصدى لاحقاق العدل والحق في ربوع الوطن وبين المجتمع بقدرته الادارية والعسكرية ، فيأخذ الحق من الظالم ليعيده الى نصابه ويشيع الامن ويوطد الاستقرار بالقضاء على الايدي الآثمة المجرمة التي عبثت الفساد فى البلد .

وليس الامر هذا من صلاحية القاضي ، لان الامور التي تعرض على القاضي محتاجة الى الاثبات والتعيين ، وليس الامر بالصوره الثانية كذلك ، فأمرها واضح والمجرم بين .

وذلك لدلالة الآية الكريمة بقوله تعالى : « واذا تنازعتم » اي اذا اختصمتم فى اي أمر من الامور ، فالمرجع فى فصل هذه الخصومات هو الله سبحانه ـ في فهم الحكم ـ والرسول (ص)

ـ في اجرائه وتنفيذه ـ ، ذلك ان الرسول (ص) يتلقى الحكم من الله ليضعه في موضع التنفيذ . .

فالامر على هذا يخص منصب الحكم والولاية ، اما لو كان الأمر من اختصاص القضاء فكان (ص) يمكن ان يتصدى له من غير مراجعة الى الله ، وهكذا نرى ان المظالم الواقعة بين الناس يتصدى الرسول (ص) بصفته ـ ولي امر المسلمين ـ لرفعها بنفسه أو من يبعثه من قبله .

ولنعلم ان كل امر يخص مقام النبوة ـ من ناحية الولاية العامة والحكم بين الناس ـ فانه يخص مقام الامامة ، فكما يجب على الناس اطاعة الرسول فيما يحكم ويأمر كذلك يجب عليهم اطاعة الائمة فيما يحكمون ويأمرون .

والخلاصة : من الآيات الكريمة المتقدمة في قوله تعالى : « واذا حكمتم بين الناس . . » وقوله تعالى : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول . . » وهذه الآية « واذا تنازعتم في شيء . . » اعم من الحكم والقضاء فلا تخص القضاء فقط . . هذا فضلا عن دلالة بعض الآيات في خصوص باب الحكم .

الصمود دون مراجعة الطواغيت :

قال تعالى تعقيباً على الآية السابقة : « ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون

ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به » (١) .

ان المقصود بالطاغوت في الآية الكريمة هو خصوص اولئك الحكام الجائرين الذين قاوموا الاسلام ووقفوا بوجه شرعة الله وتطبيق مبادىء العدل والحق . .

واذا لم نقل بخصوص هذا فلابد من القول بان « الطاغوت » يشمل بابي الحكومة والقضاء . . ولا يخص باب القضاء فحسب ، حيث ان اطلاق الطاغوت على القاضي بحاجة الى تأويل ، ذلك انه لا يمكن ان يطغى اذا كان لا يملك وسائل الطغيان ، وليس اللسان والقلم مقومان ومخولان صاحبها لاسباب الطغيان مالم تكن هناك قدرة تنفيذية وسلطة حكومية تدعمها .

اذن الطغاة هم الحكام والامراء الجائرون الذين ملكوا رقاب الناس ولعبوا بمقدراتهم حسب اهوائهم الخاصة فيظلمون ويجورون ويعبثون بمقدرات الامة كيف شاءوا .

لذلك فقد أمر الله المؤمنين ان يصمدوا تجاه ظلم هؤلاء الكفرة الجحدة ، ويكفروا بمبادئهم الجهنمية الهدامة ويحملوهم تكليفاً باهظاً ومسؤولية ثقيلة . . .

وعليه فان الآية لا تخص باب القضاء ، وانما هي تعم الولاة والحكام والقضاة أو انها تخص الحكام الجائرين فقط .

---

(١) النساء : ٦٣ .

مقبولة عمر بن حنظلة :

ولندرس الحديث الذي يرويه ـ عمر بن حنظلة ـ بهذا الصدد بامعان ، ولننظر في فحوى دلالته فى الموضوع .

محمد بن يعقوب ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن عيسى ، عن صفوان بن يحيى عن داود ابن الحصين ، عن عمر بن حنظلة :

قال : « سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من اصحابنا بينهما منازعة في دين او ميراث فتحاكما الى السلطان والى القضاة ، أيحل ذلك ؟ . قال : من تحاكم اليهم في حق او باطل فانما تحاكم الى الطاغوت ، وما يحكم له فانما يأخذه سحتا وان كان حقاً ثابتا له ، لأنه أخذه بحكم الطاغوت وما امر الله ان يكفر به ، قال الله تعالى : « يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به » قلت : فكيف يصنعان ؟ قال ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف احكامنا فليرضوا به حكماً فانى قد جعلته عليكم حاكما . . . » (١)

---

(١) الوسائل ـ الباب ـ ١١ ـ من ابواب صفات القاضي ـ الحديث ١ من كتاب القضاء (ج ١٨ ـ ص٩٨)

تحقيق الحديث :

رجال سند الحديث كلهم ثقات ، وبعضهم من المشائخ ، وانما الكلام في عمر بن حنظلة في صدر السند هل هو ثقة ام لا ؟

ان ائمة النقد والتمحيص لم يذكروا له وثاقة وقد حاول الشهيد توثيقه ، لكنه لم يتم .

نعم ان المشائخ قد اكثروا في الرواية عنه .

وقد اشتهر الحديث بمقبولة عمر بن حنظلة قد تلقاه الفقهاء بالقبول وعملوا به في باب القضاء وقد كان هذا الحديث مستند الفقهاء منذ ان بحثوا عن شؤون الفقيه وعن قضائه ونفوذ احكامه .

وقد ورد مدحه في بعض الروايات ايضاً ، وهذا جميعه يصلح قرينة للقول بصحته والاعتماد عليه ، وانه لم يكن من صنعة الحديث وواضعيه ، فان هذا الشيء فتحاشاه عنه .

هذا فضلا عن شهادة متن الحديث الدالة على صحته نوعاً ما .

ان من يدقق النظر في لفظ الحديث اولاً وآخراً ليطمئن انه ليس من صنع امثال عمر بن حنظلة أو باستطاعته الزيادة في ألفاظه ، فقد يشهد المتن بصحة الحديث أو سقمه مع قطع النظر عن السند ، فان استقامة المعنى ومستوى بلاغته وقوة لفظه قدتكون أول دليل على صحته ، وانه لم يصدر من اوساط الناس .

فنحن مثلا لا نجد لزيارة الجامعة سنداً صحيحاً غير ان

التفاصيل الواردة فيها بشأن الائمة (ع) لعلى درجة من الدقة والصحة بحيث تتوثق النفس وتطمئن على صدورها عن لسان الائمة (ع) انفسهم .

ان فى نهج البلاغة خطباً ربما تبلغ درجة بلاغتها وفصاحتها ما يكفيك القطع بصدورها عن لسان الامام علي (ع) وان امثال السيد الرضي ليقصر عن مثل انشائها وقوة بلاغتها .

ان السيد الرضي (رحمه الله) من الادباء الكبار ومن طليعة العلماء العظام وله شأن كبير في أوساط العلم والادب ، ويعترف الكل بفضله ونبوغه ، وقدانشأ في مقدمة كتاب نهج البلاغة خطبة بليغة ـ ولكنها لا تصل باى حال الى مستوى خطب الامام علي (ع) ولو قارنا للمسنا الفارق الكبير بينهما . مع طبيعة اهتمامه البالغ بتلك الخطبة .

وليكن واضحاً ان كل الذي ذكرناه لا يصلح سنداً في مجالات الفقه الاستدلالي ، ولكنها تصلح كمؤيدات تجعل النفس واثقة بصدور الحديث من الائمة (ع) وحسبك من فائدة جليلة .

الفرق بين الحكومة والقضاء :

الذي توصلنا اليه من الكلام السابق (من مجموع الحديث واستشهاد الامام (ع) بالآية الكريمة) ان النقطة التي يجب ان نركز عليها هي موضوع الحكم الكلي ، والامام قد وضح تلك الوظيفة

بصورة كلية . .

ذلك ـ ان الخصومات والخلافات بشأن المواريث وغصب الحقوق وما أشبه أمور لاتحتاج الى بينة واثبات فقط لتكون المسألة مرتبطة بباب القضاء فحسب ، بل أن الكثير من الخصومات مردها استغلال القوي للضعيف وسلبه حقه وغدره في ذلك والحق فيها واضح ، غير انه بحاجة الى قوة توقف الظالم عند حده وتنصف المظلوم في مظلوميته ، تلك السلطة التي يبحث عنها الضعيف والمظلوم في الوالي والحاكم . . ووظيفة الوالي أو الحاكم التزام جانب الضعفاء وانصافهم من الجائرين . . وهذا لايرتبط بالقاضي فحسب، الذي لايملك سوى الفتوى والحكم المجرد ، وما قيمة الحكم إذا لم يحقق حقاً ويخرج مالا مغتصباً . . . فكل خصومة لاتحتاج الى بينة واثبات نتيجة وضوح الحق بحاجة لانقاذها من قبل حاكم عادل وحكومة غيورة على مصالح الضعفاء .

أما القاضي فهو الذي ينظر فى شأن الخصومات وأدلة الخصمين ويحكم وفق الايمان والبينات . . وعليه فدلالة الحديث واضحة في مراجعة الحكام والقضاة ، فمراجعة الحكام فيما يخصهم من خصومات ومراجعة القضاة فيما يخصهم من خصومات كذلك وفق التفصيل الذي أوضحناه .

تحريم الرجوع الى الجائرين :

ينهى الامام (ع) عن مراجعة أولئك الجائرين ، امعاناً في

عزلة الحكم الظالم عن الشعب وابعاداً للظلمة من التحكم في شؤون المسلمين ، ولذا نهى الامام عن مراجعتهم والذين توظفوا من قبلهم حتى ولو كان الحق ثابتاً .. كما فى مثل من قتل ولده أو نهبت داره ، فلا يحق له ان يراجع الحاكم الجائر في ذلك .. فلو كان دائناً وبيده الوثيقة فلا يجوز له مراجعة القاضي الموظف من قبل الظلمة والطواغيت ، فان مراجعته تعني استسلام المسلم لاتجاه الظالم ، وهذا مما يأباه الاسلام على المسلمين ، فهو إن أخذ شيئاً منه فكأنما يأخذ سحتاً وان كان حقاً ثابتاً له . فلا يجوز له التصرف فيما أخذ بأمر هؤلاء الظلمة الجائرين ..

وقد أفتى بعض الفقهاء بعدم جواز التصرف فيه حتى لوكان المال معيناً شخصياً ، فمثلا إذا سلبك أحد رداءك فحاكمته الى جائر وأخذه لك ، فهذا ما لايجوز لك لبسه مادام الظالم هو الذي تصدى لرده عليك ..!

ونحن اذا لم نقل بذلك في العين الشخصية (الخارجية) فنقول بذلك في الأموال الكلية الثابتة فى الذمم ، فالدائن اذا تحاكم الى الطاغوت فى اخذ حقه من المدين واخذه بحكمه يكون ذلك حراماً عليه ، ولا يجوز له التصرف فيه بتاتاً ، وهذا ما يوافق المقاييس الشرعية ايضاً .

سياسة اسلامية :

والاسلوب الذي تحدثنا عنه في تحريم الرجوع الى الحكام

الجائرين يمثل سياسة اسلامية تهدف الى عزل الحكام الظلمة وتروم سد ابواب الطغيان وتبغي الأخذ بالأئمة الى الطريق الصحيح المتمثل بمنهج ائمة الحق والهدى والى من نصبوه من قبلهم بحق ، فكان الهدف من السياسة السلبية هذه هو الجانب الايجابي فحينما انسد باب الظلم تنفتح باب العدل ، وبدلاً من ان يزدحم الناس على ابواب الطغاة يتزاحموا على ابواب الهداة . . فيندفع الشقاء وينحسر الظلم ويتوارى الطغيان والجور . . ولذلك فقد كان قول الاسلام صريحاً أن أولئك الحكام الجائرين والمنحرفين عن منهج الحق والعدل لا يمثلوا الامة الاسلامية ، وليسوا بمراجعها ولا يحق للمسلم مراجعتهم ، بل من واجب المسلمين الكفر بهم والنكران عليهم ، وهذا هو واجب الامة فحسب .

مراجع الأمة هم العلماء :

وبناء على ما تقدم فالى من ترجع الامة الاسلامية فى حل مشاكلها ؟ وما هو واجبها ؟ .

قال (ع) : (ينظران ـ الخصمان ـ من كان منكم ممن روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف احكامنا . .) فعلى الامة مراجعته في رفع خصوماتها . .

فالامام يوضح في حديثه ان من توفرت فيه الشروط السابقة في معرفة الاحكام والالتزام بما احل الله وما حرم وعرفه ـ وفق

القواعد العقلية والشرعية ـ فهو الذي يلتجأ اليه ويحتكم عنده . . ولهذا فلا يمكن ان نسوغ لانفسنا القول : هل المحدثون اصبحوا مراجع الامة ؟ !

فالامام (ع) ذكر شروطاً يجب توفرها في المرجع ، فقيد ذلك بمن يملك النظر ـ وفق القواعد ـ في الحلال والحرام ويملك صلاحية عرفان احكام الله ولديه قدرة في مقاييس الاستنباط والنظر ، ليستطيع التمييز بين الصحيح من الاحاديث والسقيم ، فيعرف الحديث الصادر لتقية او جهة اخرى غير واقعية . .

ومن المعلوم ان هذا التخصيص والتشخيص لا يتوفر الا في العلماء الفقهاء ، دون المحدثين المقتصرين على نقل الحديث .

العلماء هم ولاة الامر :

« فاني قد جعلته عليكم حاكماً . . »

ان من تجمعت فيه هذه الشروط وتوفرت فيه تلك الصلاحية اللازمة كان حاكماً ووالياً على المسلمين من قبل الامام (ع) ولا يحق للمسلمين ان يتركوه الى غيره .

وعليه فمرد الناس في مظالمهم والتعدي عليهم هو الحاكم الذي نصبه الامام (ع) .

وان مرجع الناس في نزاعهم في الخصومات وحلها هو القاضي

الذي نصبه الامام ، وهذا واجب المسلمين عامة ، وليس حكماً خاصاً بعمر بن حنظلة راوي الحديث . . .

دستور عام :

ان مواصفات الحاكم الذي بين الامام شروطه في الحديث السابق يعتبر دستوراً عاماً يشمل الجميع . . فكما ان الامام امير المؤمنين (ع) في عهد خلافته الظاهرية ـ كان ينصب الحكام والقضاة ويتعين على المسلمين مراجعتهم فحسب دون غيرهم ، فان الامام الصادق (ع) حيث هو ولي الأمر بصورة مطلقة باستطاعته تعيين الولاة والحكام والقضاة للمسلمين بصورة عامة في حال حياته وبعد وفاته ، وقد فعل ذلك وعين الفقهاء حكاماً على الناس لتولي شؤونهم وحل مشاكلهم . . . وقد عبر (ع) بقوله: «. . جعلته حاكماً » المفيد للتعميم والشمول . . فلا يزعم احد انه (ع) قد نصبهم قضاة فقط بل حكاماً يحكمون بين الناس عامة في جميع قضاياهم الادارية والسياسية والاجتماعية . .

وكذلك فان المستفاد من صدر الحديث وذيله ومن الآية الكريمة المستشهد بها في الحديث : ان الموضوع ليس منحصراً في القاضي ، ليكون الامام قد نصب قاضياً على الامة وترك الناس في سائر شؤونهم بلا مرجع يرجعون اليه ، فأجاب على إحدى

المسألتين دون الاخرى . . فقد كان الحديث ـ في دلالته وسنده ـ واضحاً في تعيين الاملم (ع) الفقهاء حكاماً وقضاة على الامة جمعاء ، وعلى المسلمين جميعاً مراجعة هؤلاء الولاة الشرعيين واطاعتهم فيما يحكمون ويأمرون . .

المحاضرة العاشرة

الثلاثاء: ٢٦ / ذو القعدة / ١٣٨٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سبق أن قلت في مقبولة عمر بن حنظلة : ان الأمور التي تمس شؤون القضاة تختلف عن التي تمس شؤون الولاة والحكام ، وهذا شيء جداً واضح ، ولا يستدعى استدلالا عليه ، غير انا ـ تأكيداً لذلك ـ نعرض حديث ابي خديجة بهذا الصدد :

مرسوم سياسي :

محمد بن الحسن ، باسناده عن محمد بن علي بن محبوب ، عن احمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابي الجهم ، عن ابي خديجة قال : « بعثني ابو عبدالله (ع) الى اصحابنا فقال : قل لهم : اياكم اذا وقعت بينكم خصومة او تدارى فى شيء من الاخذ والعطاء ان تحاكموا الى احد من هؤلاء الفساق ، اجعلوا بينكم رجلا قد عرف حلالنا وحرامنا ، فانى قد جعلته عليكم قاضيا واياكم ان يخاصم بعضكم بعضاً الى السلطان الجائر » (١) .

(١) الوسائل ـ الباب ـ ١١ ـ من ابواب صفات القاضي ـ الحديث ٦ من كتاب القضاء (ج ١٨ ص ١٠٠) .

المقصود من التداري في هذا الحديث هو الخصومة والمنازعة لتحرم مراجعة هؤلاء الفسقة فيها . ومن ثم عقب (ع) قوله : « اجعلوا بينكم . . . فاني قد جعلته عليكم قاضياً . . . » يبدو من ذلك ان هناك قضاة منصوبين من قبل ولاة الجور ولحرمة مراجعتهم نصب الامام (ع) من قبله قضاة ليكونوا مراجع الناس في شؤون حياتهم .

ثم يقول : « وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً الى السلطان الجائر » اي لا يرجع اليهم في الشؤون التي تمس مقام السلطنة والولاية . وهذا - ليس - تكراراً لما سبق : حيث ان الجملة الاولى نهت عن مراجعة قضاة الجور . وهذه الجملة الأخرى تنهانا عن مراجعة ولاة الجور . الامر الذي يجعل باب القضاء وباب الحكومة أمرين مختلفين . لا ترتبط شؤون أحدهما بالآخر . غير ان الامام (ع) في هذا الحديث تصدى لنصب القضاة واما في حديث عمر بن حنظلة فتصدى لنصب القضاة والولاة والحاكم جميعاً .

هل الفقهاء بمعزل عن الحكم ؟

وبعد فلننظر : اذا كان الامام (ع) قد نصب - في حياته - الفقهاء قضاة من قبله - كما في حديث ابي خديجة - وولاة وحكاماً ايضاً - كما في مقبولة عمر بن حنظلة - هل انهم بعد وفاة الامام (ع) ينعزلون عن هذا المنصب ، ام هم باقون على

مسؤوليتهم الأولى بادارة شؤون المسلمين ؟

ومع غض النظر عن موقع الامام وولايته الثابتة التي تختلف كل الاختلاف عن غيره من ولاة الأمر - وفق مذهب الامامية الذين لا يرون فرقاً بين حياة الامام ووفاته في وجوب اتباعه وامتثال اوامره - مع غض النظر عن ذلك يجب ان نلاحظ أن الوظائف والمناصب التي يحرزها أشخاص هل تبطل بموت من عينها لهم ونصبهم فيها ام ماذا ؟

موت الرئيس لا يؤثر في دوائر الدولة :

في انظمة الحكم الحاضرة - باشكالها المختلفة في العالم من ملكية وجمهورية وغيرها - اذا ذهب رئيس الدولة أو الملك - بالموت أو السقوط - لا يتغير وضع الدوائر الحكومية من رؤساء ومدراء وحتى الاوضاع العسكرية لا تتغير مالم يغيرها الرئيس او الملك الجديد . فلا تسترجع درجة زعيم ، ولا ينعزل سفير او وزير او محافظ او مدير ناحية وما اليهم من المناصب التي يشغلونها ، أللهم الا اذا قصدت الدولة القائمة بتغيير او تبديل .

نعم هناك بعض المناصب يبطل بنفسه بمجرد موت من تصدى للتعيين ، وذلك كالاجازة فى الامور الحسبية او الوكالة التي يعطيها الفقيه لشخص آخر ، اما اذا نصب الفقيه قيّماً على الصغار او متولياً على الاوقاف ، فان هذا لاينعزل بموت الفقيه .

مناصب الفقهاء باقية مع الأبد :

ان منصب القضاء والافتاء والولاية التي اعطاها الائمة (ع) للفقهاء العدول باق مع الأبد حيث ان الامام (ع) يرى كل جوانب الأمر من غير ان يغفل عن مصالح العمل الذي يقوم به ، بل يعرف اوضاع العالم . ويعلم كذلك ان الرؤساء والمدراء لا ينعزلون بموت الرئيس الاول ، ولما كان يعلم ذلك فللأبد ـ اذا كان من قصده عزل الفقهاء عن مناصبهم التي هو اعطاهم اياها ـ أن ينبه على ذلك بصورة خاصة ، فيصرح بأن ولايتهم باقية ما دمت حياً وليست بالاطلاق . !

ولما لم يصرح بذلك فعلماء الاسلام منصوبون ـ وفق هذا الحديث ـ للافتاء والولاية على الناس من قبل الائمة (ع) ، وهذا منصب لهم باق مع الأبد . واحتمال أن الامام الذي جاء بعد الامام الأول قد عزلهم ونقض حكم الامام السابق له واه للغاية لأن الامام (ع) ينهى عن مراجعة الطواغيت في احقاق الحقوق ثم يتمسك بالآية الكريمة : « وقد أمروا أن يكفروا به » ثم يعين قضاة وحكاماً من قبله للناس ، فاذا نقض الامام اللاحق هذا الحكم وعزل القضاة الذين نصبهم الامام السابق فماذا يكون تكليف الخلائق في حل مشاكلهم وفصل خصوماتهم ؟ هل يراجعون أئمة الجور ؟ ـ هذا رجوع الى الطاغوت الذي أمر الله بالكفر

به ـ أو يغضوا الطرف عن حقهم ويصرفوا النظر عن مطالبهم. حيث لامرجع ولا ملجأ ولا ملاذ ، بل الأمر فوضى ، فليأكل كل أحد مال أخيه ظلماً وعتواً ، وليعمل العاملون مايشاؤون .!!

إننا على يقين أنه اذا كان الإمام الصادق (ع) قد نصب الفقهاء ولاة أمر المسلمين فان الامام الكاظم (ع) لم يناقضه البتة . بل لايمكن ذلك للامام اللاحق ليقول للناس : لاترجعوا إلى الفقهاء العدول فى حل خصوماتكم . ! أو ارجعوا إلى سلاطين الجور ، أو اسكتوا عن حقكم أيها المسلمون ليذهب باطلا . !

نعم إذا نصب الامام السابق قاضياً أو حاكماً لبلد ، فان الامام اللاحق يجوز له عزل ذلك القاضي أو الحاكم لينصب مكانه آخر ، أما ابطال نظام القضاء والحكومة فهذا ليس بوسع الامام اللاحق البتة . وهو أمر واضح جداً .

أفكار اسلامية واعية في عهد الرقابة والاضطهاد :

مما يستدعي التنبيه له : ان الامام الصادق (ع) عاش في ظروف قاسية وتحت ضغط شديد من رقابة الحكومة الجائرة . وفي حالة اتقاء بالغ من الوضع القائم به من غير أن يملك قدرة ، أو يستطيع قياماً بأمر ، وكان يقضي جل أوقاته في حصار سياسي خانق ومراقبة شديدة من قبل الأعداء وهو فى هذه الظروف من المضايقة يتصدى لتعيين مصير المسلمين في أمورهم ونصب

القضاة والحكام لهم . . . فما هي الفائدة التي كان يتوخاها من وراء ذلك ؟! ان عظماء الرجال المصلحين يملكون من المستوى الفكري الواسع ما لايدع اليأس أو القنوط يتسرب إلى نفوسهم ، ولا يفكرون بمصالحهم الخاصة ولا في مستقبل حياتهم الذاتية مهما وقعوا تحت الضغط والتهديد ، وانما يهتمون اهتماماً بالغاً بوضع الخطط الرئيسية لتأمين أهدافهم وتحقيق مبادئهم سواء استطاعوا تنفيذها بأنفسهم أم جاء آخرون وأخذوا بامتداد خطتهم الى التحقيق ولو بعد حين ـ بعد ٢٠٠ عام أو ٣٠٠ عام ـ أن جهودهم ومساعيهم لمبذولة في سبيل هدفهم المنشود ، وان أكثر النهضات الاصلاحية الكبرى تحققت وفق هذا المنهج الرصين .

ان نهرو ـ ولعل كتبه وقعت في يدي تلك الأيام التي قضيتها في السجن ـ عندما كان يقضي أوقاته في السجون أسيراً في أيدي الأعداء ، من غير أن يعرف مصير أمره الى النجاة أو الهلاك ، في تلك الظروف المحرجة كتب مؤلفاته القيمة ، وخطط مناهج تحرير الهند ، ولذلك بعدما خرج من السجن سار على نفس المناهج التي خططها في السجن ، وأصبح رئيس وزراء ٤٠٠ مليون نسمة وبلغ من أمره مابلغ . !

ان رئيس جمهورية اندونوسيا السابق (سوكارنو) أيضاً كان يعمل في تحرير بلاده وتخطيط مناهج خلاص أمته من براثن الاستعمار وهو يقضي أيامه في السجن الحالك . ! .

ان الامام الصادق (ع) فضلا عن تخطيط المناهج الاصلاحية

التي قام بها في تلك الظروف القاسية فانه تصدى لنصب ولاة الأمر للمسلمين ، ولعل هذا العمل كان في حينه لغواً ، غير ان الامام كان يهدف ـ بنظره الثاقب ـ مستقبل الأمة ، ولم يكن كاجدنا الذي لايفكر إلا في حاضره الشخصي . ! انه كان يفكر في مصالح الأمة . في مصالح البشرية . في المصالح العامة وفى توجيه الحياة الى سبيل سعادتها اللائقة ، كان يهدف الى الإصلاح العام ، الى قانون العدل الاجتماعي الشامل ، انه (ع) كان يخطط المناهج قبل عشرات القرون لتستفيد منها البشرية اليوم يوماً تعي فيه الأمة من سباتها العميق القديم ، وتعرف الامة ما اذا قام فيهم رجل إصلاح ونهض باعباء الأمر ، عنـــد ذلك تعرف الأمة مصيرها ومنهجها من غير حيرة او شك ، فتتبع مناهج الحكومة الاسلامية ، وتعرف نعوت وسمات المرشح لزعامة الأمة بوضوح .

الصمود في سبيل المبدأ رمز الموفقية :

هكذا قامت المبادىء والمذاهب على ساق ، ان ذلك بالصمود الذي أبداه أبناء العقيدة والذين يحملون تلك المبادىء ، سواء من اصحابها الذين جاؤوا بها ام من المعتنقين بها عن صدق وايمان.

ان كل مبدء ـ ديني أو غير ديني ـ لم يكن بادىء ذي بدء سوى نظرية مجردة ، حاول صاحبها التطبيق والتجربة والتنفيذ ، وانما تحققت

خارجياً بفضل الجهود التي بذلها هو وسائر المعتنقين والصمود الذي التزموا به في هذا السبيل .

هكذا قامت شرائع . وجاهد أنبياء الله . واستقام المؤمنون .

إن نبي الله موسى (ع) كان راعياً لفترة غير قصيرة ، ولما اختاره الله لمقابلة فرعون لم يكن يملك إلا نفسه وأخاه ، لكنه على أثر المثابرة والجهاد المتواصل وما ابداه من استعداد ونبوغ استطاع تحكيم رأيه على فرعون ، وفي النهاية إهلاكه واهلاك قومه وتخليص بني اسرائيل من الاستعباد المهين . أترى لو كانت عصا موسى (ع) بيدنا لكنا نستطيع القيام بما قام به موسى .؟! الامر بحاجة الى صمود جبار وجهاد متواصل وبذل جهود ، ومن ثم فهو من اختصاص امثال موسى من ذوي الهمم الراسخة والارادة الحديدية دون سائر الرجال . . .

لما بعث النبي (ص) وبدىء تبليغه لم يؤمن به سوى طفل لم يبلغ العشر - علي (ع) - وامرأة كبيرة السن - خديجة (ع) - لم يكن سواهما . . والكل يعلمون ان النبي (ص) منذ بعثته وفي اول أمره لم يكن يملك من يؤازره على هذا الأمر سوى هذين ، وكم واجه في دعوته الأذى من الخصوم ، وكم جابه الموانع والعراقيل التي كان الاعداء يخلقونها في سبيله ، لكنه (ص) - بفضل صموده واستقامته على الأمر - لم ييأس ولم يملك نفسه القنوط أبداً ، واستقام على رأيه ومبدئه بقدم راسخ وعزم ثابت وجرأة واقدام جبار . فاستطاع ان يسير بموكبه من

نقطة الصفر الى ذلك العدد الضخم الهائل ـ وقد انضمت اليه تحت لوائه المشرف اكثر من سبعمائة مليون إنسان .

انطلاق مذهب التشيع من نقطة الصفر :

كان انطلاق مذهب التشيع من نقطة اولى غرسها النبي صلى الله عليه واله وجعل اساس هذا المذهب عليها منذ اليوم الاول وواجه استهزاء القوم . حينما جمع عشيرته الاقربين وقال لهم : من آزرني على هذا الأمر يكون وصيي وخليفتي من بعدي فلم يجبه سوى علي بن أبي طالب ، ولم يبلغ الحلم ، لكنه بلغ مبلغه من قوة الادراك ، وكان يملك روحاً واسعة اوسع من هذا العالم الفسيح ، فقام ملبياً دعوة النبي (ص) ومن ثم قال بعضهم لابي طالب ـ مستهزءاً ـ : اصبحت تحت لواء ابنك ..!

وكذلك اليوم الذي عرض فيه النبي (ص) ولاية أمير المؤمنين على المسلمين بغدير خم يوم علت اصوات القوم : بخ بخ لك ياعلي بامرة المؤمنين ، فكانت بذرة النفاق والخلاف تنمو من ذلك اليوم الرهيب ، واستمرت ولا تزال . . .

فلو كان النبي (ص) يقصد بهذا الامر مجرد التصدي لبيان احكام شرعية لم يكن ليواجه تلك المخالفات والمعاكسات المقلقة نعم انه قصد الخلافة والحكومة على المسلمين فى نفوسهم واموالهم والأخذ بازمة امور المسلمين عامة ومن ثم تلك المعارضات . !

... وكذلك انتم اليوم اذا قبعتم في زوايا بيوتكم واقتصرتم على مجرد نشر مسائل شرعية وبيان احكام دينية عبادية ومن غير تدخل في شؤون البلاد السياسية لم يعارضكم أحد بل ربما اكرموكم غاية الاكرام والتبجيل ، نعم انما يعارضونكم اذا رأوا منكم تدخلات وميول سياسية ، ان امير المؤمنين لاقى مالاقى في سبيل تدخلاته السياسية واتجاهاته في توجيه الامة ، فكانت مغبة امره تلك الآلام والمصائب الفادحة . لكن الذي ترون اليوم من ٢٠٠ مليون شيعي في ارجاء المعمورة انما ذلك من آثار تلك المواقف المشرفة يوم ذاك :

المستعمر لا يستطيع عملا تجاه تصميم الامم :

هذه الجماعة من الناس التي بلغ عددها ٢٠٠ مليون انسان والتي تشكل امة كبيرة لو كان التفاهم الجماعي سائداً بينها لم تستطع اي قدرة ان تقابلها ، او اي دولة جائرة ان تتحكم في مقدراتها . لو كانت الامم واعية لموقفها وكيانها لم تستطع الدول الاستعمارية ان تتسلط عليها وتنفذ فيها مقاصدها الخبيثة .

لو اتحدت السبعمائة مليون مسلم في العالم وشكلت دولة اسلامية رهيبة لم يستطع الامريكان ان يتلاعبوا بمقدراتهم ، وتجلب زعماءهم ليلتمسوا منها الرحمة ويقترضوا منها الدولارات ، لو كان المسلمون يملكون أمرهم لم تستطع شرذمة يهودية بمساعدة

امريكا ان تشن الغارة عليهم وتسلب منهم اراضيهم وتهددهم بكل أسف مرير .

لكن مع الأسف قد فقد المسلمون رشدهم ووعيهم ، وتفرقوا في التفكير والتصميم ، بل لا يوجد بينهم مفكر ناصح ليفكر في علاج القضية النهائي ويشكل حكومة اسلامية حقيقية ليفضح سائر الحكومات والدول ويسقطها من عين الناظرين .

كلمات تمنح الحياة

لا ادرى ماذا أثرت كلماتي هذه الثقيلة على نفوس البعض ليعترضوا علي : إلى متى هذا الكلام ؟ لماذا لا تنهي بحثك في الموضوع انتقالا الى موضوع آخر ؟ !

الله يعلم : ان هذه كلمات أوجب من البحث ، انها كلمات تحيي نفوسكم ، وتغير من وضعكم الراهن المخزي . ان الدعايات الاجنبية هي التي بلغت بكم هذا المبلغ الهابط ، وهيأت لكم هذا الوضع المخزي . وعرفتكم الى الملأ العالمي شرذمة رجعية متزمتة تجمعت في النجف وقم ، ماشأنها والتدخل في سياسة البلاد ؟ ! ان السياسة بمعزل عن الدين . . ! !

يجب ان نعي الموقف وتنبض في عروقنا روح الاسلام ، ونعلن بمطالبنا الأساسية ونوعية الحكومة الاسلامية وتوضيح المناهج التي سار عليها زعماء الاسلام في الصدر الاول ، وماهي

الشرائط التي يجب ان يتوفر عليها رئيس الحكومة الاسلامية والتي يجب على زعمائنا اليوم اتباعها . كان المسجد دار أمارة ودكة قضاء (وزارة العدلية) وكانت حكومته تمتد الى ماوراء ايران ومصر والحجاز ، لكن مع الأسف عند ماجاء دور الطبقات المتأخرة غيرت من سلوك الدولة عن اسلاميتها الى قيصرية ومن بساطها الى تعقدات ملوكية وسلطنة جبارة جائرة .

اننا يجب علينا ان ننبه الملأ بواقعنا في الأمس واليوم ، ونبين جدارتنا بالحكم الاسلامي الصحيح ، وماذا نريده من حكومة عادلة وزعيم اسلامى عادل . ؟ !

يجب اعدام مهربى البلاط :

ان زعيمنا الاسلامى هو الذي يعامل أخاه عقيلا تلك المعاملة الغريبة في نوعها ، ويعاقب ابنته الكبرى على استعارة حاجة من بيت المال ، ويقول لها : لولا انها عارية مضمونة لكنت اول هاشمية قطعت يدها . . !

اننا نريد زعيما مثل هذا لا يفرق في حكمه بين فرد وآخر يرى أهل بيته وسائر الناس سواء في حكم القانون الالهى ، فاذا ما سرق ابنه يقطع يده ، واذا ما استورد اخوته المواد المخدرة (الهروئين) يعدمهم ، لا انه يعدم جماعة بحجة تهريبهم عشرة غرامات من هذه المواد ، اما بالنسبة الى اخوته فيفسح

المجال أمامهم فيما يفعلون من تهريب اطنان من هذه المواد .

إن راية الاسلام خفاقة :

وعلى أية حال فشبهة عدم الجدوى في نصب الامام الصادق (عليه السلام) الحكام والقضاة . جدّاً واهية ، انها ناجمة عن سوء الفهم لواقع الاسلام وعدم التدبر في حياة زعماء الاسلام وسيرتهم الطاهرة . ان الامام الصادق (ع) قام ذلك اليوم بتنظيم الخطط الرئيسية لحكومة اسلامية صحيحة ، وعين مناهجها واساليبها تمهيداً ليوم تعي فيه الامة وتدرك موقفها ومصالحها ، وليعلم المسلمون وسائر الأمم مناهج الحياة السعيدة ، وليتبعدوا عن اساليب الظلم والطغيان ، ولينهضوا في اقامة دولة اسلامية عادلة ، ولكن مع الأسف لا نجد اليوم من يعي هذا الأمر ، ويرفع راية الاسلام ، ويسعى وراء الخطة التي خططها الامام الصادق (ع) وليعلن الى الملأ مطاليب الاسلام ويعرفهم الواجب والمسؤولية الملقاة على عاتقهم . . !

سياسة الاسلام التكتيكية :

اكثر من خمسين حديثاً نجدها في الوسائل والمستدرك وردت بشأن الابتعاد عن معاونة السلاطين والدول الظالمة ،

«وحشو التراب في افواه مادحيهم» وان من أعانهم بقلم او بريق محبرة يكون كذا وكذا ... هذا من جهة . ومن جهة أخرى وردت احاديث كثيرة بمدح العلماء العدول وفضيلتهم على سائر الطبقات . . . ان ذلك خطة اسلامية حكيمة بين السلب والايجاب لتشكيل حكومة اسلامية ، ولينصرف الناس عن معاونة الظلمة فتنهدم بيوتهم ، وتنفتح ابواب العلماء في وجوههم ، لا لأجل بيان مسائل واحكام شرعية فقط . بل لغاية تأسيس حكومة عادلة اسلامية تؤمن على الناس حياتهم السعيدة الآمنة المطمئنة .

حكومة القانون أهم مظاهر المدنية :

ان الناس كلهم والمسلمين خاصة اذا كانوا يعيشون على خبز شعير ولكن في ظل حكومة العدل والقانون آمنين خير لهم من العيش في ظل القصور الشامخات ولكن مسلوبى الأمن والارتياح وفي قلق واضطراب . ان أهم شيء في الحياة هي الحرية والاختيار والامن والاطمئنان ، الامر الذي لا يكفله للبشرية سوى الحكم القائم على اساس العدل والقانون .

ان الامم في ظل القانون ـ القانون الالهى ـ يجدون الأمن والسلام ، ولا يخشون شيئاً سوى ما يرتكبونه من أعمال . ان الامام (ع) خطط لنا منهاج حكومة عادلة ، وليست وظيفتنا

سوى تطبيق الخطة وتنفيذ العمل بها ، وان لا ندفن زعماء الاسلام هنا (اشارة الى قاعة المحاضرة) بل نسعى بكل جهدنا في ايصال ذلك المنهج الرسالي الى مسامع الناس . أنني آمل ان يعرّف الاسلام بين الامم الكبرى في العالم ، ليفهم الناس مناهج الحكم الاسلامي ، وتتسرب الى الافكار موجة جديدة عن التفكير الاسلامي الصحيح ، وسوف تنتج هذه المحاولات فينهض باعباء الامر ذوحيوية نابضة في تحقيق هذه الخطة وتشكيل حكومة اسلامية فسيحة . إنه أمل الجميع ، والله من وراء القصد .

محاضرات فقهية حول

الحكومة الاسلامية
او ولاية الفقيه

الدرس: ١١ ـ ١٢

مطبعة الآداب

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يضم هذا الجزء ـ الخامس ـ المحاضرة الاحدى عشر والثانية عشر من محاضرات سماحة الامام المجاهد آية الله العظمى السيد روح الله الخميني دام ظله في مسألة الحكم الاسلامي او ولاية الفقيه التي القاها في النجف الاشرف على جمهور كبير من الفضلاء في سلسلة محاضراته الفقهية التي بدأها الامام الخميني في النجف الاشرف بعد ان أبعدته السلطات الايرانية عن مركزه في قم . نتيجة للمواقف الاسلامية الجريئة التي وقفها الامام الخميني من تصرفات « الشاه » وتحركاته التي كان يقوم بها بوحي من الاستعمار .

وهاتان المحاضرتان تتضمنان ـ كما في المحاضرات السابقة ـ الدعوة الى تكوين حكومة اسلامية في الوطن الاسلامي ينهج نهج الاسلام في الحكم ويسير على هدى الله وشريعته .

وقبل ان ندخل المباحث التي تتضمنها الرسالة لابد ان نشير الى نقطتين ذات اهمية بالغة في فهم مسألة الحكم الاسلامي وذات صلة وثيقة بالمسائل التي يبحث عنها الامام الخميني في هذه المحاضرات .

* * *

القضية الأولى :

ان مسألة الدعوة الى اقامة حكم اسلامي ، والعمل في هـذا المجال ليس امراً فوقياً وقليل الأهمية في الاسلام وانما هو أمر يتصل أعمق الاتصال بهذا الدين في جانبيه التشريعي والعقائدي .

فان التشريعات الاسلامية في شمولها لمسائل الحياة الاجتماعيـة والسياسية والاقتصادية والجزائية تتطلب في تطبيقها وجود حـكم اسلامي يمارس التطبيق حيث ان تطبيق كثير من هذه المسائل لايمكن ان يتم بجهود فردية ، وانما يتطلب وجود جهاز للحكم يعني بالأمر ويقوم باعبائه .

كما ان جانب العقائد أيضاً من هذا الدين مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمسألة الحكم الاسلامي . فان الامامة ، وهي ركن من أركان العقيدة الاسلامية ، امتداد للحكم الاسلامي الذي قام به النبي (ص) في الجزيرة العربية - في بعض جوانبها - فان الحكم الاسلامي يشكل جانباً من مهام الامامة ومسؤولياتهـا ، فالدعوة اذن الى تكوين حكومة اسلامية على وجه الارض ليست دعوة طارئة وغير ذات جذور في هذا الدين وانما هو شيء من صميم هذا الدين وجوهره

ولم يستقر بالنبي (ص) في مكة حتى اخـذ يعمل في اقامة حكم اسلامي يحكم مجتمعاً اسلامياً وينظمه ويحميه .

* * *

القضية الثانية :

التي تتصل ايضا بمباحث هذه المحاضرات هي مسألة شكل هذا الحكم وهيكله .

فان كثيراً من الناس يعجبه ان يضيف الى الحكم الاسلامي سمات وملامح براقة مما يضاف الى سائر اشكال الحكم ، حباً في هذا الدين أو سعياً في تمييعه والقضاء على اصالته واستقلاله .

ويجب ان نكون على حذر من هذه الاتجاهات جميعاً فان الحكم الاسلامي كيان قائم بالذات ، مستقل كل الاستقلال عن الكيانات السياسية والمذهبية الاخرى ، وليس هو في جوهره شيئاً من هذه المذاهب السياسية جميعاً وانما هو الاسلام الذي أرسله الله تعالى هدى ونوراً للعباد ، يختلف اختلافاً جوهرياً عن المناهج الوضعية التي يضعها هذا الانسان الهزيل في الحكم والحياة .

وقد يلتقي هذا الدين في شيء من مناهجه ، وفي طرف من أطرافه بهذا المذهب أو ذاك وبهذه المدرسة أو تلك لقاءاً عرضياً وفي الطريق ولكنه لا يعني ابداً ان الاسلام على وفاقه مع شيء من هذه المذاهب ولا يسمح بأن يضيف الى الحكم الاسلامي صفة أو اسماً غير الاسلام فان الاصالة والاستقلال من أهم ملامح الحكم الاسلامي وسماته فاذا افتقدنا هذه الاصالة والاستقلال فقد عملنا في تمييعه ، وليس شيء أخطر على الحكم الاسلامي من هذا التمييع

والتلاعب الذي يقوم به بعض في مفاهيم هذا الدين .

* * *

وأخيراً فلو تجاوزنا مرحلة المفاهيم وتحديدها فان تكوين حكومة اسلامية على وجه الارض لا يتم في عشية وضحاها وانما لابد له من عمل جاد متواصل ومن تخطيط ومن تفكير طويل وجهاد في سبيل الله وتحمل للمشاق .

والكلام وحده لا يثمر شيئاً اذا كان لا يشده العمل . والله تعالى نسأل ان يأخذ بيد العاملين ، ويشد ازرهم وينصرهم على اعدائهم من الظالمين ويحقق كلمته على ايديهم ، ويجعلهم أعزة وخلفاء على أرضه انه مجيب الدعاء سميع .

الناشر

المحاضرة : الاحدى عشر

الاربعاء : ٢٧ ذي القعدة ١٣٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

ولاية الفقيه العامة وان لم تتفق كلمة الفقهاء على اثباتها لكنها ليست بالتي لم يقل بها احد ان كثيراً من الفقهاء المتقدمين امثال العلامة النراقي . ومن المتأخرين الشيخ النائيني ذهبوا الى اثبات جميع شؤون النبي (ص) والائمة (ع) للفقهاء العدول .

غير انا اخذنا بالتفصيل في المسألة ليتضح مرادهم من هذا التعميم في ولاية الفقيه ، وماذا يكون المقصود من اثبات شؤون الامام (ع) للفقيه العادل ؟ .

مؤيدات البحث :

الاحاديث التي ننقلها الآن تصلح مؤيدات للموضوع ، ولو كان دليلنا منحصراً في احدى هذه الأحاديث لم نستطع اثبات مطلوبنا بذلك ، ولكن قد مضى التدليل على البحث بصورة وافية في احاديث مرت عليكم . كانت كافية في الاثبات سنداً ودلالة :

واليكم من الاحاديث المؤيدة :

صحيحة القداح :

« علي بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن حماد بن عيسى ، عن القداح (عبد الله بن ميمون) عن ابي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) : من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً الى الجنة ، وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاً به . وانه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر ، وان العلماء ورثة الانبياء ، ع » ان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم ، فمن اخذ منه اخذ بحظ وافراً » (١) .

رجال السند كلهم ثقات ، حتى ابراهيم بن هاشم والد علي ابن ابراهيم صاحب التفسير من اكابر الثقات المعتمدين وليس مجرد ثقة .

وقد روي الحديث مع اختلاف يسير في الفاظه – بسند آخر ضعيف بابي البختري الذي ينتهي اليه السند ، ولولاه لكان السند اليه صحيحاً.

---

(١) الكافي ج ١ باب ثواب العلم والمتعلم ص ٣٤ .

رواية ابي البختري :

« عن محمد بن يحيى ، عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن خالد عن ابى البختري عن ابي عبـــد الله عليه السلام قال : ان العلماء ورثة الانبياء وذاك ان الانبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وانمـــا اورثوا احاديث من احاديثهم ، فمن اخـــذ بشيء منها فقد اخذ حظاً وافرا فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ، فان فينا اهـــل البيت في كل خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » (١) .

التباس في كلام النراقي :

يبدو في عوائد النراقي التباس في تعبـــيره بـ « صحيحة ابي البختري » ولعلها اشتبهت بـ « صحيحة القداح » الآنفة ، وسبب الاشتباه هو اتحاد مضمون الروايتين ووجود عبارة « العلماء ورثة الانبياء » في كلتيهما فاشتبه احداهما بالاخرى عند الاستنساخ . اذ لا كلام في ضعف ابي البختري الذي قيـــل فيه : انه اكذب البرية .

---

(١) الكافي ج ١ باب باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء .

تحقيق الحديث :

المقصود من نقل هذا الحديث الذي تمسك به البراقي « ره » ايضاً هو : فهم معنى : « العلماء ورثة الانبياء » الذي جـاء في الحديث ، والبحث في ذلك من جهات :

١ ـ ما هو المراد من « العلماء » ومن هم ؟ هل هم علماء الامة ؟ ام الائمة (ع) ؟ . احتمل بعضهم ان يكون المراد هم الائمة (ع) لكن الظاهر أرادة علماء الامة على ما يشهد به نفس الحديث ؛ لأن الثناء اللائق بالائمة (ع) لا يشبه ما ورد في هذا الحديث مثلا « ان الانبياء (ع) قد خلفوا احاديث وسنناً فمن اخذ بها فقد اخذ بحظ وافر » لا يناسب شأن الائمة (ع) وانما هي جمل تشهد باختصاصها بعلماء الأمة .

وكذلك ورد في رواية أبي البختري ـ بعد جملة « العلماء ورثة الانبياء » ـ « فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه » ، حيث ان ظاهر الكلام توصية للعلماء الذين هم ورثة الانبياء ان يعيروا اهتمامهم في الناحية التي يتلقون علومهم منها ، كي يناسب مقامهم (وراثة الانبياء) اما لو قلنا بأن المراد : ان الأئمة ورثة الانبياء . وانه يجب على الناس كسب علومهم منهم ، فهذا خلاف ظاهر الكلام . ومن أمعن النظر في الاحاديث التي وردت في شأن الائمة عليهم السلام ووقف على منزلتهم في نظر النبي (ص) ليعرف جلياً ان الائمة (ع) غير

مقصودين من هذا الحديث . بل المقصودهم علماء الامة : كما وردت القاب مشابهة بشأن العلماء ـ علماء الامة ـ في قوله : « علماء امتي كسايرانبياء قبلي » و « علماء امتى كأنبياء بني اسرائيل » وما اشبهه

وعلى أية حال فظاهر الكلام يدل على ان المقصود من الحديث هم علماء الامة .

هل الوصف العنواني (الأنبياء) ملحوظ ؟

٢ ـ يمكن ان يقال : لا نستطيع استفادة ولاية الفقهاء من جملة « العلماء ورثة الانبياء » بمجردها ..! ذلك لان الانبيـاء من ناحية نبوتهم بمجردها لا يملكون الولاية على الناس : انهم من هذه الجهة امناء لتبليغ رسالة الله ووسطاء بين الخالق والمخلوقين في اداء الرسالة . الأمر الذي لا يستدعي بنفسه الولاية على الناس في شؤون حياتهم . نعم اذا ثبتت مهمة الأمامة والولاية فبدليل خاص لايرتبط وقضية نبوتهم . وهناك في أحاديثنا بيان الفرق بين الرسول والنبي ، حيث الأول مأمور بالتبليغ . أما الأخير فمجرد تلقي الوحي من الله . . كذلك فرق بين النبوة والولاية ، وبما أن الملحوظ في جملة « العلماء ورثة الانبياء » هو الوصف العنواني (الأنبياء) ـ بما هم انبياء ـ فقد نزل العلماء هذه المنزلة ، التي لا تقتضي بدورها ولاية الأمر على الناس .

وعليه فلايمكننا ان نأخذ من هذه الوراثة دليلا على ولاية الفقهاء

نعم لو كان التعبير : ان العلماء ورثة موسى وعيسى . . . لكان لنا ان نستفيد من عموم المنزلة ـ بمقتضى الوراثة ـ ان العلماء ورثوا هؤلاء جميع شؤونهم التي منها الولاية التي نعلم ثبوتها لهؤلاء الانبياء لكن التعبير حيث وقع وفق الجملة الآنفة الذكر فلا يمكننا الاستدلال بها على ولاية الفقيه .

المقياس في فهم الأحاديث هو العرف العام :

لابد لي ان أقول : ان المقياس في فهم الاحاديث وفهم ظواهر الالفاظ المتداولة هو المفهوم العام (العرف) لا التدقيق الفلسفي والتحقيق العلمي . ونحن ـ الفقهاء ـ يجب ان نتبع العرف العام في فهم معاني الأحاديث الصادرة عن الأئمة عليهم السلام . فاذا أدخل فقيه في استنباطه الأحكام وسائل الفلسفة الدقيقة وأدوات العلم الرقيقة وجد نفسه بعيداً عن الواقع بمراحل ، لأن الفاظ الأحاديث المروية عن أئمة الدين (ع) تقوم على الكلمات المتداولة بين الناس ومُفرَغة على اساليبهم الكلامية في محاوراتهم العادية . فخير وسيلة وأداة لفهم معانى ومعاريض الكلام هو اللجوء خلف المنظار العام الذي يتداوله أوساط الناس ، دون المجهر الذي يستعمله العلماء في مختبراتهم الخاصة إننا مع العلوم اللغوية المتعارفة دون الافكار العقلية العميقة ..!

ومهما يكن من امر فاذا عرضنا جملة : « العلماء ورثة الانبياء » على العرف العام ، فماذا يفهمونه من معنى ؟ هل يفهمون مدخلية

الوصف العنواني (الأنبياء) في التشبيه ؟ ام لا يزيد معناها عندهم عما لو ابدلناها بقولنا : العلماء كموسى وعيسى ونوح عليهم السلام؟ انهم لا يفرقون بين العبارتين في تنزيل العلماء منزلة اشخاص الأنبياء وثبوت امتيازاتهم لهم كافة . مما يمس جوانب ولايتهم الخاصة

فلو نتسائل الناس : هل العلماء بمنزلة موسى وعيسى؟ فيقولون نعم ، وفق هذه الروايـــة ! او نتسائلهم : هل الفقهاء ورثـــة رسول الله (ص) ؟ يقولون : نعم ، لأنه (ص) من الأنبياء . !

وعليه فلا يمكننا ان نأخذ « الأنبياء » وصفاً عنوانياً ، ولاسيما وهو بلفظ الجمع . فلو كان مفرداً كان له وجه ، غير ان لفظ الجمع هنا - يعني - عموم افراد الأنبياء ، فليس المراد : انهم بمنزلة النبي دون الرسول ودون الولي ، ليكون الوصف العنواني مخصصاً للتشبيه . ان هذه التدقيقات في ناحية فهم الاحاديث تخالف طريقة العقلاء في فهم مداليل الكلام المتعارف .

شؤون الأنبياء ثابتة للعلماء :

٣ – ولو فرضنا ان التشبيه ناظر الى الوصف العنواني ، وان العلماء بمنزلة الأنبياء - بما هم انبياء - لكن يجب ان نلحظ بمقتضى هذا التشبيه ان كل حكم وشأن قرره الله للانبياء فهو ثابت للعلماء ، نظير ما اذا قيل : فلان بمنزلة العادل . ثم قيـــل : يجب اكرام العادل فيفهم من ذلك التنزيل وهذا الحكم : ان فلاناً واجب الاكرام

وعليه فيمكننا ان نستفيد من الآية الكريمة « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم » ثبوت الولاية العامة للفقهاء ، حيث أن المراد من الاولوية في الآية الكريمة الولاية والامارة ، كما يذكر الطريحي - في مجمع البحرين - حديثاً بهذا الصدد عن الامام الباقر عليه السلام يقول : « انها نزلت في الإمرة يعني الامارة » .

فاذا كان النبي أميراً على المؤمنين وولي أمرهم كذلك يكون الفقيه الجامع للشرائط ولي امرهم وأميرهم ، حيث الحكم جاء في الآية مترتباً على الوصف العنواني . والتنزيل في الرواية ناظر الى الوصف العنواني ايضاً .

على أن باستطاعتنا الاستدلال - لموضوع بحثنا - بآيات تثبت أحكاماً للرسول (ص) كآية « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم » بأن نقول : لا فرق في نظر الناس بين الرسول والنبي - وان كان بعض الروايات تفرق بينهما في كيفية تلقي الوحي - غير انهما في نظر العقلاء بمعنى واحد . فالنبي في نظرهم : من ينبىء عن الله . والرسول : من يبلغ الى الناس رسالة الله .

هل تورث المناصب ؟

يمكن أن يقال : ان الأحكام الشرعية التي خلفها النبي (ص) ورثها العلماء من النبي (ص) - وان لم يكن ذلك ميراثاً حسب المصطلح - اما منصب الولاية الذي كان للنبي (ص) على كافة

الناس فلعله خارج عن شمول هذا الإرث ومن المحتمل : اختصاص الإرث بالاحكام والشرائع كما جاء في حديث ابي البختري « انما اورثوا احاديث من احاديثهم ».

هذا الاشكال غير صحيح . لأن الولاية والامارة من الأمور الاعتبارية العقلائية ، فلابد فيها من مراجعة العقلاء ، وهل يعتبرون انتقال ذلك من شخص الى شخص ميراثاً أم لا ؟ فلو نتسائل العقلاء من ذا يكون وارث الملك ؟ فهل يكون الجواب ان التاج والعرش لا يقبلان الميراث . ام يكون الجواب ان وارثها فلان . فهذه الجملة « وارث التاج والعرش » كلام مشهور متداول بين الناس ، فلاشك ان امر الولاية ايضاً مما يشمله قانون الميراث . وقابل للانتقال . بل لو نظر أحد الى آية : « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم » وقارنها مع الحديث « العلماء ورثة الأنبياء » ليعرف أن المراد هي الأمور الاعتبارية التي يراها العقلاء قابلة الانتقال .

فلو كانت هذه العبارة « العلماء ورثة الانبياء » واردة بشأن الأئمة (ع) ، كما ورد في الحديث .

انهم ورثة رسول الله (ص) لم يكن شك في شمولها لجميع شؤون النبي (ص) وميراثهم لكلما كان للنبي من شأن . ولم يكن المراد مقتصراً على العلوم والمسائل الشرعية .

وعليه فلو كنا لا نملك سوى عبارة « العلماء ورثة الانبياء » مع غض النظر عن صدرها وذيلها ، كان الملحوظ في نظرنا هو لستفادة اثبات جميع مراتب النبي للفقيه ، وان ولايتهم على الناس

تنتقل الى العلماء كما انتقلت الى الأئمة ، نعم عدا القضايا التي ثبت من الخارج اختصاصها بالنبي أو بالامام المعصوم . فان هذا المقدار المعلوم مستثنى من العموم . وبقى الباقي تحت العام . .

المراد من ميراث الأنبياء :

عمدة الاعتراض هنا : ان جملة « العلماء ورثة الانبياء » وقعت بين جملات تصلح قرينة لصرفها الى ارادة الاحاديث :

ففي صحيحة القداح : « ان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ولكن ورثوا العلم » . وفي حديث أبي البختري بعد جملة : « لم يورثوا درهما ولا ديناراً يقول : « وانما أورثوا احاديث من احاديثهم » . فهذه قرينة على ان « الاحاديث » هي الميراث . ولاسيما وكلمة الحصر « انما » في اول الجملة .

وهذا الاعتراض ايضاً لا يتم ، لأنه لو كان المراد ان النبي لم يخلف شيئاً سوى الاحاديث ، ولم يترك شيئاً يُورث منه ، فهذا خلاف مذهبنا . اذ ان النبي ترك أشياء كثيرة قابلة للميراث ، ولا شك ان النبي كانت له ولاية عامة على الامة . وانتقلت بعده الى امير المؤمنين (ع) ثم الى الائمة واحداً بعد واحد .

وكلمة « انما » هنا ليست للحصر قطعاً . على ان في دلالة انما على الحصر كلاماً فانه غير ثابت . بالاضافة الى ان هذه الكلمة ليست موجودة في صحيحة القداح وانما جاءت في رواية ابي البختري

التي هي ضعيفة السند ولنقرأ الآن عبارات الصحيحة ، هل تصلح جملاتها قرينة على اختصاص ميراث الأنبياء بالاحاديث ؟

الثناء على العلماء :

« . . . من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً الى الجنة . . . » في هذه الجملة ثنـــاء على العلماء ـ ولا يتوهم شموله لكل عالم . وعلى أي نحو كان ، اذا راجعنا الاحاديث الواردة في الكافي بشأن العلماء والتعريف بهم وما أخذ الله عليهم من ميثاق يتضح ان الأمر لا يتم بمجرد تناول دروس وتداول مباحث ، فيصبح الانسان وارث الأنبياء العظام ، بل ان الأمر أصعب خطورة اذا ما واجه الانسان تلكم الوظائف المقررة للعلماء .

« . . . وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به . . . » ان اهل الفضل والأدب ليعرفون المقصود من وضـــع الاجنحة ، وليس بحثنا الآن في ذلك وان هذا العمل احترام أو خفض جناح وتواضع .

« . . . وانه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الارض حتى الحوت في البحر . . . » هذه العبارة تحتاج الى شرح مسهب ، خارج عن نطاق بحثنا الآن .

« . . . وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر . . . » معنى هذه العبارة واضح .

« . . . وان العلماء ورثة الانبياء » . من اول الحديث الى هنا كان ثناءاً بالغاً على العلماء ، وتعريفاً بشأنهم الرفيع . وتوصيفاً بجميل الثناء عليهم . وبيان فضائلهم التي منهـــا : كونهم ورثة الأنبياء . ولا تكون هذه الوراثة فضيلة ما لم تشمل ولاية الأمر ايضا ، ليكونوا ـ كالانبياء ـ ولاة الناس ، تجب طاعتهم عليهم .

وأما ما في آخر الحديث من : « ان الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً . . . » فليس معناه : ان الانبياء لايتركون شيئاً سوى العلم والحكمة . بل هي كناية عن انهم ممن اخلصوا مساعيهم لله وليسوا بماديين . كي تكون مساعيهم وراء زخارف ومتع دنيوية . !

ان منهج الحياة الذي يسير عليه النبي الاكرم (ص) في غاية البساطة ، ولا يتخذ من مقامه الاجتماعي وسيلة لجمع الاموال ، فلا يملك شيئاً من مال الدنيا كي يتركه بعده ، وانما يترك علما وحكمة زاخرة : أشرف الاشياء وافضلها . ولعل ذكر العلم جاء في هذا الحديث خصيصاً لذلك .

وعليه فلا يمكن القول ـ نظراً الى اختصاص ذكر العلم دون المال في هذا الحديث ـ : ان الوراثة تخص شؤون العلم والحكمة لا شيء سواهما .

وجاء في ذيل بعض هذه الأحاديث : « ما تركناه صدقة » . وهـــذا ليس من نص الحديث وانما زيدت هذه الجملة لأهداف سياسية ، حيث جاء ذكر الحديث في فقه العامة ايضا .

ويمكن القول هنا : انه على احتمال قرينية هذه الجملة لايمكن

التمسك باطلاق جملة « العلماء ورثة الأنبياء » ليكون كل ما للانبياء ثابتاً للعلماء . . لكن هذه القرائن لا تصلح لتعيين هذه الجملة لارادة مجرد توريث العلم والحكمة فقط ، لتقع المعارضة بين هذا الحديث والاحاديث التي مرت آنفاً . والتي كانت صريحة في مقصودنا ، فتنهدم دلالات تلك الاحاديث باجمال هذا الحديث . . لا .. ابداً لا يمكن استفادة ذلك من هذا الحديث . . !

اثبات ولاية الفقيه عن طريق النص :

لو قيل ـ جدلا ـ : انه لا يستفاد من هذا الحديث سوى توريث الأنبياء علومهم للعلماء ، لاشيء سواها . . وان أمر الخلافة والولاية غير قابل للارث . . . لكن لو كان رسول الله (ص) يقول : « علي وارثي » هلاّ كنا نستفيد من كلامه هذا ان علياً (ع) خليفته ، فنقول : إننا نثبت خلافة امير المؤمنين والائمة (ع) من بعده بالنص ، وان رسول الله (ص) هو الذي نص عليهم . ونصبهم ولاة امر للناس . وان طاعته واجبة على كل مسلم . اذن فلنقل مثل هذا الكلام في شأن الفقهاء ، لأنهم وفق الرواية الآنفة ـ منصوبون خلفاء للرسول وبهذا الاسلوب نجمع بين هذا الحديث وسائر الأحاديث.

الفقه الرضوي :

في عوائد النراقي ـ نقلاً عن الفقـــه الرضوي ـ : « منزلة الفقيه في هذا الوقت كمنزلة الأنبياء في بني اسرائيل » .

لا نستطيع القول بان الاحاديث الواردة في كتاب الفقـــه الرضوي صادرة عن الامام عليه السلام لكننا نتمسك بها كمؤيد لأدلتنا .

وليعلم ان ليس المراد من « الانبياء في بني اسرائيل » العلماء الذين عاصروا نبي الله موسى (ع) ، وصح اطلاق الأنبياء عليهم لمناسبة ظاهرة . وذلك لأنهم كانوا اتباع النبي الحاضر ، ويمتثلون أوامره وتبليغ دعوته ، فربما كان ينصبهم ولاة على أقوام ـ ومعرفتنـــا بشأنهم جداً ضئيل ـ لكن من المعلوم ان نبي الله موسى هو من انبياء بني اسرائيل . وكان له ما كان لنبينا مع الغض عن اختلاف الدرجة . وعليه فنستفيد من عموم المنزلة في الحديث : ان الفقهاء يملكون جميع الشؤون التي كان يملكها موسى (ع) ، فهم حكام وولاة امر الناس ، كموسى (ع) .

مؤيدات أخر :

جاء في جامع الأخبار حديث عن النبي (ص) انه قال : « افتخر يوم القيامة بعلماء أمتي . وعلماء أمتي كسائر الأنبياء قبلي »

هذا ايضاً من مؤيدات بحثنا .

في المستدرك ينقل حديثاً من الغرر : « العلماء حكام على الناس» وجاء « حكماء على الناس » أيضاً . لكنه ـ حسب الظاهر ـ غير صحيح . يقولون ان لفظ الغرر على الأول .

وهذا الحديث لو صح سنده كانت دلالته واضحة . وهو من مؤيدات بحثنا . وتوجد روايات أخر تصلح مؤيدات يمكننا ذكرها لذلك .

مع كثرة الاحاديث الواردة بشأن العلماء . وفضلهم على الناس ، ومع الالتفات الى قانون ضرورة الدولة ـ عقلا وشرعاً ـ في تنظيم شؤون المجتمع دون الفوضوية . وحفظ ثغور البلاد وجمع الغنائم وتوزيعها . وصرف بيت المال في شؤون الأمة ، واجراء الحدود. وتنفيذ القوانين الاسلامية . الامر الذي لا يتحقق من دون تشكيل حكومة اسلامية . وبشرط ان يكون الحاكم الزعيم عادلا أميناً عالماً بالقوانين ودستور الحكومة والزعامة العامة . وقد كان اعتراض علمائنا منذ البدء على اوضاع زمانهم منبعثاً عن هذه النقطة بالذات حيث وضعوا الخلافة التي هي زعامة اسلامية عامة في غير محلها اللائق ، والى من لم يكن له صلاحية الحكم والزعامة ، فلم يكن جواب خصومنا : « ما هي العلاقة بين الجهل بالاحكام وقضية الزعامة .. ؟ »

والخلاصة . . . انه مع ملاحظة عابرة لهذا الذي ذكرنا يتضح وجوب توفر شرائط « العلم والامانة والمعرفة بقوانين الاسلام»

في شخص الزعيم الاسلامي ، وليست السياحة الى ارجاء البلاد الاروبية شرطاً اساسياً للزعامة ولا التخصص في فروع مختلف العلوم شرط ذلك .

الفقيه الجاهل بالاحوال العامة لا يصلح للمرجعية :

وقولنا يجب ان يكون الزعيم الاسلامي فقيهاً لا يعني ذلك ان الفقيه الجاهل بالاحوال والاوضاع العامة القابع في زاويـــة المدرسة والذي لا يعرف من الحياة العامة شيئاً يصلح للزعامة ويتمكن من ادارة شؤونها المشتبكة او ان يذهب بنفسه الى ساحة القتال او يحفظ الحدود والثغور . . . لا . ليس المقصود ذلك . . !

انما الكلام في اننا اذا اعترفنا بان الاسلام اوكل زعامة الامة الى علمائها وفقهائها العدول وان هذه الطائفة لهم حق بالحياة في الاوساط الاجتماعية ولهم ان يقيموا حكومة اسلامية ، فلابد من التفكير في شؤون هذا التشكيل الضروري ، وتمهيد اسبابه ووسائله ولاسيما اذا كانت الزعامة الاسلامية امراً جماعياً قبل ان يكون فردياً انها على عاتق الفقهاء بما هم فقهاء أن يجتمعوا ويتشاوروا في الأمر وليفكروا في حل المشكلة الاسلامية الخطيرة التي تمس واقع الحياة العامة ، والتي لم يهملها الاسلام يقيناً .

فاذا استقرت انظارهم الى الاستيلاء على السلطة فليفعلوا أو

يوكلوا الى افراد صالحين ـ وان لم يكونوا فقهاء ـ لينصبوهم حكاماً من قبلهم .

ان الزعماء الذين يديرون شؤون الأمم والبلاد ، ليست زعامتهم بالتي تثقل كاهلهم هم ، وانما لهم شركاء ومشاورون ، ولهم الرئاسة العليا ، وهكذا الزعامة الاسلامية في ظروف غيبة الامام المعصوم عليه السلام وعجل الله فرجه .

دعايات الاستعمار للسيئة عبر قرون :

نحن قابعون في عقورنا نتبادل الكلام عن عجزنا بالقيام بأي عمل ايجابي ، ما لنا وهذه الأمور ؟ ! ان مسؤوليتنا لاتتجاوز عدد الاستغفار وتلاوة الأدعية ، وبيان مسائل شرعية للناس فحسب .

انها وامثالها أفكار رجعية اختلقتها يد الاستعمار ، واجتهدت في تسربها وانفاذها الى اعماق قلوبنا وتفكيرنا : سواء في النجف أم في قم أم في خراسان . وسائر الحوزات العلمية . فكانت المثبطة لعزمنا والمعوقة لتصميمنا ، الدافعة بنفوسنا للخمول والانهيـــار ، وأصبحنا لانسترشد الى مصالحنا ، ونتلمس المعاذير ـ بصورة دائمة ـ دون القيام بالعمل غير المستطاع ! . !

تلك فكرة خاطئة .! فان هؤلاء الافراد القلائل الذين يتزعمون الامم والبلاد لا يملكون من مواهب واستعدادات خارقة نعوزها نحن ..؟! من منهم يفوق ـ بفكرته وإمكانياته ـ سائر افراد الناس،

المتوسطين ..؟! ولعل الاكثرية منهم لايحمل شهادة دراسية أصلا .. متى وفي اي جامعة درس الزعيم النجدي . أم في اي مدرسية اكمل تحصيلاته الزعيم الايراني الاسبق (رضا خان) المعروف بالأمي المحض . . ! ولم يكن سوى جندي بسيط لايحمل اي شهادة . وفي عهد الحضارة الاسلامية كان مثل هارون الرشيد يدير شؤون مملكة واسعة الأطراف عظيمة ، في حين انه لم يشاهد ربوع أوربا طول حياته ، ولم يحصل على شهادة من جامعاتها .

نعم ان الملاك في صلاحية الزعيم الاسلامي هو الفقه وبسط العدالة بين الناس . والفقيه الجامع الذي تتوفر فيه شروط الزعامة هو الذي يقوم بهذه المهمة .

لا يتغلب عليكم اليأس والخمول ان الشعوب معكم :

اتركوا الخمول ، وواصلوا دعوتكم الى الاسلام ، واعملوا كما يريده الاسلام ، وعرّفوه الى الملأ ، واجمعوا رأيكم في تكوين حكومة إسلامية ، فمن جدّ وجد . ومن سعى بلغ . ولا يذهب بكم الوهم الى تصور عجزكم عن القيام بادارة شؤون الحياة العامة ، فان كانت الدولة بحاجـــة الى مال ورصيد واف ، فان الاسلام قد هيأه لكم ـ بحمد الله ـ سواء من ناحية أسس الادارة ام من سائر النواحي فانتم في غني بعـــد ذلك من عناء وضع القوانين أو استيرادها من

الاجنبي ، ان كل شيء في متناول ايديكم . وان الامة تساندكم وتتابع خطواتكم الحكمية في الحياة . غير اني لاأستطيع القيام بسيف أبي عبيدة وان الأمر بحاجة الى مثل أبي عبيدة ليأخذ سيفه البتار ويعمل ذلك العمل الجبار . اما نحن في حالة من الكسالة والخمول بحيث يعجز القلم عن وصفه ، ومن ثم لا نحرك قدماً في عمل .

دعايات أجنبية سامة :

على اثر ما همس الاجنبي وعملاؤه في أذاننا : « ما شأنك وهذا » . « ما أنت والتدخل فيما لا يعنيك » . « ليكن اهتمامك فيما يمسك من درس وبحث دون هذه الأعمال ... » . « انهاخارجة عن ميسوركم » . . وما الى ذلك من ايماءات جهنمية خبيثة . . . نزلنا عند رغبـــات هؤلاء ، واعترافنا بصدق إيحاءاتهم الكاذبة بحيث لا استطيع انا حالياً من ابعاد هذه التصورات الخادعة عن نفوس البعض ، وأقول له : انك جدير بزعامة البشرية ، كامثال غيرك ، انك حقيق بادارة شؤون البلاد ، فماذا الذي ينقصك عن الآخرين الذين تصدوا لادارة شؤون العباد والبلاد .؟!

وهل يعوزك عنهم سوى اصطياف هؤلاء في ربوع أوربا .؟! أو تعلمهم هناك بعض المبادىء غير الصالحة .؟!

الفقهاء لايعارضون معارف العصر :

لا نقول بترك الدراسة ، ولانعارض في تلقي المعارف والعلوم فليذهب الانسان الى القمر . ولتصنع القنابل الهيدروجينية ، اننا لانخالفهم في شيء سوى الايعاز اليهم بأن لهم في كل هذه المراحل وظائف انسانية واسلامية يجب عليهم مراعاتها . . !

تحدثوا الى الناس عن واقع الاسلام . وبرنامجه الاداري العام ابلغوا ذلك الى العالم ، لعل من يتنبه - الى ما يكمن وراءه من مصالح وسعادة - من رؤساء جمهورية او ملوك وزعماء ، فاذا عرفوا الحق لابد أن يتبعوه .

مع سبعمائة مليون تابع لا نملك حكومة :

ان الامة المسلمة في الوقت الحاضر ليزيد عددهم على سبعمائة مليون نسمة ، ومن هذا العدد مائة وسبعون مليون شيعة ، انهم جميعاً أتباعنا ، يسيرون تحت قيادتنا ، لكنا بتأثير من الكسل والخمول لا نستطيع اقامة حكومة أمينة للناس . يثقون بها ويعتمدون عليها في مصير حياتهم . اننا بحاجة الى حاكم أمين ترتاح له الأمة في ظل حكمه العادل ، وتنشط حياتهم تحت رعايته المخلصة .

انها مطالب يجب التفكير حولها تفكيراً متواصلا لا سأم فيه

ولا قنوط . فلا يظهر أحدكم ضعفاً فيستطرقه العدو . اذ ليست المواهب والكفاءات بالتي تعوزكم انتم دون اولئك ، نعم اذا كانت المظالم وقتل النفوس البريئة من الجرأة والبسالة فاننا نعوزها لا محالة .

هل السياسة مكر وخبث :

ان ذلك الرجل (موظف ايراني) عندما قابلني في السجن - كنت انا والسيد القمي - سلمه الله - قال : ان السياسة عبارة عن الخبث والكذب واللؤم والخيانة . . . والخلاصة انها مجموعة من الأعمال الجهنمية ، فاتركوها لنا . . ! وكان صادقاً . اذا كانت السياسة بتلك المعاني التي فسرها ، فهي من اختصاصهم هم.

ان السياسة التي في الاسلام ، والتي عرفها المسلمون ، وسار عليها الائمة (ع) حيث هم ساسة العباد ، لتختلف عن ذلك التفسير الذي قاله الرجل . انه كان يحاول خداعنا ، فقد ذهب ليتوه لينشر في الجرائد : « قد حصل التفاهم مع رجال الدين على ان لا يتدخلوا في السياسة » ومن ثم - وبعد خروجنا من السجن - أعلنت بالملأ العام ، وقلت : أن الرجل قد كذب وافترى .

خطة خبراء اجانب :

انهم منذ بدء الأمر أخذوا يركزون في أذهانكم تفسير السياسة

بالكذب والخداع وما اشبه ليصرفوكم عن اي تدخل في سياستهم البلاد ، فيستريحوا هم الى اعمالهم الجهنمية ، ويتركوكم وتلاوة الأدعية والاذكار والترنم بقولة : « خالد الله ملكه » .

ان عملاء الاستعمار لا يملكون مثل هذه التدابير الخبيثة ، وانما هو امر يأتي من الأسياد ، ومن خبراء الأستعمار ، انهم خططوا لتنفيذ مناهجهم الاستعمارية منذ ثلاثة قرون ، ودرسوا احوال البلاد بامعان ، ومن ثم أخذوا في الزحف المتواصل عن تدبير سابق .

علم المستعمر باحوال بلادنا :

كنت في همدان عندما أتاني أحد الطلبة الافاضل - وكان قد خرج عن اللباس ولم يخرج عن السلوك - بخريطة رسم فيها جميع منابع ثروة البلاد بعلائم نقط حمر . كان يقول : انها ترمز الى منابع ثروة طبيعية للبلاد ، كشفها الأجنبي . . !

ان خبراء الاجانب درسوا احوال بلادنا ووقفوا على منابع ثرواتنا الطبيعية من معادن ذهب ونحاس ونفط و . . . ودرسوا نفسيات الاشخاص ، ومن ثم عرفوا ان لا مانع في طريقهم الى غزو البلاد سوى الوعي الاسلامي الذي يعتنقه ابناء البلاد ورجال الدين الذين هم مراكز انطلاقة اثارة العقائد في نفوس العامة .

انهم رأوا - بأعينهم - قدرة الاسلام ، وكيف استولى على اوربا ، وعرفوا ان الاسلام بواقعه يخالف كل تشكيلة استعمارية . كما لمسوا ان رجال الدين الحقيقيين لا يتنازلون لرغباتهم ولا ينفعهم اي تطميع . فلم يمكنهم الاستحواذ على عواطفهم او التأثير في افكارهم .

ومن ثم كرسوا جهودهم منذ البدء في ازالة هذه العقبة ، فكان من خطتهم الاستهانة بعظمة الاسلام ، وحصره في أطار عدة مسائل شرعية عبادية . اما العلماء الذين هم يقودون المسلمين فابعدوهم عن سياسة البلاد ببث تلك الأفكار المسمومة .

اما بتهمة او بطرق اخرى ولا اقل من اقصائهم عن صميم المجتمع ومن ثم يعتزلون الناس وتنقدح في اذهانهم تصورات انعزالية ليقولوا هم : اننا بمعزل عن شؤون المجتمع سوى ما يمس جوانبه العبادية فحسب ، فهم يراكبون مسيرة الاستعمار لا شعورياً . ويؤيدون خطته عن غفلة وانذهال ، قالوا : بفصل الدين عن السياسة وانه ليس لعلماء الدين حق التدخل في الامور السياسية ، فصدقناهم عملياً فكانت النتيجة وخيمة وبيلة كما اصابتنا اليوم . انه أمل المستعمر وضالته المنشودة اصابها قرير العين .

المتقدسون الظاهريون هم الذين قبضوا على ايدينا :

اليكم هذه القصة : اجتمع المرحوم السيد البروجردي والمرحوم السيد الحجة والمرحوم السيد الصدر والمرحرم السيد الخوانساري « رضوان الله تعالى عليهم » يوماً في دارنا للتفاوض حول قضية سياسية . فعرضت عليهم انه من الواجب قبل كل شيء تعيين مصير هؤلاء المتقدسين الظاهريين لان في حالة وجودهم وتصرفاتهم تكونون انتم بمثابة من حمل عليه العدو ثم جاء آخر وقبض على يديه فسلبه وسائل الدفاع رأساً . . !

ان هؤلاء المتظاهرين بالتقدس ـ لا الواقعيين ـ لا يعرفون شيئاً من مصالح العامة ، ولا يميزون بين المفسدة والمصلحة ، انهم لا يهمهم سوى القبض على ايديكم دون اي عمل ايجابي ، فلو حاولتم عملا ؛ او العمل لاقامة حكومة اسلامية « اقامة مجلس للنظر في شؤون العامة والحيلولة دون الرواسب الاجتماعية » فعند ذلك يأتي دور المتقدسين ليكرسوا جهودهم في اسقاطكم عن اعين الناس . فلابد قبل كل شيء من تفكير في امر هؤلاء .

وقد هبط اليوم مستوى الوعي الاسلامي في نفوس ابناء الامة الى درجة أخذ المتقدسون يتحكمون في مقدرات المسلمين ويخلقون عقبات في طريق التقدم الاسلامي ، فيضرون بالاسلام باسم الاسلام.

اعمال معاكسة يقوم بها علماء دين مزيفون :

وتسربت - مع الاسف - هذه النفسية المرائية في اوساطنا العلمية الدينية فاذا ما دعاهم احد ليكونوا احياء ويتحرروا من كابوس الاستعباد ومن الرضوخ تحت لواء الاجنبي ، والحد من اعمال الاستعمارية ومخططاته في امتنا ، وقطع ايدي اسرائيل العاملة في شل قوى المسلمين وما الى ذلك . . . تراهم يسعون للمخالفة والمعاكسة بشتى اساليبها .

اننا لانصل الى مستوى اسرائيل الحضاري وما يملكه من شعور ووعي انهم يعملون في ضرب المسلمين ويقتلون ويسلبون ومن ورائهم الامريكان يساعدونهم اما نحن فهاهنا قاعدون نتفرج الاوضاع الوخيمة .

فالى الوعي ايتها الحوزات العلمية :

يجب عليكم التفكير في العلاج الحاسم . ان هذه المباحث المجردة لا تغني بعلاج الامر ، ففي ظروف يعمل العدو في هدم الاسلام وتقويض معالمه من الوجود لا يجدر بكم السكوت كما سكتت النصارى واشتغلوا بالبحث عن التثليث وروح القدس فسقطت الكنيسة وضاعت البلاد وخرجت من ايديهم .

ياعلماء الاسلام . ايتها الحوزات العلمية والمعاهد الثقافية الاسلامية تيقظوا ، واعيروا اهتمامكم لهذه المسائل ، التي هي مسائل اليوم ، واعملوا في بث الوعي العام في نفوس المسلمين ، فلا ترضوا بالخمول والكسل والاهمال .

انكم - في خضم هذه الأوضاع الراهنة ، وعلى هذا الكسل السائد - يسركم ان تفترش الملائكة اجنحتها تحت اقدامكم اكراماً وتبجيلا ؟ بماذا تستحقون هذا الاكرام السماوي ؟! أبتقاعسكم . ام بخمولكم المخزي . ام باهمالكم في الامور ؟!

ان الملائكة تفرش اجنحتها تحت اقدام مثل أمير المؤمنين (ع) الرجل الذي نصر الاسلام ، ورفع من شأن الاسلام . وعرف الاسلام به في أرجاء الأرض . اذا ماتسنم الزعامة مثل امير المؤمنين (ع) فعند ذلك يستأنف المجتمع حياته السعيدة من جديد ويواصل سيره في هناء ورفاه وسعادة وفي حرية وأمن وسلام ، ومع عزة .

ان الملائكة تخضع لمثل امير المؤمنين (ع) . المجتمع يخضعون لمقامه الشامخ حتى ان الاعداء يعترفون بعزه التايد وعظمته الفائقة لكن مثلي ومثلك ممن لا يعرف لنفسه مسؤولية سوى بيان المسائل العبادية الشرعية لا يكون ممن يستحق خضوع الملائكة .

وفي الختام لابد لي القول : لو بقيتم على هذا الوضع الراهن من الكسل والخمول فسوف ينفيكم العدو عن آخركم ، اللهم إلا اذا استيقظتم من سباتكم ، وصححتم خطتكم ، وضحيتم بأنفسكم دون

الاسلام وفي سبيل هذه المعاهد العلمية والحوزات الدينية . التي هي مراكز بث الوعي الاسلامي في الارجاء المعمورة .

فانتبهوا يا ابناء الاسلام وقوموا من نومتكم يا كرام .

المحاضرة الثانية عشرة

الأحد ـ غرة ذي الحجة ـ ١٣٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

أزمة الأمور موكولة إلى العلماء :

من الأحاديث التي تصلح دليلا أو تأييداً في بحثنا الحاضر حديث تحف العقول : «مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء» (١)

(١) اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الاحبار إذ يقول : « لو لا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الأثم » وقال : « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل ـ إلى قوله ـ لبئس ما كانوا يفعلون » وانما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون والله يقول : « فلا تخشوا الناس واخشوني » وقال: « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة

منه ، لعلمه بأنها إذا أديت واقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها وذلك ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الاسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفيىء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها .

ثم أنتم أيتها العصابة ، عصابة بالعلم مشهورة ، وبالخير مذكورة ، وبالنصيحة معروفة ، وبالله في أنفس الناس مهابة ، يهابكم الشريف ،ويكرمكم الضعيف، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده ، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلابها ، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك [بهيئة الملوك] وكرامة الأكابر أليس كل ذلك انما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله ؟ وان كنتم عن أكثر حقه تقصرون ، فاستخففتم بحق الأئمة ، فاما حق الضعفاء فضيعتم، وأما حقكم بزعمكم فطلبتم. فلا مالاً بذلتموه ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها . ولا عشيرة عاديتموه في ذات الله

انتم تتمنون على الله الجنة ومجاورة رسله وامانا من عذابه لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحل بكم نقمة من نقماته . لانكم بلغتم من كرامة الله منزلة فضلتم بها ومن يعرف بالله لا تكرمون وانتم بالله في عباده تكرمون وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون وانتم لبعض ذمم ابائكم تفزعون وذمة رسول الله محقورة [مخفورة] .

والعمى والبكم والزمن فى المدائن مهملة لا ترحمون ولا

. . . . . .

في منزلتكم تعملون ولا من عمل فيها تعنون [تعينون] وبالادهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون . كل ذلك مما امركم الله به من النهي والتناهي وانتم عنه غافلون .

وانتم اعظم الناس مصيبه لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تسعون ذلك بان مجاري الامور والأحكام على أيدي العلماء بالله الامناء على حرامه وحلاله ، فانتم المسلوبون تلك المنزلة وما سلبتم ذلك الا بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة ، ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤونة في ذات الله كانت امور الله عليكم ترد وعنكم تصدر واليكم ترجع ، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم واستسلمتم امور الله فى أيديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات ، سلطهم على ذلك فراركم من الموت واعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم ، فاستسلمتم الضعفاء في أيديهم ، فمن بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشة مغلوب ، يتقلبون في الملك بآرائهم ، ويستشعرون الخزي باهوائهم اقتداء بالاشرار وجرأة على الجبار . فى كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع [سقع] فالارض لهم شاغرة ، وايديهم فيها مبسوطة والناس لهم خول لا يدفعون يد لامس ، فمن بين جبار عنيد وذي سطوة على الضعفة شديد ، مطاع لا يعرف المبدئ المعيد فياعجبا ومالي أعجب والارض من غاش غشوم ومتصدق ظلوم وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم ، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا

يعتقد البعض أن المعني بهذا الوسام التشريفي هم الأئمة المعصومون عليهم السلام . ولا يشمل الفقهاء . ونحن نتلو عليكم الحديث بنصه لننظر في معناه . وفي المراد النهائي من العلماء المنوه بذكرهم في هذا الحديث الكريم :

روى حسن بن علي بن شعبة عن سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام انه قال .

« اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به اولياءه من سوء ثنائه على الاحبار » ليس وجه الكلام الى جماعة خاصة أو جيل أو طائفة وانما هو خطاب عام للأمة المسلمة عبر الزمان وعلى أية بقعة من الارض . والمقصود من الاولياء هنا هم الزمرة الصالحة المتجهة إلى ربها ، والمسؤولة عن الناس تجاه خالقها ولا تنحصر في الائمة عليهم السلام .

والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا .

اللهم انك تعلم انه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فصول الخصام ، ولكن لنرى المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح في بلادك ، ويأمن المظلومون من عبادك ، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك . فانكم ان لا تنصرونا وتنصفونا قوى الظلمة عليكم وعملوا فى اطفاء نور نبيكم وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه انبنا وإليه المصير . (تحف العقول ص٢٣٧

مؤاخذة العلماء في ترك واجبهم :

« إذ يقول : لو لا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم ، واكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يصنعون » (١) .

انه توبيخ لاذع موجه الى « الربانيين » و « الاحبار » حيث لا ينهوا الظلمة عن قولهم الاثم (الكذب الاثيم) وعن أكلهم السحت (الحرام) .

وهذا ما لا يختص توبيخه بعلماء اليهود أو النصارى . بل يعم علماء الاسلام اذما سكتوا تجاه أعمال الظلمة الاثيمة كما لا يخص السلف بل يعم الخلف . ان الامام عليه السلام استشهد بالقرآن لتكون عبرة لمن يأتي عبر الزمان .

مسؤولية العلماء أكثر من غيرهم :

ان الامام عليه السلام في استشهاده بالآية « لو لا ينهاهم الربانيون » يهدف التنبيه على نقطتين :

١ ـ أن تكاسل العلماء في اداء وظائف ملقاة على عاتقهم أشد ضرراً من تقصير الآخرين . أن الفرد السوقي اذا مالارتكب خلافاً فان ضرره يتوجه الى نفسه . لكن الضرر الحاصل من

(١) المائدة آية ٦٨ .

تقصير العالم ومن سكوته تجاه اعمال الظالمين ليتوجه الى الاسلام وأما إذا قاموا بوظائفهم الاجتماعية وأدّوا مسؤوليتهم الكبرى ، فان نفع ذلك يعود على الاسلام .

قفوا في وجه دعايات السوء الخادعة :

٢ ـ وان كانت جميع الآثام محرمة ، غير أن الآية جاءت مركزة على أمرين : قول الاثم . وأكل السحت. نظراً لأهميتهما فقد يتضرر الاسلام والمسلمون من كلمة تصدر من فم ظالم ضرراً خطيراً لا يدانيه الضرر الناجم عن عمل اجرامي ارتكبه ذلك الظالم .

ان الله تعالى يؤاخذ العلماء حيث لم يعملوا في مقاومة المقالات الآثمة واحباط أثرها السيء . وضرر الدعايات الكاذبة الخادعة : لماذا لم يكذبوا ذلك الرجل المفترى (الشاه الخائن) في دعواه : « خلافة الله » « الشريعة العادلة هي التي أنا أقوم بتنفيذها » في حين انه لا يعرف من العدالة شيئاً ، ان ذلك العمل هو قول الاثم الذي يؤدي الى اضرار فادحة الى الاسلام والمسلمين . لماذا لم يمنعوه ؟ ولماذا لم ينهوا الظلمة فى مراكبهم الاثم والزور والخيانة والبدع ؟ وما الى ذلك من ضرباتهم القاسية على قفر الاسلام ، فلو أن أحداً فسر الحكم الالهي على خلاف رضاه فقد ابدع بدعة في الاسلام واذا اجرى حكماً مخالفاً للاسلام باسم الاسلام وباسم العدالة الاسلامية فعلى العلماء

ان يخالفوه ويصارخوا بالامر وإلا فعليهم لعنة الله (١) ان نفس التجاهر بالمخالفة نافع في حد ذاته .

لا تستسلموا للظالم :

اذا لم تستطيعوا منع تلكم الاعمال الاجرامية ، والفساد الشائع ـ عملياً ـ فلا اقل من مخالفة الاوضاع ـ قولياً ـ دون اللجوء الى السكوت المحض . فاذا ما ظلموكم فتظلّموا واستصرخوا ولا تسكتوا ولا تستسلموا ، ان الاستسلام للظالم اقبح من الظلم نفسه . فتكلموا واستصرخوا ، ولابد من فئة تكافح تلك الفئة الغاشمة، فاذا ما تعسفت تلك واخذت بالكذب والزور والبهتان فلتعمل هذه الفئة المكافحة في فضحها واستنكار اعمالها وتعسفاتها ولتعلن الى الملأ ان ليست العدالة الاسلامية تلك التي تدعيها الفئة الغاشمة ، ان أنظمة العدالة الاسلامية التي نظمها الاسلام للمجتمعات الخاصة والعامة موجودة ومحفوظة ، وانها تختلف كل الاختلاف عن الانظمة التي تتشدق بها تلكم الفئات .

لابد من بيان هذه النقاط لغاية تنبه الملأ ، ولئلا يجعل الجيل القادم اعمال هؤلاء المتعسفين حجة في سلوكه ، فتزعم انها كانت تعمل وفق الشرع ، وكان كل ما يعمله الظلمة من أكل السحت وغصب اموال الناس مشروعاً . . . !

---

(١) قال النبي (ص) :« اذا ظهرت البدع فى امتي فليظهر العالم علمه والا فعليه لعنة الله والملائكـــة والناس اجمعين

سفينة البحار مادة بدع .

إفضحوا أكلة النفط والغصبة المتسترين :

حيث لا تتجاوز دائرة افكارنا جدر هذا المسجد ، ولا تتجول فى آفاق وسيعة ، ومن ثم اذا قيل لنا : « اكل السحت » تتجه أذهاننا الى ذلك البقال المسكين الذي يطفف في الميزان ، ولا تتحمل اذهاننا الاتجاه الى تلك الدائرة المتسعة من اكل الحرام ، فهناك من يبتلع كميات كبيرة من رؤوس أموال المسلمين ويستلب بيت المال ، ويذهب بنفط البلاد . حيث تتعهد باستخراج النفط فئات أجنبية ، تذهب بعمدة ارباحها اما البقية القليلة فتدفعها الى المسؤولين ، ليكون لهم فيها النصيب الاوفى ، أما الشعب المسكين فنصيبه الحسرة والتأوه المرير وأما حظ الدولة من النفط فذلك الأقل القليل المستخلص من جيب هؤلاء المسؤولين ، ثم هذه البقية الضئيلة في أي شيء تصرف . . . ؟

ان مراجعة عابرة لتكشف لنا عن محل تصاريفها التي لا تستهدف المصلحة العامة ، اماإذا وقعت زلزلة في ادنى البلاد فانها باب بركة فتحته الطبيعة بوجه هؤلاء الطغاة الذين يحكمون فى بلد ايران . يرحبون بها ترحيباً . حيث تملأ جيوبهم بوابل التبرعات من غير ان يصل منها الى اولئك المساكين بشيء .

انا ـ في وضعنا الحاضر ـ لا نستطيع الحيلولة دون تحقق هذه المظالم ، لكن لماذا نسكت عنهم ولا نفضحهم على رؤوس الملأ؟!

لو كانت لنا يد مبسوطة لضربناهم الحد سياطاً ولكن مع الاسف قد افلت الحكم من ايدينا . . !

اعوان اسرائيل يعيدون عمارة المسجد الاقصى :

عندما احرقت يد اسرائيل الاثيمة المسجد الاقصى صرخنا بملأ اصواتنا : « دعوا المسجد على وضعه المرير (١) ولا قدوا يداً لترميم آثار تلك الجناية الكبرى » لكننا رأينا سلطة الشاه يفتحون صندوق التبرعات باسم اعادة بناء المسجد الاقصى ، يتسلمون المبالغ الطائلة من الشعب المسلم المغفل وهم انما يستهدفون من وراء ذلك منافع شخصية : لتملأ حقائبهم اولاً وليمسحوا كل أثر إجرامي من جرائم زملائهم اليهود . . . !

انها مصائب فادحة ابتلت بها الامة الاسلامية . فآل الأمر الى ذلك . أليس من واجب علماء الاسلام الاعلان بهذه المطالب التي هي من صميم الاسلام ؟ !

« لو لا ينهاهم الربانيون والاحبار عن اكلهم السحت » .

---

(١) . . . وقال سماحته في تصريح ادلى به لوكالة الانباء العراقية . . . في حرق مسجد الأقصى . . . ان على المسلمين عدم اعادة بناء المسجد الأقصى لكي تظل جريمة الصهيونية ماثلة امام اعين المسلمين حتى تحررت فلسطين المسلمة .

جريدة الجمهورية الرقم ٥٨٨ ـ التاريخ ٢٣ / ١٠ / ١٣٦٩

لماذا لا يصرخون ؟ لماذا لا يتكلمون عن هذه المآسي ولا يعلنون عن سخطهم على هذه السرقات العارمة ؟ !

* * *

ثم استدل بآية أخرى : « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل » (١) وهي خارجة عن مجال بحثنا الحاضر .

ويقول بعد ذلك :

ذو الأطماع والجبان يسكتان تجاه الظلمة :

« وانما عاب الله تعالى ذلك عليهم لانهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين اظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون » .

فقد جاء الاستنكار اللازم موجهاً الى هؤلاء الربانيين . لأنهم كانوا يرون المظالم تقع بين ايديهم وهم صامتون ، لا يفوهون ببنت شفه وكان لسكوتهم ـ حسب هذا الحديث ـ عاملان:

١ ـ الطمع في ما بأيدي هؤلاء الطغاة الجبابرة .

٢ ـ الرهبة والخوف من سطوتهم .

فهم إما طمعاً في منافع كانت تعود عليه من هؤلاء يجاملونهم ويسامونهم ازاء ذلك المبلغ الزهيد . او لضعف نفسي جعلهم يرجفون خوفاً من السطوة الغاشمة .

---

(١) المائدة ٨٢ .

راجعوا احاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ ولا تقتصروا على ما في كتاب المكاسب ـ ففيها التعيير على اولئك الذين يتخلون عن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتماس حجج معاذير غير مبرره .

والله يقول : « ولا تخشوا الناس واخشوني » (١) ماذا تخشون ؟ هل من الحبس او التشريد ؟ ان ساداتنا الأئمة (ع) قد ضحو بانفسهم فى هذا السبيل . . . فكونوا انتم على استعداد لمثل هذه الامور . !

مصلحة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

وقال : « المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . . . »(٢) ثم يقول بعد ذلك : « ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله . . . » فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها اذا اديت واقيمت استقامت الفرائض كلها ، هينها وصعبها وذلك ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء الى الاسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم ، وقسمة الفيىء ، والغنائم . واخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها .

---

(١) المائدة ٤٨ .

(٢) التوبة ٧٢ .

فاذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائماً كما هو حقه لقامت الفرائض والسنن على قدم وساق . ولم تجد الظلمة المجال متسعاً لجولاتهم التعسفية ، ولم تكن الضرائب تصرف هباء . فكانت دعوة صحيحة الى الاسلام ورد المظالم والوقوف فى وجه الظالم .

وهذه امور باعثة على فرض هاتين الفريضتين الاساسيتين في الاسلام : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

اننا حصرنا ذلك في إطار ضيق فيما يعود بالضرر على شخص المرتكبين ، ونعتبر المناكير فى معاصي نشاهدها عبر الشوارع والأندية من استماع للغناء او افطار لصوم أو ارتكاب غيبة .

أما تلكم الجرائم الفادحـــة التي تطيح بصرح الاسلام الشامخ ، وذلك الضياع الكبير لحقوق الضعفاء ، فلا تلحظها عيوننا الضيقة الضعيفة وهي التي تستحق النهي والاستنكار .

الخائن خائف :

إذا ما اجتمعت كلمة جماعة في الاعتراض الموجـه إلى الظلمة عند ما يرتكبون خلافاً . أو اجراماً . وانهالت عليهم موجة البرقيات الاستنكارية من جميع البلاد الاسلامية بوقف هذا العمل المخالف فقطعـاً ويقيناً سوف ينتهون عن أعمالهم ولا يقترفونها مرة اخرى .

ان الظلمة عند ما يعملون عملاً يناقض الاسلام والمصالح العامة ، أو أصدروا بياناً بذلك واستنكر عليهم الشعب من جميع أنحاء المملكة ، ومن القرى والأرياف ، فانهم ينسحبون فوراً عند تصادم آراء الشعب كافة مع مصالحهم .

فأنهم لا يستطيعون الثبات على آرائهم تجاه مخالفة الشعب ، ليس ذلك بوسعهم أبـــدا . أنا أعرفهم شخصياً وأعرف نفسيتهم الضعيفة العاجزة . لكنهم إذا لم يصادفوا المانع أو المعترض فقد وجدوا المجال أمامهم متسعاً لكل ما يريدونه من أعمال اجرامية وتعسفات .

في تلك المرة التي اجتمعت فيها كلمة العلماء وتجمعوا من أطراف البلاد ، وجاءت تأييدات من كل بلد وجاءت وفودهم مؤيدة ، فألقوا كلمات وهتفوا بشعورهم الديني الحار ومن ثم انسحبت الهيئة الحاكمة ونسخت قرارها المحتوم (١) . . ! ثم بعد ذلك قاست موازين شعورنا أولاً وأخراً . وفرقت بين جماعتنا

(١) اشارة إلى لائحة قدمتها الدولة في تاريخ ٧/١٤ / ١٣٤١ (١٩٦٢ م) إلى مجلس الامة الايراني باسقاط مراسم التحليف بالقرآن المفروض على نواب المجلس ، ليتمكن أجراء الصهيون (البهائية) من عضوية المجلس الايراني .

ولكن على أثر مكافحة سماحة آية الله العظمى الامام الخميني وسائر العلماء الأعلام الغيت تلك اللائحة دون التنفيذ .

الناشر

وعينت لكل واحد منا وظيفة شرعية ، جاء هـذا الاختلاف والتفرقة ومن ثم فتح المجال أمام العدو ليفعل بمقدرات البلاد والمسلمين ما يريد !

ان الدعوة الى الاسلام ورد المظالم والوقوف في وجه الظالم ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ انما يعين الدفاع عن هذه الامور الجليلة التي تمس صميم الاسلام ، لا المآثم الحقيرة التي يرتكبها ذلك العطار أو هذا البقال . . . !

لصوص الأكفان يحكمون بلد ايران :

يجب نهي اولئك الذين ينهبون اموال الشعب بشتى وسائل النهب والاستلاب ، ان هذه المطالب قد تبدو على صفحات الجرائد اليومية غير انها تكون تارة بصورة الهزل واخرى بصورة الجد. فالأموال المتجمعة لاعانة المصابين بالزلازل او السيول يأكلها الجباة قبل أن تصل الى اولئك المساكين .

حكى أحد علماء (ملاير) عن حادثة مات فيها جمع كثير فجمعنا التبرعات لتجهيزهم وهيأنا اكفاناً كثيرة ، فحال دون وصولها اليهم موظفوا الدولة ، وطمعوا فى استلابها ، انهم لا يتركون للامة حتى اكفانهم ، ومن ثم فهم سرقة الاكفان..! ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يوجه الى هؤلاء وهم اولى بذلك من غيرهم .

عهد الإمام أمير المؤمنين (ع) :

والآن أسألكم :

هل النقاط التي وضع الامام (ع) يده عليها في هذا الحديث تخص أصحابه الملتفين حوله ، والذين كانوا يستمعون حديثه ؟ !

ألا يكون « اعتبروا أيها الناس » خطاباً لنا ؟ ألسنا من « الناس » ؟ هل يجب أن نعتبر مشمولين لهذا الخطاب .

الأمر كما سبق لا يختص مواضيع هذا الحديث بفئة أو جماعة ، بل هو خطاب وبيان من الامام (ع) لكل أمير أو وزير . أو حاكم أو فقيه ، لكل العالم ، لكل البشر ، لكل انسان حي . ان هذا العهد يواكب القرآن ويجب اتباعه كالقرآن حتى قيام الساعة .

والآية وان خصت بالربانيين « لولا ينهاهم الربانيون » لكنها في الحقيقة بيان عام لكافة الناس .

إن الربانيين والأحبار سكتوا عن الحق ـ رغبة أو رهبة ـ في حين كان بوسعهم بسلاح الصراخ والعويل أن يجعلوا حداً دون اشاعة الفحشاء والمناكير ، كذلك علماء الاسلام لو سكتوا عن الحق تجاه مظالم الطغاة أصبحوا ممن يشملهم توبيخ الآية الكريمة .

ما ترجوه الأمة من علمائها :

« ثم أنتم أيتها العصابة »

وبعد ذلك البيان العام لكافة الناس يوجه خطابه إلى العلماء وعصابة الاسلام :

« عصابة بالعلم مشهورة . وبالخير مذكورة . وبالنصيحة معروفة . وبالله في أنفس الناس مهابة . يهابكم الشريف . ويكرمكم الضعيف . ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده . تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلابها . وتمشون في الطريق بهيبة الملوك . وكرامة الأكابر . أليس ذلك إنما تلتمسوه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله . ؟ »

فهذه الهيبة والكرامة أحرزتموها بفضل ما ترجوه الأمة فيكم من القيام بحقوقهم والوقوف في وجه الظلمة الطغاة .

« وان كنتم عن أكثر حقه تقصرون . فاستخففتم بحق الأئمة . فأما حق الضعفاء فضيعتم . وأما حقكم بزعمكم فطلبتم فلا مالاً بذلتموه . ولا نفساً خاطرتموه بهـــا للذي خلقها . ولا عشيرة عاديتموه في ذات الله .

أنتم متمنون على الله الجنة . ومجاورة رسله . وأماناً من عذابه ، لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحل بكم نقماته ، لأنكم بلغتم من كرامة الله منزلة فضلتم بها ومن

يعرف بالله لا تكرمون » .

أنتم احرزتم تلك المنزلة الرفيعة من غير أن تؤدوا حقها ..!

لماذا لا تثورون تجاه هتك الإسلام ؟ !

« وأنتم بالله في عباده تكرمون . وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون . وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون وذمة رسول الله محقورة (مخفورة) » .

لا يهمكم ما يصيب الاسلام من هتك واهانة ، في حين نرى جزعكم الصارخ لو واجهتم مهانة آبائكم . نعم إذا لم يكن هناك اهتمام بأمر الدين لم يكن ثمة جزع على مصابه أو صراخ .

إهتموا بشأن الحفاة العراة :

« والعمى والبكم والزمن في المدائن مهملة لا ترحمون » لا يهتم أحد بشأن هؤلاء البؤساء التعساء .

نعم ان دعاية الاهتمام بشأن الفقراء كثيرة ، وجلبة المذياع دائمة ، ولكن أين الحقيقة الصادقة ؟

لاحظوا حياة الأمة من قريب . تلك الحياة التعيسة ، في كل مأة أو مأتين قرية لا تجد غير مستوصف واحد يكون هو المرجع لهؤلاء المساكين ، فضلاً عن عدم الاهتمام بحياتهم

الاقتصادية السيئة ، ولا يفسحون المجال لاهتمام الاسلام بشأن هؤلاء التعساء .

ان الاسلام قد حل مشكلة الفقر . وجعله في رأس نظامه الاجتماعي العام « إنما الصدقات للفقراء » الاسلام كان متنبهاً منذ البدء إلى ضرورة حل عقدة الفقر واصلاح شأن الفقراء ، فقد عالج القضية بأدنى علاج ، لكن الخصوم يحولون دون تحققه .

أرض وطننا أصبحت معسكر الصهاينة :

الشعب يرضخ تحت وطئة الفقر والمسكنة . وهؤلاء (الطغمة الحاكمة في ايران) يزيدون كل يوم في حجم الضرائب لغاية صرفها في ترفهم الباذخ . فيبتاعون طيارات (فانتوم) لتدريب طياري الصهاينة أساليب الحرب الجوية في وطننا الاسلامي . ! ! ان اسرائيل التي تخوض الحرب مع المسلمين . وكل من يعاونهم انما يحارب المسلمين ، قد فسح لها المجال في بلادنا ، وتتأيد برعاية الطغمة الحاكمة . حتى أصبحت أرض بلادنا معهد تعاليم عسكرية لجنود اسرائيل ، فضلاً عن بسط أيدي اليهود في سوق المسلمين ، فقبضت على اقتصاد البلاد بكل قوة .

« ولا في منزلتكم تعملون . ولا من عمل فيها تعينون (تعنون) » .

فلا تعملون ولا تعينون العاملين .

« وبالأدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون . كل ذلك مما أمركم الله من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون » .

تعتزون بتأييد الظالمين واحترامهم لكم - مثلاً - بقوله : أيها الشيخ الكبير . . ! فلا تأبهون بما يصيب الأمة من آلام .

« العلماء بالله » غير العرفاء الاصطلاحيين :

« وأنتم أعظم الناس مصيبة ، لما غلبته عليه من منازل العلماء ، لو كنتم تسعون ذلك . بأن تجاري الامور والأحكام على أيدي العلماء بالله الامناء على حرامـــه وحلاله ، فانتم المسلوبون تلك المنزلة » .

كان الامام يستطيع أن يقول : غصبوا حقي ولم تنهضوا . أو غصبوا حق الأئمة فسكتم . لكنه عبر بـ « العلماء بالله » الذين هم ربانيون وقدوة الأنام ، لا الفيلسوف ولا أصحاب الذوق العرفاني ،

العالم بالله هو الذي يعرف أحكام الله ويقال له : عالم روحي ورباني في حين غلبة توجهه إلى الله وإلى النواحي المعنوية من الحياة .

الإسلام طاقة تفوق سائر الطاقات :

« فانتم المسلوبون تلك المنزلة . وما سلبتم ذلك إلا بتفرقكم عن الحق ، واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة ، ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤونة في ذات الله كانت امور الله عليكم ترد . وعنكم تصدر وإليكم ترجع » .

لو كنتم رجالاً صالحين ، وكنتم تقومون بالواجب عليكم لرأيتم كيف تدور بكم رحى المجتمع وكيف تصبحون مراجع الامة ، منكم تصدر الأوامر وإليكم تعود .

لو كانت تسود البلاد حكومة عادلة يريدها كما الاسلام لم تستطع أية حكومة أن تقوم في وجهها ، بل كانت الحكومات تخضع لها خضوعاً . لكن مـــع الأسف يعوزنا ـ نحن المسلمين ـ الاستعداد والقابلية لتشكيل مثل هذه الحكومة الاسلامية كما لم تشأ أعداء الاسلام ـ منذ الصدر الأول ـ ان تتشكل هكذا حكومة على يد من ارتضاه الله ورسوله لذلك .

سكوت رجال الدين أقر الظلمة على مناصب الحكم :

« ولكنكم مكنتم الظلمه من منزلتكم » .

فقد تكاسلتم عن أداء الواجب ، وتركتم أمر الحكومة .

ومن ثم مهدتم السبل للظالمين في اشغال هذا المنصب الخطر .

« واستسلمتم امور الله في أيديهم . يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات . سلطهم على ذلك فراركم عن الموت واعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم . واستسلمتم الضعفاء في أيديهم ، فمن بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشته مغلوب » .

انها تعابير تنطبق تمام الانطباق على عصرنا الحاضر . بل أشد انطباقاً من عصر الامام عليه السلام .

« يتقلبون في الملك بآرائهم . ويستشعرون الخزي بأهوائهم اقتداء بالأشرار وجرأة على الجبار . في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع (مصقع) » .

في ذلك العهد كان الخطباء يثنون على الجبارة على المنابر . وفي عهدنا الحاضر أصبحت دور الاذاعة مراكز دعايات سيئة لهؤلاء . ويقلبون بأحكام الاسلام ظهراً لبطن .

« فالأرض لهم شاغلة » .

فالآن وقـــد أصبحت البلاد في متناولهم لا يقوم في وجههم أحد .

« وأيديهم فيها مبسوطة . والناس لهم خول . لا يدفعون يد لامس . فمن بين جبار عنيد . وذي سطوة على الضعفة شديد مطاع لا يعرف المبدىء المعيد .

فيا عجبـــاً وما لي أعجب والأرض من غاش غشوم ومتصدق ظلوم وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم ؟ فالله الحاكم فيما

فيه تنازعنا والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا .

اللهم انك تعلم انه لم يكن ما كان منـــا تنافساً في سلطان ولا إلتماساً من فضول الخضام ولكن لنرى المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك .

فانكم ان لا تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم وعملوا في اطفاء نور نبيكم ، وحسبنا الله وعليه توكلنا واليه انبنا وإليه المصير » (١) .

الحديث وارد بشأن علماء الإسلام :

كما لاحظتم كان الحديث الشريف من أوله إلى آخره مرتبطاً بحق العلماء ، بصورة عامة ، من دون أي اختصاص بالأئمة المعصومين عليهم السلام .

علماء الاسلام هم الربانيون . والرباني هو الذي يعتقد بالله ويحفظ أحكام الله ويعرفها . كما هو مؤتمن على حلال الله وحرامه

كما ان قوله : « مجاري الأمور على يد العلماء بالله » لا يخص عهداً أو جيلاً واحداً وانما هو عام لكل العهود وجميع الأجيال . ان الامام أمير المؤمنين (ع) كان يملك نظرة متسعة الآفاق . كان نظره إلى امة كبيرة من واجبها القيام بالحق .

---

(١) تحف العقول ص ٢٣٧ .

في ظل الحكومة الإسلامية لا تبقى الشعوب جياعاً :

إذا كان العلماء امناء الله على حلاله وحرامه . وكانت الميزتان السالفتا الذكر (العلم والعدالة) متوفرتين فيهم . فيحكمون بحكم الله . ويجرون الحدود . وكانت الأحكام والشؤون تجري على أيديهم . لن تفقر الشعوب ولا تبقى جياعاً ، ولم تكن تتعطل أحكام الاسلام .

* * *

وهذا الحديث الشريف من مؤيدات موضوع بحثنا . ولولا ناحية ضعف سنده لكنا نعدّه دليلاً . إذا لم نقل ان فحوى الحديث بنفسه شاهد صدق على صدوره عن لسان امام معصوم . صادق الحديث .

نهاية البحث :

قد انتهينا عن البحث حول موضوع ولاية الفقيه . ولا نتكلم بهذا الصدد بعدئذ شيئاً ولا حاجة إلى التكلم في فروع القضية ، مثلاً : كيف تجبي الزكاة ؟ كيف تجرى الحدود ؟ إننا بعد أن استوفينا البحث عن اصول القضية التي كانت تدور حول ولاية الفقيه (الحكومة الاسلامية) وقلنا : ان الولاية الثابتة للنبي

والأئمه عليهم السلام بعينها ثابتة للفقهاء لم يكن في ذلك شك عدا موارد خرجت بالتخصيص . ولا نأبى الالتزام بهـــذا التخصيص إذا دعمه دليل .

وكما عرضنا على مسامعكم من قبل ، ان موضوع ولاية الفقيه لم يكن موضوعاً جديداً بالبحث بأن نكون نحن أثرناه . بل كان بحثاً قديماً طال الجدل والنقاش حوله ، غير ان السادة كانوا يتضايقون في التصريح به .

تحريم التنباك كان أمراً حكومياً : (١)

حيث كان حكم المرحوم الميرزا الشيرازي بتحريم التنباك

(١) ان تحريم التنباك من ألمع الكفاح المقدس الذي قام به علماء الدين في العصر المتأخر و نحن نذكر القصة هنا باجمال :

بعد ما رجع ناصر الدين شاه القاجاري من سفرته الثالثة التي قضاها في ربوع اوربا ووصل إلى طهران في ٢٠ اكتوبر ١٨٨٩ (٢٤ صفر ١٣٠٧) وقّع امتياز انحصار التبغ لشركة انجليزية في تاريخ ٢١ مارس ١٨٩٠ (٢٨ رجب ١٣٠٧) لمدة خمسين عاماً .

وقد عهد إلى الشركة المزبورة وفق هذا الامتياز انحصار التبغ في جميع أرجاء ايران لتشتري من المزارعين محاصيلهم وتعهد أمرها وتوزعها على المستهلكين وتعقد الروابط التجارية - بهذا الصدد - والغيت اجازات بائعي التبغ الايرانيين وعهدت =

. . . . . .

= إلى الشركة .

فكانت مقدرات هؤلاء المستهلكين تحت رحمة الشركة المذكورة فهي التي كانت تحـــدد الأسعار على المزارعين وعلى المستهلكين وجعلت الشركة تجني من وراء ذلك أرباحاً طائلة على حساب الشعب المسكين فضلاً عن مؤامرات ودسائس سياسية كانت تلعبها الشركة تحت ستار سيطرتها الاقتصادية .

ولذلك وعلى أثر التصرفات غير المشروعة التي أقدمت الشركة عليها .

قام الزعيم الديني الكبير الامام المجتهد الأكبر الميرزا محمد حسن الشيرازي قدس سره باصدار فتواه بتحريم استعمال التنباك إطلاقاً لتكون مبارزة سلبية تنتهي إلى سقوط الشركة المزبورة .

وقد أجاب على هـذا النداء جميع أبناء الشعب فامتنع المستهلكون وبائعوا التبغ من البيع فأغلقوا دكاكينهم وجميع محلات التبغ التجارية . كما امتنع الناس من استعمال الدخانيات بجميع أنواعها . . .

واعتضد الفتوى المزبورة جميع علماء البلاد فتبعهم الناس جميعاً وبالنتيجة قامت ثورة شعبية سلمية وظفرت بمطلوبها بعد أن قدمت سبع ضحايا فسقطت الشركة واعلن مديرهـــا إلى المزارعين وغيرهم من باع عليها التنباك أن يراجعها الشركة =

. . . . . .

لاستلام أجناسهم وانحلت المشكلة .

= واليوم فقد أتى الشاه العميل بخيانة هي أفضح وأسوأ وأكثر ذلاً من امتياز التنباك ، حيث أفسح المجـــال أمام الامبريالية الأمريكية ووقع امتيازاً في صالح الرأسماليين الامريكين يتصرفون في شؤون البلاد الاقتصادية ، والقبض على منابع الثروة وعلى حياة الشعب المسكين ، لو قدّر تنفيذ هذا الامتياز أصبح أبناء البلاد أكثر تعاسة وفقراً من ذي قبل ، ولعانقهم البؤس واليأس عن الحياة سواء المزارع والتاجر والكاسب ، أصبحوا أذلاء مدقعين وألعوبة في أيـــدي الرأسماليين الأمريكيين: الغاصبين الأجانب .

وقد عمت البلاد ـ لحد الآن ـ موجة الاعتراض والاستنكار على هذه المعاهدة الهدامة ، بزعامة العلماء الأعلام في جميع أرجاء ايران ، والذي انتهى الأمر إلى استشهاد سماحة حجة الاسلام والمسلمين السيد محمد رضا السعيدي ، وتبعيد وحبس جماعة كثيرة من العلماء والطلبة والشعب الايراني المسلم .

قد استشهد العلامة السعيدي على يد جلاوزة الشاه وضحى بنفسه في سبيل مصلحة الامة ، لكننا واثقون ان ثورة العلماء المقدسة ضد الاستعمار وضد القوانين الكافرة وضد خطة الشاه المخالفة للاسلام لا تخمد أبداً ، وستحظى بالموفقية النهائية بقطع النفوذ الاستعماري وقلب الأوضاع الدكتاتورية القائمة ، وتشكيل =

حكماً حكومياً كان على سائر الفقهاء وجوب تنفيذه ، فانقاد لهذا الحكم جل كبار علماء ايران ولم يكن بجرد فتوى قضائياً ليكون المرحوم قد شخّص موضوعه دون الآخرين ! انه كان حكماً إسلامياً عاماً روعيت فيه مصلحة المسلمين العامة فأصبح من العناوين الثانوية التي يبقى الحكم ما دام العنوان باقياً . ويزول مع زواله .

ان المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي حين أفتى بالجهاد المقدس ـ وان كان باسم الدفاع ـ اتبعه جميع العلماء بكلمة واحدة . ولم يكن ذلك إلا لكونه حكماً اسلامياً حكومياً .

وعلى ما نُقل قد بسط المرحوم كاشف الغطاء في أكثر من هذه المواضيع التي خضناها . كما ان من المتأخرين من قد تعرض لها كالمرحوم النراقي . واثبه ان جميع شؤون النبي (ص) ثابتة للفقهاء . وكذلك كان يقول المرحوم النائيني : ان هذه مطالب تستفاد من مقبولة عمر بن حنظلة .

وعلى أي تقدير فمطرح هذا البحث لم يكن بالجديد . غير انا بسطنا في الموضوع أكثر . وتعرضنا لشُعَب وفروع هذه الحكومة . وجعلناها في متناول السادة يتجلى الموضوع أكثر . وتبعاً لأمر الله في كتابه وعلى لسان نبيه (ص) تتبعنا ـ بصورة عابرة ـ مواضيع موضع حاجة اليوم . وإلا فأصل المطالب هو = حكومة اسلامية عادلة انشاء الله .

الناشر

الذي فهمه الكثير .

سعياً وراء تنفيذ هذه الاطروحة

إننا تعرضنا إلى الأسس الأولية للموضوع وعالجناه نظرياً فعلى الجيل الحاضر والأجيال القادمة ان يفكروا في الموضوع ويوسعوا فيه بحثاً ، حتى إذا ما وجدوا طرق تنفيذه جدوا بكل طاقاتهم من غير ما تساهل أو تكاسل . أو برودة وتقاعس . فليذهبوا عن نفوسهم اليأس والقنوط .

وبحول الله وقوته فليتبادلوا النظر حول طرق التأسيس وسائر الفروع . فاذا عثروا على الحكم تركوه في أيدي أمينة من ذوي الخبرة والحنكة والاضطلاع ، المتدينين المعتقدين . وليقطعوا يد الخونة عن الحكم وعن البلاد وعن بيت مال المسلمين . وليثقوا بأن الله العزيز المقتدر معهم . من كان مع الله كان الله معه .